فهم السلف الصالح

لتوحيد الألوهية

ح ، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

،

/ - الرياض، ١٤٤٢هـ

ص:؛ سم: ١٧× ٢٤

ردمك: ٠-٠٠-٠٠٠٠-٠٠٠-٠٠٠

١- أ. العنوان

ديوي: ٠٠٠٠/ ١٤٤٢

رقم الإيداع: ٠٠٠٠/ ١٤٤٢

ردمك: ٠-٠٠-٠٠٠-٠٠٠-٠٠٠

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ- ٢٠٢٣م

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي،

شارع السويدي العام -الرياض

ص. ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥، ٤٢٥١٤٥٩

فاكس: ٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم: عنيزة، حي السليمانية، شارع الشبيلي، جـ: ٠٥٣٣٥٥٠٥٩٩

هاتف، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com

دار الصميعي للنشر والتوزيع

فهم السلف الصالح
لتوحيد الألوهية

تأليف

الدكتور يحيى بن إبراهيم خليل بن إسحاق

عضو هيئة التدريس في قسم أصول الفقه

بكلية الحقوق قسم الشريعة بجامعة الملك فيصل سابقا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد:

فإنه لا يختلف اثنان في أن توحيد الألوهية أهم المهمات، وأعظم المأمورات وقد جاء أهميته في الكتاب والسنة من وجوه:

١- تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾ [البقرة: ٢١] ونحوها من الآيات.

٢- وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٣- وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦].

٤- وتارة ببيان أنه المقصود من إنزال الكتب الإلهية، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل: ٢].

٥- وتارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمة ونعم كريمة في الدنيا والآخرة، كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٦- وتارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

٧- وهو أول أمر في القرآن: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١].

٨- وهو أول نهي في القرآن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢].

٩- أنزل الله في توحيد الألوهية سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة وهي

سورة الكافرون. إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

وأما السنة النبوية فكذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

١- افتتح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته بتوحيد الألوهية وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا[(١)]. وظل يدعوا إلى التوحيد وحده عشر سنين.

٢- واستمر على ذلك في جميع مراحل حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- وفي مرض موته ركز على توحيد الألوهية والتحذير من الشرك ووسائله إلى أن خرجت روحه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ومن الأحاديث الدالة على ذلك:

١- ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أن لا يعذبهم**»[(٢)].

٢- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذا نحو اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم**

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٥/ ٤٠٤ برقم: ١٦٠٢٢. وابن خزيمة في صحيحه ١/ ١١٩ برقم: ١٥٣وابن حبان ١٤/ ٥١٨.

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٢٦٧٧ برقم ٧٣٧٣) ومسلم (١/ ٤٢ برقم ٥٤).

إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات.... الحديث»[(١)].

٣- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**»[(٢)]. وعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار**»[(٣)] والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ولقد نهج سلفنا الصالح منهج القرآن، والسنة في الاهتمام بتوحيد الألوهية وذلك من وجوه منها:

١- الوجه الأول: قولهم: محال أن يظن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه علّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، ويعنون بالتوحيد توحيد الألوهية كما فسر مالك رَحِمَهُ اللَّهُ مراده: قَالَ أَبُو عبدالرحمن السُّلَمِيُّ: سَمِعْتُ عبدالرحمن بنَ مُحَمَّدِ بنِ حَامِدٍ السُّلَمِيَّ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ عَقِيْلِ بنِ الأَزْهَرِ، يَقُوْلُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى المُزَنِيِّ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الكَلاَمِ، فَقَالَ: إِنِّي أَكْرَهُ هَذَا، بَلْ أَنْهَى عَنْهُ، كَمَا نَهَى عَنْهُ الشَّافِعِيُّ، لَقَدْ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ: سُئِلَ مَالِكٌ عَنِ الكَلاَمِ وَالتَّوْحِيْدِ، فَقَالَ: مُحَالٌ أَنْ يُظَنَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ عَلَّمَ أُمَّتَهُ

---

(١) أخرجه البخاري ٢/ ١١٩ برقم: ١٤٥٨ ومسلم ١/ ٣٨ برقم: ٣١.

(٢) أخرجه البخاري ٦/ ٢٣ برقم: ٤٤٩٧.

(٣) أخرجه مسلم ١/ ٦٦ برقم: ١٨٣.

الاسْتِنْجَاءَ، وَلَمْ يُعَلِّمْهُمُ التَّوْحِيْدَ، وَالتَّوْحِيْدُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُوْلُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» فَمَا عُصِمَ بِهِ الدَّمُ وَالمَالُ، حَقِيْقَةُ التَّوْحِيْدِ[1].

٢- الوجه الثاني: تفسيرهم العبادة بتوحيد الألوهية:

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١] للفريقين جميعًا من الكفار والمنافقين، أي وَحِّدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم[2].

٣- الوجه الثالث: حمايتهم جناب التوحيد:

وقد أجمعوا على ذلك ويدخل في هذا الوجه جميع الوجوه.

٤- الوجه الرابع: تحذيرهم من الشرك:

عن ابن عباس، وقتادة: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢] أي: لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه إلى غير ذلك من الوجوه الكثيرة.

ومع هذا كله فقد فهم بعض الناس أن توحيد الألوهية إنما جاء به شيخا

---

(١) سيأتي توثيقه ص ١٨٥.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٣٦٣.

الإسلام: ابن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب فتصحيحا لهذا الفهم الخاطئ، وبيانا للحقيقة، وربطا للأمة بسلفها الصالح قمت بهذا العمل اليسير الذي سميته: «فهم السلف الصالح لتوحيد الألوهية» الذي أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يتقبله مني، ويجعله خالصا لوجهه، وأن ينفع به عباده.

منهج البحث:

منهجي في هذا الكتاب:

١- ركزت على بيان توحيد الألوهية بفهم السلف الصالح بذكر إجماعهم إن وجدت من نقل إجماعهم من العلماء، أو بيان إجماعهم التركي أو نقل أقوالهم من المصادر الأصلية.

٢- أذكر بعد ذكر إجماعهم، أو أقوالهم الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على صحة مذهبهم.

٣- ثم أذكر أقوال أهل البدعة المخالفين للسلف لأبين أن منشأ ضلالهم مخالفتهم السلف الصالح.

خطة البحث:

أما خطة البحث، فالبحث مكون من مقدمة، وستة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة، ففي بيان أهمية الموضوع، ومنهج البحث، وخطته.

وأما المبحث الأول: ففيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: قواعد في المفاهيم، وفيه ست قواعد:

القاعدة الأولى: السلف ومفهوم التوحيد.

القاعدة الثانية: السلف ومفهوم الشرك.

القاعدة الثالثة: السلف ومفهوم الرب

القاعدة الرابعة: السلف ومفهوم الإله.

القاعدة الخامسة: السلف ومفهوم لا إله إلا الله

القاعدة السادسة: السلف ومفهوم العبادة.

المطلب الثاني: قواعد في العلاقة بين الربوبية والألوهية، وفيه ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى: السلف والتفريق بين مفهوم الإله ومفهوم الرب.

القاعدة الثانية: السلف ومجرد الإقرار بتوحيد الربوبية.

القاعدة الثالثة: السلف والاستدلال بتوحيد الربوبية على تو حيد الألوهية.

المطلب الثالث: قواعد في تقسيم التوحيد وحكمه وشروط لا إله إلا الله وفضائله، وفيه أربع قواعد:

القاعدة الأولى: السلف وتقسيم التوحيد.

القاعدة الثانية: السلف وحكم التوحيد.

القاعدة الثالثة: السلف وشروط لا إله إلا الله.

القاعدة الرابعة: السلف وفضائل لا إله إلا الله.

المطلب الرابع: قواعد في شرح مسائل الألوهية بالمثال وتعظيم نصوصه، وفيه قاعدتان:

القاعدة الأولى: السلف وتفسير مسائل توحيد الألوهية بالمثال.

القاعدة الثانية: السلف وتعظيم نصوص توحيد الألوهية.

المطلب الخامس: قواعد في أهمية توحيد الألوهية، ووقوع الشرك في الأمة، والخوف منه، والتحذير عنه، وفيه خمس قواعد:

القاعدة الأولى: السلف وتوحيد الألوهية (اهتمامهم البالغ وعنايتهم الفائقة به).

القاعدة الثانية: السلف وأول واجب على المكلف.

القاعدة الثالثة: السلف ووقوع الشرك في الأمة.

القاعدة الرابعة: السلف والخوف من الشرك.

القاعدة الخامسة: السلف والإنكار على من وقع في الشرك أو في وسائله.

وأما المبحث الثاني: ففي قواعد في الشرك ووسائله، وفيه ثلاث عشرة قاعدة:

القاعدة الأولى: السلف وحماية جناب توحيد الألوهية.

القاعدة الثانية: السلف والتوسل والوسيلة.

القاعدة الثالثة: السلف والتبرك.

القاعدة الرابعة: السلف والتفريق بين آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القاعدة الخامسة: السلف والتفريق بين التعبد والتبرك.

القاعدة السادسة: السلف والتفريق بين الاتباع والتبرك.

القاعدة السابعة: السلف والتفريق بين المواضع التي صلى فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصدا، والتي صلى فيها اتفاقا.

القاعدة الثامنة: السلف والتحذير من السحر.

القاعدة التاسعة: السلف والنشرة.

القاعدة العاشرة: السلف والتحذير من الكهانة.

القاعدة الحادية عشرة: السلف والتحذير من التنجيم.

القاعدة الثانية عشرة: السلف والتحذير من الاستسقاء بالنجوم.

القاعدة الثالثة عشرة: السلف والتحذير من التحاكم إلى الطاغوت.

وأما المبحث الثالث: ففي قواعد في العبادات القلبية، وفيه أربع قواعد:

القاعدة الأولى: السلف والتحذير من شرك المحبة.

القاعدة الثانية: السلف وعبادة الرجاء.

القاعدة الثالثة: السلف والتحذير من شرك الخوف.

القاعدة الرابعة: السلف والتوكل.

وأما المبحث الرابع: ففي قواعد في العبادات القولية، وفيه ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى: السلف والتحذير من شرك الدعوة.

القاعدة الثانية: السلف والتحذير من شرك الشفاعة.

القاعدة الثالثة: السلف والتحذير من شرك الاستعاذة .

وأما المبحث الخامس: ففي قواعد في العبادات البدنية، وفيه قاعدتان:

القاعدة الأولى: السلف والتحذير من شرك الطاعة.

القاعدة الثانية: السلف والذبح لغير الله.

وأما المبحث السادس: ففي قواعد في الشرك الأصغر، وفيه ست قواعد:

القاعدة الأولى: السلف والطيرة.

القاعدة الثانية: السلف والتحذير من ربط الخيط.

القاعدة الثالثة: السلف والتحذير من الحلف بغير الله.

القاعدة الرابعة: السلف والتحذير من الرياء.

القاعدة الخامسة: السلف والتحذير من الشرك الخفي.

القاعدة السادسة: السلف والتحذير من التمائم.

وأما الخاتمة، ففي بيان النتائج التي توصلت إليها. فالله أسأل أن يتقبلها مني، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول:
قواعد في المفاهيم

وفيه ست قواعد:

القاعدة الأولى: السلف ومفهوم التوحيد.

القاعدة الثانية: السلف ومفهوم الشرك.

القاعدة الثالثة: السلف ومفهوم الرب.

القاعدة الرابعة: السلف ومفهوم الإله.

القاعدة الخامسة: السلف ومفهوم لا إله إلا الله

القاعدة السادسة: السلف ومفهوم العبادة.

القاعدة الأولى:
السلف ومفهوم التوحيد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من فهمهم التوحيد.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان مفهوم التوحيد في فهم السلف.

٢- بيان عناية السلف بتوحيد الألوهية.

٣- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم حيث فسروا التوحيد بتوحيد الألوهية.

٤- بيان عمق علم السلف، ودقة فهمهم حيث قالوا: محال أن يُظَنَّ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعلم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

صرح السلف الصالح أن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله وهو يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات بخلاف فهم الخلف للتوحيد وكل فرقة لها توحيد تعتقد أنه الصواب.

المبحث الثالث: نماذج من فهمهم التوحيد.

أجمع السلف على أن مفهوم التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله وممن نقل الإجماع:

١- أبو العباس ابن سريج وقد سئل رَحِمَهُ اللَّهُ ما التوحيد؟ قال: «توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله»[(١)]. ففسر ابن سريج التوحيد بشهادة أن لا إله إلا الله، ونسبه إلى أهل

(١) أخرجه المقرئ في ذم الكلام (ص ٨٦)، والهروي في ذم الكلام (٤/ ٣٨٦).

العلم وجماعة المسلمين، وهذا اتفاق منهم على هذا المفهوم الشرعي.

٢- الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتفسير التوحيد عند الأمة وصوابه قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، التي قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من جاء بها مخلصا دخل الجنة**» «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» من قالها فقد وحد الله»[1]. فهذا هو حقيقة التوحيد وتفسيره قد نسبه الإمام إلى الأمة، فمن قال لا إله إلا الله وأتى بشروطها وأركانها فقد وحد الله عَزَّوَجَلَّ.

٣- قال محمد بن نصر المروزي: «وَقَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» وَلَا يَمْتَنِعُ جَمِيعُ الْأُمَّةِ أَنْ يَقُولُوا لِلْكَافِرِ إِذَا أَقَرَّ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ وَقَبْلَ أَنْ يَصُومَ فَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا كَانَ بُدُوُّ إِسْلَامِهِ الشَّهَادَتَيْنِ»[2].

٤- قال شيخ الإسلام: «التوحيد الذي ذكره الله في كتابه، وأنزل به كتبه، وبعث به رسله، واتفق عليه المسلمون من كل ملة، فهو كما قال الأئمة: شهادة أن لا إله إلا الله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما بين تعالى بقوله: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣]

---

(١) نقض الدارمي على بشر (١/ ١٥٢).

(٢) تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٢٠٠.

فأخبر أن الإله إله واحد لا يجوز أن يتخذ إلها غيره، فلا يعبد إلا إياه كما قال في السورة الأخرى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦]. فبين سبحانه بهذا التوحيد بعث جميع الرسل، وأنه بعث إلى كل أمة رسولا به وهذا هو الإسلام الذي لا يقبل الله، لا من الأولين، ولا من الآخرين دينا سواه، قال تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣]. والآيات في هذا الباب كثيرة معلومة[(١)].

ومن شواهد ذلك:

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] قالَ: «تَوْحِيدُهُ»[(٢)].

٢- قال جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في سياق حجة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأهل بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا**

(١) الفتاوى الكبرى ٦/ ٥٥٩ ط/ ١ دار المعرفة بيروت.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٧٢.

شريك لك»[(١)]. ففسر التوحيد بالتلبية المتضمنة لمعاني إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالألوهية ونفي الشركاء والأنداد.

٣- قال الإمام مالك وتلميذه الإمام الشافعي: محال أن يُظَنَّ بالنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه علّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، ويعنون بالتوحيد توحيد الألوهية كما فسر مالك رَحِمَهُٱللَّهُ مراده قَالَ أَبُو عبدالرحمن السُّلَمِيُّ: سَمِعْتُ عبدالرحمن بنَ مُحَمَّدِ بنِ حَامِدٍ السُّلَمِيَّ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ عَقِيْلِ بنِ الأَزْهَرِ، يَقُوْلُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى المُزَنِيِّ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الكَلاَمِ، فَقَالَ: إِنِّي أَكْرَهُ هَذَا، بَلْ أَنْهَى عَنْهُ، كَمَا نَهَى عَنْهُ الشَّافِعِيُّ، لَقَدْ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ: سُئِلَ مَالِكٌ عَنِ الكَلاَمِ وَالتَّوْحِيْدِ، فَقَالَ: مُحَالٌ أَنْ يُظَنَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ عَلَّمَ أُمَّتَهُ الاسْتِنْجَاءَ، وَلَمْ يُعَلِّمْهُمُ التَّوحِيْدَ، وَالتَّوْحِيْدُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُوْلُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**» فَمَا عُصِمَ بِهِ الدَّمُ وَالمَالُ، حَقِيْقَةُ التَّوْحِيْدِ»[(٢)].

فبين رَحِمَهُٱللَّهُ أن حقيقة التوحيد هي إفراد الله بالعبادة، وأنه لا معبود بحق إلا الله وهو معنى كلمة التوحيد فمن حقق معناها فهو معصوم المال والدم.

ومن ذلك ما ذكره ابن العربي رَحِمَهُٱللَّهُ في كتابه القبس أن مالكا رَحِمَهُٱللَّهُ فسر الإله

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٩ برقم ٢٩٢٢ ط/ دار الجيل.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أبو الحسن الهكاري في كتاب اعتقاد الشافعي الورقة السابعة من المخطوط ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٦.

بالمعبود وذلك عند قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣] قال المخزومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت مالكا يقول: «لا يرى شيئا إلا عبده»[١].

٤- وقال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه قانون التأويل عند تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] «أن هذه الآية أصل في التوحيد ويتعلق بها مسائل منها: بيان معنى الإله ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن الإله بمعنى المعبود وقال: وهي الفائدة التي خلق لأجلها الإنس والجن»[٢].

من أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر: ٢].

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن العربي ص١٠٨١. ط/ ١ دار الغرب.

(٢) قانون التأويل لابن العربي ص٣٠٠.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو من نفسه**»[(١)] والأدلة في هذا كثيرة معلومة.

مخالفة الخلف للسلف:

وقد غلط أكثر الفرق الثلاث والسبعين في مسمى التوحيد، وكل فرقة لها توحيد تعتقد أنه هو الصواب:

أقوالهم:

١- التوحيد عند الفلاسفة هو: إنكار ماهية الرب الزائد على وجوده، وإنكار صفة كماله، وأنه لا سمع، ولا بصر، ولا قدرة، ولا حياة...قالوا: لأنه لو كان كذلك لكان مركبا، وكان جسما مؤلفا ولم يكن واحدا من كل وجه، فجعلوه من جنس الجوهر الفرد الذي لا يحس ولا يرى....

٢- التوحيد عند الوجودية القائلين بوحدة الوجود: أن الإله هو الوجود المطلق الثبوت بالأعيان، وأنه عينها لا غيرها، وأنه ليس ثم رب وعبد، بل الرب هو العبد، والعبد هو الرب قال صاحب الفتوحات المكية:

الرب حق والعبد حق ... يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك رب ... أو قلت رب أنى يكلف

٣- التوحيد عند الجهمية يقوم على التعطيل المحض وعدم الإيمان

(١) أخرجه البخاري ٨/ ١١٧ برقم: ٦٥٧٠ ط/ ١ المنيرية.

بثبوت شيء من الصفات لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن ذلك يقتضي في زعمهم مشابهة الله لخلقه، فهو عندهم ليس حيا، ولا عالما، ولا مريدا....

٤- التوحيد عند الجبرية: يقوم على أن العبد في حقيقته ميت، أو جماد، لا حس فيه ولا حركة، ولا فعل له، بل كان ما يصدر منه من أفعال هو فعل الله الذي هو القادر وحده... لا يصح نسبتها إلى العبد إلا على سبيل المجاز كما يقال: هبت الريح وجرى النهر وطلعت الشمس[1].

٥- التوحيد عند الأشاعرة: (إثبات الوحدة في الذات، والصفات، والأفعال، فوحدانية الذات تنفي تركب الذات، وتنفي تعددها، ووحدانية الصفات تنفي التعدد في صفات الله من جنس واحد وتنفي مشابهة صفات الخلق لصفاته، ووحدانية الأفعال تنفي أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد)[2]. وهذا التعريف قد أطبق عليه متقدمو الأشاعرة ومتأخروهم، وظاهر أنه لم يشمل توحيد الألوهية، وما شمله من أنواع فيه إجمال في بعضه.

والتوحيد والواحد والأحد عند الأشاعرة يشمل ثلاثة أمور:

١- أن الله واحد في ذاته لا قسيم له.

٢- وأنه واحد في صفاته لا شبيه له.

---

(١) انظر شرح خليل هراس على النونية ٢/ ٥٢.

(٢) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ٥٩-٦٠.

٣- وأنه واحد في أفعاله لا شريك له[١]. وأشهرها عندهم وأقواها دلالة على التوحيد النوع الثالث، وبه يفسرون معنى «لا إله إلا الله».

والألوهية -عندهم- هي القدرة على الاختراع والخلق، فمعنى لا إله إلا الله لا خالق إلا الله[٢]. وقد بين شيخ الإسلام ما في قولهم من الحق والباطل كما يلي:

قولهم: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له: ويفسرونه بأن معناه أنه لا ينقسم، ولا يتجزأ، ولا يتبعض، ولا يتعدد، ولا يتركب، وهذا الكلام مجمل، فإن قصد به أن الله تعالى أحد، فرد، صمد، لم يلد ولم يولد، وأنه يمتنع أن يتفرق أو يتجزأ، أو يكون قد ركب من أجزاء فهذا حق، وإن قصد به نفي علوه ومباينته لخلقه، وأنه لا يشار إليه ولا ينزل كما يشاء فهذا باطل[٣]، فأي الأمرين يقصد هؤلاء؟...

---

(١) ينظر في ذلك من كتب الأشاعرة: (مجرد مقالات الأشعري) لابن فورك (ص: ٥٥)، ورسالة الحرة للباقلاني -المطبوعة باسم (الإنصاف) (ص: ٣٣- ٣٤)، و(الاعتقاد للبيهقي) (ص: ٦٣)، و(شرح أسماء الله الحسنى) للقشيري (ص: ٢١٥)، و(الشامل) (ص: ٣٤٥-٣٤٨)، و(الإرشاد) (ص: ٥٢)، و(لمع الأدلة) (ص: ٨٦)، و(إحياء علوم الدين) (١/ ٣٣)، و(الاقتصاد في الاعتقاد) (ص: ٤٩)، و(نهاية الإقدام) (ص: ٩٠) وغيرها.

(٢) انظر: (أصول الدين للبغدادي) (ص: ١٢٣)، و(الملل والنحل للشهرستاني) (١/ ١٠٠)، و(مجرد مقالات الأشعري) (ص: ٤٧).

(٣) انظر: (التدمرية) (ص: ١٨٤-١٨٥)، ت السعوي. وانظر: (تفسير سورة الإخلاص- مجموع الفتاوى) (١٧/ ٤٤٩-٤٥٠).

وأما قولهم في تفسير التوحيد أنه واحد في صفاته لا شبيه له، فمجمل، حيث جعلوا في مسمى التشبيه، نفي الصفات - وهذا من بدع أهل الكلام، إذ لم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أقوال السلف أن يجعل نفي الصفات أو بعضها من التوحيد[١]، مع أن أهل الكلام مضطربون في هذا، لأن كل طائفة تجعل ما تنفيه من الأسماء أو الصفات من التشبيه الذي يجب تنزيه الله عنه، فالأشاعرة أدخلوا في مسمى التوحيد نفي كثير من الصفات -أي ما عدا الصفات السبع التي يثبتونها-.

والمعتزلة أدرجوا في ذلك نفي جميع الصفات.

والجهمية أدرجوا نفي الأسماء والصفات جميعـًا.

وزاد الغلاة من القرامطة والباطنية فقالوا لا يوصف بالنفي والإثبات، لأن القول بأحدهما يقتضي تشبيهـًا، وهكذا[٢].

وأما الثالث، فقولهم: إن من معاني التوحيد أنه تعالى: واحد في أفعاله لا شريك له، وأن الله رب كل شيء وخالقه، (وهذا معنى صحيح، وهو حق، وهو أجود ما اعتصموا به من الإسلام في أصولهم، حيث اعترفوا فيها بأن الله خالق كل شيء ومربيه ومدبره)[٣].

---

(١) انظر: (التسعينية) (ص: ٢٠٤).

(٢) انظر: (التدمرية) (ص: ١٨٢ - ١٨٣).

(٣) انظر: (التدمرية) (ص: ١٨٢ - ١٨٣).

والخطأ الذي وقع فيه الأشاعرة هنا هو أنهم فهموا أن هذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأنه المقصود بشهادة أن لا إله إلا الله، ومن المعلوم أن هذا التوحيد أقر به المشركون، ولم ينكره أحد من بني آدم «ولكن غاية ما يقال: إن المعتزلة وغيرهم جعلوا بعض الموجودات خلقاً لغير الله، كأفعال العباد، ولكنهم يقرون بأن الله خالق العباد، وخالق قدرتهم وإن قالوا: إنهم خالقوا أفعالهم»[(١)].

هذه معاني التوحيد عند الأشاعرة، ومما سبق يتبين ما في ظاهر العبارات من الحق، وما قصدوه من الباطل، مع ما وقعوا فيه من التقصير. ثم إن «هذا الاستدلال هو معروف قديماً من استدلال الجهمية النفاة، فإنهم يزعمون أن إثبات الصفات ينافي التوحيد، ويزعمون أنهم هم الموحدون، فإن من أثبت الصفات فهو مشبه ليس بموحد، وأنه يثبت تعدد القدماء، ولا يجعل القديم واحداً، فالجهمية من المتفلسفة والمعتزلة وغيرهم يبنون على هذا، وقد يسمون أنفسهم الموحدين، ويجعلون نفي الصفات داخلاً في مسمى التوحيد»[(٢)].

ومن المعلوم أن أئمة السلف كالإمام أحمد وغيره ردوا على هؤلاء، وبينوا ما في أقوالهم من التلبيس والباطل، يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقالت الجهمية لنا لما وصفنا هذه الصفات: إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته،

---

(١) انظر: (التدمرية) (ص: ١٨٠-١٨١)، و(التسعينية) ص: ٢٠٧.

(٢) انظر: (نقض التأسيس) - المطبوع (١/ ٤٦٣).

والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته؟ قلنا: لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولا نقول ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته، ونوره، لا متى قدر، ولا كيف قدر. فقالوا: لا تكونون موحدين أبداً حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء، قلنا نحن نقول: قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف إلهـًا واحداً بجميع صفاته، وضربنا لهم مثلاً في ذلك قلنا: أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع، وكرب، وليف، وسعف، وخوص، وجمار، واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها؟ فكذلك الله – وله المثل الأعلى- بجميع صفاته إله واحد، لا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قدرة حتى خلق قدرته، والذي ليس له قدرة هو عاجز، ولا نقول قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم، والذي لا يعلم هو جاهل، ولكن نقول: لم يزل الله عالمـًا، قادراً، مالكـًا، لا متى، ولا كيف. قال: وسمى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال:﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر: ١١] وقد كان الذي سماه وحيداً له عينان، وأذنان، ولسان، وشفتان، ويدان ورجلان، وجوارح كثيرة، وقد سماه وحيداً بجميع صفاته وكذلك الله –وله المثل الأعلى- بجميع صفاته واحد»[(١)].

(١) انظر (نقض التأسيس) – المطبوع – (١/ ٤٦٣-٤٦٤)، و(كلام الإمام أحمد في الرد على الزنادقة والجهمية) (ص: ٩١-٩٢) – ضمن عقائد السلف.

وأن قولهم: إن الواحد هو الذي لا ينقسم ولا يتجزأ وليس بجسم، ليس معروفًا في لغة العرب، بل المعروف في لغة العرب أنهم يطلقون على كثير من المخلوقات أنه واحد وهو جسم، بل «لا يوجد في لغة العرب، بل ولا غيرهم من الأمم استعمال الواحد، الأحد، الوحيد إلا فيما يسمونه هم جسمًا ومنقسمًا، كقوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [المدثر: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ﴿١١﴾ ﴾ [النساء: ١١].

وقوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الكهف: ٣٢] إلى قوله: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الكهف: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩]، والعرب وغيرهم من الأمم يقولون: رجل، ورجلان اثنان، وثلاثة رجال، وفرس واحد، وجمل واحد، ودرهم واحد، وثوب واحد... فلفظ الواحد وما يتصرف منه في لغة العرب وغيرهم من الأمم لا يطلق إلا على ما يسمونه هم جسمًا منقسمًا لأن ما لا يسمونه هم جسمًا منقسمًا ليس هو شيئًا يعقله الناس، ولا يعلمون وجوده حتى يعبروا عنه»[1].

ومن القواعد المهمة في باب الصفات وغيرها أن تفسير النصوص -في

---

(١) انظر (درء التعارض) (٧/ ١١٤-١١٦).

الصفات وغيرها- إنما يرجع فيه إلى لغة الذين خوطبوا به أول مرة، وماذا فهموا من النصوص، أما أن تنشأ مصطلحات جديدة، وتحمل النصوص عليها فهذا مخالف لما هو متواتر من أن القرآن هدى للناس، وفيه البيان التام. وهذه من المسائل الكبرى في الخلاف بين مذهب السلف وغيرهم من أهل البدع، لأنه إذا وقع خلاف حول نص من النصوص، فقال قائل: هذا يدل على إثبات الصفات لله، وقال الآخر: لا يدل، فمن الذي يفصل في المسألة، ويبين الحق فيها، وكل يدعي أن الحق معه؟ أهل البدع من النفاة يرجعون في ذلك إلى عقولهم، أو على أقوال شيوخهم، أو إلى شواذ اللغة، أو إلى مصطلحات أهل الفلسفة التي تلقوها عن غير المسلمين.

أما السلف فيرجعون إلى النصوص الأخرى، من الكتاب، والسنة التي تبين هذا النص وتوضحه، ويرجعون إلى لغة العرب، وفهم الصحابة والسلف من خير القرون، وما قالوه في بيان معنى هذا النص.

واعلم أن لفظ «الأحد» لم يجئ اسماً في الإثبات إلا لله تعالى، أما في حق غيره فلم يستعمل إلا مع الإضافة، أو في غير الموجب، كالنفي، والشرط، والاستفهام، فاستعماله في الإثبات لله كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص: ١].

أما استخدامه في حق غير الله مضافاً فكقوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ ۝٣٦ ﴾ [يوسف: ٣٦] وفي النفي كقوله:

﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف: ٤٩] والشرط كقوله: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ ٦ ﴾ [التوبة: ٦] إلى غير ذلك من الوجوه الكثيرة التي ذكرها شيخ الإسلام.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- مصطلح التوحيد مصطلح سلفي قديم وقد جاء في حديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في رواية إلى أن يوحدوا الله.

٢- مفهوم التوحيد عند السلف: توحيد الألوهية وهو يتضمن توحيد المعرفة والإثبات.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ - بعد أن ذكر أنَّ كلَّ طائفة تسمي باطلهم توحيداً-: وأمَّا التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه، فوراء ذلك كله، وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد. فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح؛ كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر الحشر، وأول تنزيل السجدة، وأول آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: ما تضمنته سورة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون: ١].

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا

نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها وأول سورة المؤمن ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن. بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، شاهدة به داعية إليه. فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه، فهو حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[(١)].

٣- عمق علم السلف ودقة فهمهم للتوحيد.

٤- وضوح كلام السلف، وسهولته، وبعده عن التكلف حيث قالوا: والتوحيد: لا إله إلا الله بخلاف كلام الخلف المجمل المعقد.

٥- قوة منهج السلف في الردود.

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٣/ ٤٥٠ ط / ٢ دار الكتاب العربي.

٦- في تعريف الإمامين: الإمام مالك، وتلميذه الإمام الشافعي مفهوم التوحيد إشارة إلى أن علم الكلام لا يدخل في مفهوم التوحيد؛ لأن سبب ذكر كلامهما هو: َجاءَ رَجُلٌ إِلَى الْمُزَنِيِّ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الكَلاَمِ، فَقَالَ: إِنِّي أَكْرَهُ هَذَا، بَلْ أَنَهَى عَنْهُ، كَمَا نَهَى عَنْهُ الشَّافِعِيُّ... إلى أن قال مالك: والتوحيد ما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**...».

٧- أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم أمته التوحيد، ولم يعلمهم علم الكلام المذموم.

٨- تزييف مفاهيم الخلف للتوحيد؛ لأنها مخالفة للقرآن، والسنة، وفهم السلف.

٩- بيان انحراف منهج الخلف في التوحيد حيث لا ذكر لتوحيد الألوهية عندهم.

❊ ❊ ❊

القاعدة الثانية:
السلف ومفهوم الشرك

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف لمفهوم الشرك.

٢- بيان مخالفة الخلف للسلف في مفهوم الشرك.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

فهم السلف الصالح للشرك هو: أن تجعل لله نداً وهو خلقك.

جاء في «الأدب المفرد» بسندٍ حسن بما له من شواهد عن معقل بن يسار قال انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخر؟...»[(١)].

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ٢١] ... وإنا - والله - ما نعلمه كان شرك قط، إلا بإحدى ثلاث: أن يدعو مع الله إلها آخر، أو يُسجد لغير الله، أو يُسمى الذبائحَ لغير الله»[(٢)].

المبحث الثالث: نماذج من أمثلة القاعدة.

أجمع السلف الصالح على أن صرف العبادة لغير الله من الشرك، كأن يطوف بقبر، أو يذبح لغير الله، أو يستغيث بغير الله، ولو كان لا يعتقد أنه هو

---

(١) الأدب المفرد ص٢٧٧ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض قال الألباني: صحيح - «الضعيفة» تحت رقم (٣٧٥٥)، (التعليق الرغيب» (١/ ٣٩- ٤٠): (ليس في شيء من الكتب الستة).

(٢) رواه ابن جرير في تفسير ٥/ ٤٢٥.

الخالق والرازق؛ لأن المشركين كانوا لا يعتقدون أن الخالق والرازق هي تلك الأصنام، بل يعتقدون أن الخالق والرازق هو الله عَزَّوَجَلَّ، ومع ذلك بين الله سبحانه وتعالى أنهم وقعوا في الشرك عندما صرفوا لها شيئاً من أنواع التعبدات بالجوارح أو بالقلوب أو بالألسنة.

يدل على إجماعهم أمران:

الأمر الأول: أنه لم ينقل عنهم تعريف الشرك بغير ذلك فكان إجماعا تركيا ومن المعلوم: أن الإجماع التركي حجة عند الأصوليين وقد استدل به الأئمة -كالإمام مالك إمام دار الهجرة بعد تصريحه بأنه إجماع - بكثرة.

الأمر الثاني: أن عددا من السلف بينوا مفهوم الشرك وانتشر ذلك ولم يخالفهم أحد فصار إجماعا.

ومن شواهد فهم السلف:

١- قال ابن زيد في قول الله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

قال: الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له[(١)].

٢- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢] قَالَ: «أَشْبَاهًا»[(٢)].

٣- وعنه، فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ٢٢] قَالَ:

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٢٦٩ برقم: ٤٨٣ ط/ ١ الناشر مؤسسة الرسالة تحقيق أحمد شاكر.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٦٢ برقم: ٢٢٨.ط/ ٣ الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز.

(الْأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانَةُ، وَحَيَاتِي، وَيَقُولُ: لَوْلَا كَلْبُهُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا؛ فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ)[1].

٤- وعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] أَيْ عِدْلًا شِرْكًا وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَقَتَادَةَ، وَالسُّدِّيِّ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ نَحْوُ ذَلِكَ[2].

٥- وعن قتادة، ومجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] أي عُدَلاء[3].

٦- قال عكرمة: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] أي تقولوا: لولا كلبنا لدخل علينا اللص الدار، لولا كلبنا صاح في الدار، ونحو ذلك[4]، فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئا، وأن يعبدوا غيره، أو يتخذوا له ندا وعدلا في الطاعة، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم وفي

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٦٢ برقم: ٢٢٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير الطبري ١/ ١/ ٢٦٨ برقم: ٤٨٠.

(٤) تفسير الطبري ١/ ٢٦٩ برقم: ٤٨٥.

رزقكم الذي أرزقكم، وملكي إياكم، ونعمتي عليكم، فكذلك فأفردوا لي الطاعة، وأخلصوا لي العبادة، ولا تجعلوا لي شريكًا ونداً من خلقي، فإنكم تعلمون: أن كل نعمة عليكم مني.

٧- وعن عمرو بن عبسة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في وصف حاله وحال غيره في الجاهلية: (ينزل الحي ليس معهم إله، فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعة أحجار، فينصب ثلاثة لقدره، ويجعل أحسنها إلها يعبده. ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره إذا نزل منزلا سواه)(١).

٨- ومن ذلك أيضا: قول أبي رجاء العطاردي -وهو من المخضرمين-: (كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرا هو أخير ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناها عليه، ثم طفنا به)(٢).

٩- وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ٢١]، يعني: عدوّ الله إبليس، أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة، فقال لهم: خاصموا أصحاب محمد في الميتة، فقولوا: أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون، وأما ما قتل الله فلا تأكلون، وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمر الله، فأنزل الله على نبيه: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١] وإنا - والله - ما نعلمه كان شرك قط، إلا بإحدى ثلاث: أن يدعو مع

---

(١) الطبقات الكبرى ٤ / ١٦٤.

(٢) رواه البخاري ٤٣٧٦.

الله إلها آخر، أو يُسجد لغير الله، أو يُسمى الذبائحَ لغير الله)[(١)].

١٠- جاء في «الأدب المفرد» بسندٍ حسن بما له من شواهد عن معقل بن يسار قال انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخر؟ قال النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟**» قَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لما لا أعلم**»[(٢)].

من أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢].

ما روى الشيخان عن ابن مسعود قال: سألت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**»[(٣)]. ما رواه مسلم أيضًا عنه: قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: أن

(١) رواه ابن جرير في تفسير ٥/ ٤٢٥.

(٢) الأدب المفرد ص٢٧٧ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض قال الألباني: صحيح - «الضعيفة» تحت رقم (٣٧٥٥)، (التعليق الرغيب» (١/ ٣٩- ٤٠): (ليس في شيء من الكتب الستة).

(٣) أخرجه البخاري ٦/ ١٨ برقم: ٤٤٧٧ ط/ ١ الأميرية ومسلم ١/ ٦٣ برقم: ١٧٠ الناشر دار الجيبل.

تدعو لله ندا وهو خلقك...الحديث -وفي آخره- فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ تصديقها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝٦٨﴾[1] [الفرقان: ٦٨].

شِرْكُ القبُوريين والوثَنيين واحدُ:

وإذا تقرر هذا فلا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات، أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه، إما استقلالا أو مع الله تعالى، وناداه أو توجه إليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق، فلم يخلص التوحيد لله، ولا أفرده بالعبادة؛ إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه، ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة. ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله، أو معه حجرا، أو شجرا، أو ملكا، أو شيطانا كما كانت تفعل ذلك الجاهلية، وبين أن يكون إنسانا من الأحياء، أو الأموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين .وكل عالم يعلم هذا ويقر به فإن العلة واحدة، وعبادة غير الله وتشريك غيره معه تكون للحيوان كما تكون للجماد وللحي كما تكون للميت... فمن زعم أن ثم فرقا بين من اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضر وينفع وبين من اعتقد من ميت من بني آدم، أو حي منهم أنه يضر أو ينفع أو يقدر على أمر لا يقدر عليه إلا الله فقد غلط غلطا بينا، وأقر على نفسه بجهل كبير؛ فإن الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغيره

(١) أخرجه مسلم ١/ ٦٣ برقم: ١٧١.

فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه.

ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكا بالصنم والوثن والإله، ليس فيه زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد، كما يفعله كثير من المسلمين، بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن؛ إذ ليس الشرك هو بمجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات، بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئا يختص به -سبحانه وتعالى- سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية، أو أطلق عليه اسما آخر فلا اعتبار بالاسم قط. ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل العلم.

وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها، واعتقاد أنها تضر وتنفع الاستغاثة بها عند الحاجة، والتقريب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور، فإنهم قد عظموها إلى حد لا يكون إلا لله -سبحانه-، بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده أو قريبا منه، مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت، وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله، أو في مسجد من المساجد، أو قريبا من ذلك. وربما حلف بعض غُلاتهم بالله كاذبا، ولم يحلف بالميت الذي يعتقده، وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحد منهم ميتا أو حيا عند استجلابه لنفع، أو استدفاعه

لضر قائلا: يا فلان افعل لي كذا أو كذا، وعلى الله وعليك، وأنا بالله وبك، وأما التقريب للأموات فانظر ما يجعلونه من النذور لهم، وعلى قبورهم في كثير من المحلات، ولو طلب الواحد منهم أن يسمح بجزء من ذلك لله عَزَّوَجَلَّ لم يفعل، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء[(١)].

مفهوم الشرك عند الخلف:

١- يقول القاضي علي بن عبد الكافي السبكي في تقرير ما يفعل عند قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنواع الاستغاثات والتوسلات، وأن ذلك ليس من معنى الشرك؛ إذ أن الشرك متعلق بجانب الربوبية فقط، أما تلك الاستغاثات، فالباعث عليه تعظيم قدر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعتقاد عظيم جاهه عند الله تعالى دون أن يكون فيها صرف شيء من خصائص الربوبية له، فهو وسيلة للداعي عند ربه سبحانه وتعالى يقول: «واعلم أن ههنا أمرين لا بد منهما الأول: وجوب تعظيم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورفع رتبته على سائر الخلق. والثاني إفراد الربوبية، واعتقاد أن الرب سبحانه وتعالى بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه. فمن اعتقد في أحد في الخلق مشركة الباري سبحانه وتعالى في ذلك، فقد أشرك وجنى على جانب الربوبية فيما يجب لها، وعلى الرسول فيما أدى إلى الأمة من حقها. ومن قصر بالرسول عن شيء من رتبته، فقد جنى عليه فيما يجب له، وعلى الله تعالى بمخالفته فيما أوجب

(١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني ص ٣٣٩- ٣٤١.

لرسوله. ومن بالغ في تعظيم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنواع التعظيم، ولم يبلغ به ما يختص بالباري تعالى، فقد أصاب الحق، وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا، وذلك هو العدل الذي لا إفراط فيه ولا تفريط»(١).

٢- ويقرر علوي الحداد صحة ما عليه المستغيثون بأهل المقابر بنفي الشرك عنهم، إذ إنهم لم يعتقدوا فيهم قدرة على الخلق والإيجاد، فيقول: «هؤلاء مهما عظموا الأنبياء والأولياء فإنهم لا يعتقدون فيهم ما يعتقدون في جناب الحق تبارك وتعالى من الخلق الحقيقي التام العام، وإنما يعتقدون الوجاهة لهم عند الله في أمر جزئي وينسبونه لهم مجازا، ويعتقدون أن الأصل والفعل لله سبحانه»(٢).

٣- ويقول محمد علوي المالكي - في تقرير هذا المعنى -: «أنه لا يكفر المستغيث إلا إذا اعتقد الخلق والإيجاد لغير الله»(٣).

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- اختلاف السلف في تفسير الأنداد اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد.

٢- الند اسم جامع لكل ما عبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع

---

(١) شفاء السقام في زيارة خير الأنام ص٢٥٩.

(٢) مصباح الأنام ص٥.

(٣) مفاهيم يجب أن تصحح ص١٨٧.

وهو العبادة، فإنها حق الله وحده فمن دعا غير الله أو عبده فقد اتخذه ندا وخرج بذلك عن الدين ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر ومنافق. والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامي والألفاظ التي لا حقيقة لها.

٣- مفهوم الشرك عند السلف يشمل الشرك الأصغر؛ لأنهم فسروا الأنداد بالشرك في الألفاظ كما فسروها بالشرك الأكبر كما تم النقل عنهم.

٤- من أفراد الشرك التي نص عليها السلف: السجود لغير الله، وشرك الطاعة، والذبح لغير الله، والشرك الخفي، والشرك في الألفاظ.

٥- فهم السلف لمفهوم الشرك في غاية الأهمية لما لهم من عمق في العلم ودقة في الفهم.

٦- لم ينقل عن أحد من السلف مفهوم الشرك الذي فهمه الخلف وهو: صرف العبادة لمن يعتقد فيه الربوبية.

٧- خطورة مخالفة السلف في فهمهم حيث فهم القبورية الشرك توسلا ومحبة للصالحين.

٨- ضرورة تحرير المصطلحات لما يترتب على عدم تحريرها من الخلط والمفاسد العظيمة.

٩- الشرك أعظم الذنوب وذلك لأمور:

أ- لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فمن أشرك مع

الله أحدا فقد شبهه به. وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣].

ب- أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨].

ت- أن الله أخبر أنه حرم الجنة على المشرك وأنه خالد مخلد في نار جهنم- قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

ث- أن الشرك يحبط جميع الأعمال- قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥].

ج- أن المشرك حلال الدم والمال، قال تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥].

ح- وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»(١).

خ- أن الشرك أكبر الكبائر، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**»

(١) أخرجه البخاري ١/ ١٤ برقم: ٢٥. ومسلم ١/ ٣٨ برقم: ٣٢.

قلنا بلى يا رسول الله قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»[(١)] الحديث.

د- أن الشرك تنقص وعيب نزه الرب سبحانه نفسه عنهما، فمن أشرك بالله فقد أثبت لله ما نزه نفسه عنه وهذا غاية المحادة لله تعالى وغاية المعاندة والمشاقة لله.

١٠- أنواع الشرك:

الشرك نوعان:

النوع الأول، شرك أكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار إذا لم يتب منه، وهو صرف شيء من العبادة لغير الله، كدعاء غير الله والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من القبور والجن والشياطين والخوف من الموتى أو الجن والشياطين أن يضروه أو يمرضوه، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما يمارس الآن حول الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين. قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس: ١٨].

النوع الثاني، شرك أصغر لا يخرج من الملة لكنه ينقص التوحيد وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر. وهو قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر وهو ألفاظ وأفعال، فالألفاظ كالحلف بغير

(١) أخرجه البخاري ٣:١٧٢ برقم: ٢٦٥٤ ومسلم ١/ ٦٤ برقم: ١٧٢.

الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[(١)]. وقوله: ما شاء الله وشئت، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال: «**أجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده**»[(٢)] وقول: لولا الله وفلان- والصواب أن يقال: ما شاء الله ثم فلان، ولولا الله ثم فلان- لأن ثم للترتيب مع التراخي تجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩] وأما الواو فهي لمطلق الجمع والاشتراك لا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا. ومثله قول مالي إلا الله وأنت. وهذا من بركات الله وبركاتك.

وأما الأفعال: فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه ومثل تعليق التمائم خوفا من العين وغيرها إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه فهذا شرك أصغر. لأن الله لم يجعل هذه أسبابا. أ ما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر لأنه تعلق بغير الله.

القسم الثاني من الشرك الأصغر شرك خفي وهو الشرك في الإرادات

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٩/ ٢٧٦ برقم: ٥٣٧٥ الناشر مؤسسة الرسالة تحقيق التركي وأبو داوود ٢/ ٢٤٢ برقم ٣٢٥١ ط دار الفكر والترمذي ٤/ ١١٠ برقم ١٥٣٥ الناشر دار الإحياء تحقيق أحمد شاكر وآخرون.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٣٣٩ برقم: ١٨٣٩ والنسائي في السنن الكبرى ٩/ ٣٦٢ برقم: ١٠٧٥٩.

والنيات - كالرياء والسمعة - كأن يعمل عملا مما يتقرب به إلى الله يريد به ثناء الناس عليه، كأن يحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يمدح ويثني عليه. أو يتلفظ بالذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس فيثنوا عليه ويمدحوه. والرياء إذا خالط العمل أبطله - قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

١١- أن هناك فروقا بين الشرك الأكبر والأصغر وهي:

أ- الشرك الأكبر يخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يخرج من الملة.

ب- الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يخلد صاحبه فيها إن دخلها..

ت- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط الرياء العمل لأجل الدنيا والعمل الذي خالطاه فقط.

ث- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيحهما(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر كتاب التوحيد للعلامة الفوزان ص ٤-٨.

القاعدة الثالثة:
السلف ومفهوم الرب

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف لمفهوم الرب.

٢- بيان مخالفة الخلف للسلف.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

إن مفهوم الرب في فهم السلف هو السيد المصلح المالك كما نقله عنهم علماء الأمة..

المبحث الثالث: نماذج من أمثلة القاعدة.

قال إمام المفسرين: القول في تأويل قوله: (رَبِّ). قال أبو جعفر: ... وأما تأويل قوله (رَبِّ)، فإن الرّب في كلام العرب منصرفٌ على معان: فالسيد المطاع فيها يدعَى ربًّا، ومن ذلك قول لَبِيد بن ربيعة:

وأَهْلكْنَ يومًا ربَّ كِنْدَةَ وابنَه ... ورَبَّ مَعدٍّ، بين خَبْتٍ وعَرْعَرِ

يعني بربِّ كندة: سيِّد كندة. ومنه قول نابغة بني ذُبيان:

تَخُبُّ إلى النُّعْمَانِ حَتَّى تنالَهُ ... فِدًى لكَ من رَبٍّ طَرِيفِي وَتَالِدِي

والرجل المصلح للشيء يُدعى ربًّا، ومنه قول الفرزدق بن غالب:

كانُوا كَسَالِئَةٍ حَمْقَاءَ إذْ حَقَنتْ ... سِلاءَها فِي أدِيم غَيْرِ مَرْبُوبِ

يعني بذلك: في أديم غير مُصلَحٍ. ومن ذلك قيل: إن فلانًا يَرُبُّ صنيعته عند فلان؛ إذا كان يحاول إصلاحها وإدامتها، ومن ذلك قول علقمة بن عَبَدَة:

فكُنْتَ امرَأً أَفْضَتْ إليك رِبَابَتِي ... وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي، فَضِعْتُ رُبُوبُ

يعنى بقوله: «أفضتْ إليك» أي وصلتْ إليك رِبَابتي، فصرتَ أنت الذي تَرُبُّ أمري فتصلحه، لمّا خرجتُ من ربابة غيرك من الملوك الذين كانوا قبلك عليّ، فضيَّعوا أمري وتركوا تفقُّده - وهم الرُّبوب: واحدهم ربٌّ. والمالك للشيء يدعى رَبَّه. وقد يتصرف أيضًا معنى (الربّ) في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة.

فربّنا جلّ ثناؤه: السيد الذي لا شِبْه لهُ، ولا مثل في سُؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله جلّ ثناؤه (رَبِّ الْعَالَمِينَ)، جاءت الرواية عن ابن عباس:

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عُمارة، قال: حدثنا أبو رَوْق، عن الضحّاك، عن ابن عباس، قال: قال جبريل لمحمد: «يا محمد قل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾» [الفاتحة: ٢]، قال ابن عباس: يقول: «قل الحمد لله الذي له الخلق كله - السمواتُ كلهن ومن فيهنّ، والأَرَضُون كلُّهنّ ومن فيهنّ وما بينهن، مما يُعلم ومما لا يُعلم. يقول: اعلم يا محمد أن ربَّك هذا لا يشبهه شيء»(١).

وأخرجه أيضا الإمام ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنه(٢).

(١) تفسير ابن جرير الطبري ١/ ١٤٢ برقم: ١٥٥.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٧ برقم: ١٤.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَالرَّبُّ هُوَ: الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ، وَيُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى السَّيِّدِ، وَعَلَى الْمُتَصَرِّفِ لِلْإِصْلَاحِ، وَكُلُّ ذَلِكَ صَحِيحٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى(١).

أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: ٢].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٥] الآيات.

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ ﴾ [يونس: ٣١].

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥ ﴾ [مريم: ٦٥] والآيات كثيرة.

مخالفة الخلف للسلف:

الخلف قد خلطوا بين مفهوم الرب، ومفهوم الإله، وقالوا: كلا المفهومين واحد وسيأتي تفنيد فهمهم عند قاعدة: السلف والتفريق بين مفهومي الرب والإله.

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٣١.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- الرب اسم من أسماء الله الحسنى قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: رَبِّ الْعَالَمِينَ :ربوبيته للعالم تتضمن تصرفه فيه، وتدبيره له، ونفاذ أمره كل وقت فيه، وكونه معه كل ساعة في شأن، يخلق ويرزق؛ ويميت ويحيي، ويخفض ويرفع؛ ويعطي ويمنع؛ ويعز ويذل، ويصرف الأمور بمشيئته وإرادته، وإنكار ذلك إنكار لربوبيته وإلهيته وملكه»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وشاهد من ذكر اسمه :رَبِّ الْعَالَمِينَ قيوماً قام بنفسه؛ وقام به كل شيء، فهو قائم على كل نفس بخيرها وشرها، قد استوى على عرشه، وتفرد بتدبير ملكه، فالتدبير كله بيديه، ومصير الأمور كلها إليه، فمراسيم التدبيرات نازلة من عنده على أيدي ملائكته بالعطاء والمنع، والخفض والرفع، والإحياء والإماتة، والتوبة والعزل، والقبض والبسط، وكشف الكروب وإغاثة الملهوفين وإجابة المضطرين : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩] لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مبدل لكلماته، تعرج الملائكة والروح إليه، وتعرض الأعمال - أول النهار وآخره - عليه، فيقدر المقادير ويوقت المواقيت، ثم يسوق المقادير إلى مواقيتها، قائماً بتدبير ذلك كله وحفظه ومصالحه»(٢).

---

(١) (الصواعق المرسلة) .(4 /1223).

(٢) الصلاة وحكم تاركها (ص: ١٦٩، ١٧٠).

٢- فهم السلف لمفهوم الرب هو نفس فهم أهل اللغة لمفهوم الرب كما قرره إمام المفسرين.

٣- لم ينقل عن أحد من السلف: أن مفهوم الرب هو مفهوم الإله لتباين الإسمين الكريمين في المعنى والاشتقاق؛ لأن أسماء الله أعلام وأوصاف، فهي متباينة من حيث المعنى، وإن كانت مترادفة من حيث العلمية.

٤- إن تحرير المفاهيم أمر لا بد منه حيث إن الخلف خلطوا المفاهيم.

❁ ❁ ❁

القاعدة الرابعة:
السلف ومفهوم الإله

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف الصالح لمعنى الإله.

٢- بيان أن فهم السلف موافق للغة، والقرآن، والسنة.

٣- بيان مخالفة الخلف للسلف في معنى الإله.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

فهم السلف الصالح أن الإله هو المعبود وقد دل على ذلك القرآن، والسنة، واللغة.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف.

أجمع السلف على أن معنى الإله المعبود يدل عليه؛

١- أولا: أنه لم ينقل عن أحد من السلف في مفهوم الإله غيره، وترك النقل يقتضي نقل الترك كما دل عليه القرآن والسنة، وإجماع السلف والعقل الصحيح[(١)].

٢- ثانيا: أشار إمام المفسرين إلى هذا الإجماع فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... فإن قال: وما دلّ على أن الألوهية هي العبادة، وأنّ الإله هو المعبود، وأنّ له أصلا في «فعل ويفعل».

قيل: لا تمانع بين العرب في الحكم لقول القائل - يصف رجلا بعبادة، وبطلب مما عند الله جل ذكره: «تألَّه فلان» - بالصحة ولا خلاف. ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج:

---

(١) انظر كتابي: ترك النقل يقتضي نقل الترك تأصيلا وتطبيقا.

للهِ دَرُّ الغانِيـــــــــاتِ المُـــــــــدَّهِ   سَــبَّحْنَ واسْــتَرْجَعْنَ مِــن تَــأَلُّهِي

يعني: من تعبدي وطلبي اللهَ بعملي.

ولا شك أنّ «التألُّه»، التفعُّل من: «أَلَه يأله»، بالفتح فيهما وأن معنى «أله» - إذا نُطق به:- عَبَدَ اللهَ. وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه ب «فعل يفعل» بغير زيادة.

وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع، قال حدثنا أبي، عن نافع بن عُمر، عن عَمرو بن دينار، عن ابن عباس: أنه قرأ (وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ) سورة الأعراف: ١٢٧ قال: عبادتَك، ويقال: إنه كان يُعبَد ولا يَعبُد.

قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا ابن عُيينة، عن عمرو بن دينار، عن محمد بن عمرو بن الحسن، عن ابن عباس: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، قال: إنما كان فرعونُ يُعبَد ولا يَعبُد وكذلك كان عبدُ الله يقرؤها ومجاهد.

قال: حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: أخبرني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: قوله «ويذرَكَ وإلاهتك» قال: وعبادتَك ولا شك أن الإلاهة - على ما فسره ابن عباس ومجاهد - مصدرٌ من قول القائل: أَلَه اللهَ فلانٌ إلاهةً، كما يقال: عَبَد الله فلانٌ عبادةً، وعَبَرَ الرؤيا عبارةً. فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا: أنّ «أله» عَبد، وأن «الإلاهة» مصدرُه. قلت: ولم يخالفهم غيرهما فكان إجماعا»[1].

(١) تفسير ابن جرير الطبري ١/ ١٢٢-١٢٤ ط/ ١ الناشر مؤسسة الرسالة.

٣- ثالثا: صرح بعض العلماء بهذا الإجماع ومنهم:

أ- قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: (فاعلم أن الإله هو: المعبود. هذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئًا فقد اتخذه إلهًا من دون الله، وجميع ذلك باطل، إلاَّ إله واحد، وهو الله وحده تبارك وتعالى علوًا كبيرًا)[1].

ب- وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله - بعد ما نقل كلام أهل العلم في معنى الإله -: (وهذا كثير جدا في كلام العلماء وهو إجماع منهم أن الإله هو المعبود خلافا لما يعتقده عباد القبور وأشباههم في معنى الإله أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات ويظنون أنهم إذا قالوها بهذا المعنى فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله كدعاء الأموات والاستغاثة بهم في الكربات وسؤالهم قضاء الحاجات والنذر لهم في الملمات وسؤالهم الشفاعة عند رب الأرض والسموات إلى غير ذلك من أنواع العبادات وما شعروا أن إخوانهم من كفار العرب يشاركونهم في هذا الاقرار ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع ويعبدونه بأنواع من العبادات فليهن أبا جهل وأبو لهب ومن تبعهما من الإسلام بحكم عباد القبور وليهن أيضا إخوانهم عباد ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر إذ جعل هؤلاء دينهم هو الإسلام المبرور ولو كان

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»: (٤/ ١٦). درر السنية ١/ ٥٣ ط/ ٢.

معناها ما زعمه هؤلاء الجهال لم يكن بين الرسول صلى الله عليه و سلم وبينهم نزاع بل كانوا يبادرون إلى إجابته ويلبون دعوته إذ يقول لهم قولوا لا إله إلا الله)[١].

ج- الشيخ عبد الله بن عبدالرحمن أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «جميع العلماء من المفسرين، وشراح الحديث، والفقه، وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود، وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين، فظن أن الإله هو القادر على الاختراع، وهذه زلة عظيمة، وغلط فاحش، إذا تصوره العامي العاقل، تبين له بطلانه، وكأنَّ هذا القائل، لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين، في مواضع من كتابه، ولم يعلم أن مشركي العرب، وغيرهم، يقرون بأن الإله هو القادر على الاختراع، وهم مع ذلك مشركون.

ومن أبعد الأشياء: أن عاقلاً يمتنعُ من التلفظ بكلمة يقرُّ بمعناها، ويعترف به ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً، هذا ما لا يفعله من له أدنى مسكة من عقل.

قال أبو العباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع، دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨] وقال

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٦.

تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: ٨٣-٨٥] الآيات.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال ابن عباس: تسألهم، من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره»[١].

رابعا: ومن شواهد ذلك من كلام السلف الصالح رحمهم الله:

١- عن ابن عباس أنه قرأ: (ويذرك وإلهتك) قال: (عبادتك)[٢].

٢- وقال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾ [الزخرف: ٨٤] أي يعبد في السماء ويعبد في الأرض[٣].

٣- وقال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي له الألوهة في السماء معبود، وفي الأرض معبود كما هو في السماء معبود، لا شيء سواه تصلح عبادته؛ يقول تعالى ذكره: فأفردوا لمن هذه صفته العبادة، ولا تشركوا به شيئا غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل[٤].

(١) رسالة: «معنى العبادة والإخلاص» ضمن مجموعة التوحيد ١/ ١٦٩.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ١/ ١٢٢-١٢٤.

(٣) المرجع السابق ٢١/ ٦٥٣.

(٤) المرجع السابق.

٤- ذكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه القبس أن مالكا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسر الإله بالمعبود وذلك عند قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ۝٢٣﴾ [الجاثية: ٢٣] قال المخزومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت مالكا يقول: «لا يرى شيئا إلا عبده»(١).

٥- ونقل الإمام عبدالرزاق الصنعاني تفسير قتادة مفهوم الإله وأقره، فقال: عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۝٨٤﴾ [الزخرف: ٨٤] قَالَ: «يُعْبَدُ فِي السَّمَاءِ وَيُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ».

٦- وقال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۝٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩].

وَبِهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: «وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ عَادٍ فِيمَا بَلَغَنِي وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عُرُبًا، وَكَانُوا أَصْحَابَ أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، صَنَمٌ يُقَالُ لَهُ: صُدَاءٌ، وَآخَرُ يُقَالُ لَهُ: صُمُودٌ، وَصَنَمٌ يُقَالُ لَهُ: الْهَبَاءُ، فَبَعَثَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ هُودًا فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ، وَلَا يَجْعَلُوا مَعَهُ إِلَهًا غَيْرَهُ، وَأَنْ يَكُفُّوا، عَنْ ظُلْمِ النَّاسِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ فِيمَا يَذْكُرُونَ وَاللهُ أَعْلَمُ بِغَيْرِ ذَلِكَ»(٢).

وفهم السلف لمفهوم الإله موافق للغة:

اتفق أهل اللغة على أن الإله فعال بمعنى المفعول وإليك بعض أقوالهم:

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن العربي ص١٠٨١. ط/ ١ الناشر دار الغرب.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٠٨ ط/ ٣ مكتبة نزار مصطفى الباز.

١- قال ابن فارس ت ٣٩١ في «معجم مقاييس اللغة» ألَه الهمزة، واللام، والهاء أصل واحد وهو التعبد فالإله الله تعالى، وسمي بذلك؛ لأنه معبود، ويقال: تألّه الرجل إذا تعبد قال رؤبة:

لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي والإلاهية الشمس سميت بذلك؛ لأن قوما كانوا يعبدونها قال شاعر: فبادرنا الإلهية أن تؤويا[(١)].

٢- وقال الفيروز آبادي: «أله آلهة، وألوهة، وألوهية عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة، واختلف فيه على عشرين قولا ذكرتها في المباسط وأصحها أنه علم غير مشتق وأصله إله كفعال بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبودا إله عند متخذه...»[(٢)].

٣- وقال ابن منظور: «أله الإله الله عَزَّوَجَلَّ وكل ما اتخذ من دونه معبودا إله عن متخذه والجمع آلهة...»[(٣)].

٤- وقال الجوهري: «أله بالفتح إلاهة أي عبد عبادة، ومنه قرأ ابن عباس (ويذرك وإلاهتك) بكسر الهمزة قال وعبادتك وكان يقول: إن فرعون كان يعبد في الأرض...»[(٤)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١/ ١٢٧. تحقيق عبدالسلام هارون ط/ دار الفكر.

(٢) قاموس المحيط ١٢٤٢.

(٣) «لسان العرب» ١/ ١٨٨.

(٤) «الصحاح» ٦/ ٢٢٢٣.

٥- قال أبو منصور الأزهري: «قال الليث بلغنا أن اسم الله الأكبر هو الله لا إله إلا هو وحده...والتأله التعبد». وقال أبو الهيثم: «فالله أصله إله قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، قال ولا يكون إلهـًا حتى يكون معبوداً وحتى يكون لعابده خالقـًا ورازقـًا ومدبراً وعليه مقتدراً، فمن لم يكن كذلك فليس بإله وإن عبد ظلما بل هو مخلوق ومتعبد...، وكانت العرب في جاهليتها يدعون معبوداتهم من الأصنام والأوثان آلهة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ ١٢٧ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] وهي أصنام عبدها قوم فرعون معه».

فالإله عند العرب هو المعبود فإن كان معبوداً بحق فهو الله ولا تصح العبادة إلا لله وحده؛ لأنه لا يستحق العبادة إلا هو؛ لأنه الخالق الرازق المدبر المقتدر كما قال أبو الهيثم.

والتأله التعبد كما قال الليث، وليس اعتقاد أنه الخالق الرازق وإن كانت الخالقية والرازقية من صفاته، لكن تفسير «الإله» بالخالق الرازق المدبر باطل يوقع في الضلال وينسي الناس المعنى الحقيقي لكلمة التوحيد لا إله إلا الله[(١)].

٦- وقال الزنجاني في مادة أله: «أله بالفتح إلاهة أي عبد عبادة، وقولنا الله أصل هذا الاسم «إله» على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود فلما أدخل

(١) تهذيب اللغة (٦/ ٤٢١-٤٢٤).

عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرته في الكلام، والتأله التعبد»[١].

وإذا فالله مألوه بمعنى معبود يتجه إليه المخلوق بالعبادة فالعبادة من فعل المخلوق يعبد بها خالقه من خضوع وخشوع وتذلل وصلاة وصيام ودعاء وإخلاص ورجاء وحب وخوف وتوكل وذبح ونذر ونحو ذلك مما يعبد به الإنسان إلهه على الوجه الذي شرعه الله، فهذه العبادات كلها من أفعال المخلوقين يتقربون بها إلى معبودهم الحق وهو الله وليست أفعال الله، تعالى وتقدس وتنزه.

فتفسير الإله بأنه الخالق الرازق المدبر تفسير باطل صادر عن جهل بالعبادة والمعبود المألوه.

من أدلة القاعدة:

الآيات القرآنية الدالة على أن معنى (الإله) هو المعبود:

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

٢- وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٥] ونحوهما.

ففي هاتين الآيتين الكريمتين ذكر الله سُبحانه وتعالى دعوةَ نوح وهود عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ لأقوامهما؛ إذ بيَّنا لهم أنَّه لا إله لهم غير الله يستحقُّ العبادة، فدلَّ

(١) تهذيب الصحاح (٣/ ٨٩٧).

على أن المطلوب من العباد تحقيقه بكلمة التوحيد هو إفرادُ الله بالعبادة، وأنَّ معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحقٍّ إلا الله، فهو المستحقّ للعبادة، وقوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ هو كلمة التوحيد المشتملة على النفي والإثبات، فـ (مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ) بمثابة (لَا إله)، و (غَيْرُهُ) بمثابة (إلا الله)، وقد قدَّما تلك الكلمة بالأمر بالعبادة، فهما يقولان: (اعبدوا الله؛ ما لكم من معبودٍ غيره).

٣- وممَّا يدلُّ على ذلك أنَّ قوم نوحٍ وقوم هود كانت لهم أصنام عديدة، فأمروا بإفراد العبادة لله سبحانه، يقول ابن أبي حاتم: «وكانوا أصحابَ أوثانٍ يعبدونها من دون الله، صنمٌ يقال له: صداء، وآخر يقال له: صمود، وصنم يقال له: الهباء، فبعث الله عَزَّوَجَلَّ لهم هودا، فأمرهم أن يوحِّدوا الله، ولا يجعلوا معه إلهًا غيره.

٤- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] يخبِرُ الله سبحانه وتعالى أنَّه لم يرسل رسولًا إلا بكلمة التَّوحيد: (لا إله إلا الله). ثمَّ ربط ذلك بالعبادة فقال: (فَاعْبُدُونِ)، والمعنى: لا معبود إلَّا الله فاعبدُوه ولا تعبدوا غيرَه، ولو كان معناهُ: لا قادر على الاختراع إلا الله لكان المطلوب المباشر هو :لا خالق إلا الله فاعتقدُوا ذلك، ومعلومٌ أنَّ غالب الأمم لم ينكروا أنَّ الله خالقٌ، يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال قتادة: لم يرسَل نبيٌّ إلا بالتَّوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكل ذلك دليلٌ على الإخلاص والتَّوحيد».

٥- وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤] هذه الآية من أوضحِ الآيات وأبينِها في الدلالة على أنَّ (لا إله إلا الله) تعني: (لا معبود بحقّ إلا الله)، ففي هذه الآية نداءٌ لأهلِ الكتاب إلى الاجتماع على كلمةٍ سواء، وهي كلمة التَّوحيد، قال أبو العالية: «كلمة السَّواء: لا إله إلا الله»، وقال أبو الليث السمرقندي: «ويقال في قراءة عبد الله بن مسعود: إلى كلمة عدل بينَنا وبينكم، يعني: لا إله إلا الله، وهي كلمة الإخلاص، وقال ابن أبي زمنين: يعني: لا إله إلا الله»، وقال الراغب الأصفهاني: «وقول الربيع وأبي العالية (كَلِمَةٍ سَوَاءٍ) هي: لا إله إلا الله، فصحيح».

ثمَّ فَسَّر الله هذه الكلمة التي دعاهم إليها، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤]، وتأمَّل في (لا إله إلا الله) كيف اشتملت على النفي والإثبات، وماذا يقوم مقام هذه الكلمة في قوله تعالى :أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا الله يتضح لك جليًّا ما نروم التَّأصيل له في هذا المقال، فـ (لا إله) يقابله (لَا نَعْبُدَ) و(إِلَّا الله) متفق في الاثنين، فالإله إذا هو المعبود.

٦- وقال تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

وهُنا في هذه الآية أيضًا يتحدَّث الله سبحانه وتعالى عن كلمة التوحيد، ثم

يوجب العبادة، فلا معبود بحقّ إلا الله، يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان هذا المعنى: (إِنَّنِي أَنَا اللهُ) يقول تعالى ذكره: إنَّني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا لَه، (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) فلا تعبد غيري، فإنَّه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي.

فقوله سبحانه: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) أي: لا معبود إلا أنا؛ ولذا ربطَ ذلك بقوله: (فَاعْبُدْنِي)، فدلَّ على أنَّ الإله هو المعبود.

٧- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

وهذا واضح (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) أتى بعد أمرهم بعبادة الله جَلَّوَعَلَا وحده دون ما سواه، وهذا كثير في الكتاب والسنة.

٨- وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال لحصين بن عبدالرحمن: «كم إله تعبد؟» قال: أعبد سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: «فمن ذا الذي تعد لرغبك ولرهبك؟» قال: الذي في السماء(١). فهذا معنى الإله، وهذا معنى لا إله، أي لا معبود، فهذا التفسير جاء من الله جَلَّوَعَلَا ومن نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وليس تفسيرا اجتهاديا.

مخالفة الخلف للسلف:

فسَّر المتكلِّمون الإلهَ بأنَّه: القادر على الاختراع.

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٥١٩ برقم: ٣٤٨٣ قال الترمذي: غريب وقال الألباني: ضعيف.

١- قال عبدالقاهر البغدادي وهو يحكي عقيدة الأشعري: «واختلفَ أصحابُنا في معنى الإله: فمنهم من قال: إنَّه مشتقّ من الإلهيَّة، وهي: قدرتُه على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعريّ»[١].

٢- وقال الشهرستاني: «قال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: إذا كانَ الخالقُ على الحقيقة هو الباري تعالى لا يشاركه في الخلق غيرُه، فأخصّ وصفه تعالى هو: القدرة على الاختراع . قال: وهذا هو تفسير اسمه تعالى الله»[٢].

٣- ويقول الرازي: «خاصية الإلهية هي القدرة على الاختراع، ومما يؤكِّد ذلك أنَّ فرعون لما طلب حقيقة الإله، قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣] قال موسى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٦]، والرُّبوبية إشارة إلى الخالقيَّة التي ذكرها هاهنا، وكلّ ذلك يدلُّ على قولنا»[٣].

٤- وفسر السنوسي الشهادة بأحد معنيين:

أحدهما: أن المراد بالإله المعبود الحق، وعلى هذا يكون معنى الشهادة: لا مستحق للعبودية في الوجود إلا الفرد الذي هو خالق العالم جَلَّ وَعَلَا.

وإن شئت قلت في معنى «الإله» هو المستغني عن كل ما سواه، والمفتقر

(١) أصول الدين للبغدادي ص١٢٣.

(٢) الملل والنحل ١/ ١٠٠.

(٣) تفسير الرازي ٣٢/ ٢١٧.

إليه كل ما عداه، وعلى هذا يكون معنى «لا إله إلا الله» لا مستغني عن كل ما سواه ومفتقر إليه كل ما عداه إلا الله تعالى. وهو أظهر من المعنى الأول وأقرب منه، وهو أصل له، لأنه لا يستحق أن يعبد أي يذل له كل شيء إلا من كان مستغنياً عن كل ما سواه مفتقراً إليه كل ما عداه، فظهر أن العبارة الثانية أحسن من الأولى[1].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- دل فهم السلف الصالح على أن معنى الإله: المعبود كما سبق النقل عنهم.

٢- ودلت اللغة العربية على أن معنى الإله: المعبود كما سبق النقل عنهم.

٣- خالف الخلف القرآن، والسنة، وفهم السلف، واللغة في مفهوم الإله ففسروه بالقادر على الاختراع وهذا هو قول المعتزلة والأشاعرة والصوفية، -والصوفية يوافقون الأشاعرة في أغلب اعتقاداتهم الكلامية- فإن الإله عندهم بمعنى القادر على الاختراع، ولو رجعتم إلى كتب هؤلاء مثل كتاب القاضي عبدالجبار الهمداني -وهو من أئمة المعتزلة- شرح الأصول الخمسة، فإنه ينص على أن الإله معناه: القادر على الخلق والإبداع والاختراع، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ٣٥].

وكذلك كتب الأشاعرة، مثل كتب الجويني (الإرشاد) أو (لمع الأدلة) أو

(١) شرح أم البراهين ص٧٤. وانظر منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ١/ ٥٨٣.

(الشامل في أصول الدين)، أو كتب الرازي أو أبي حامد الغزالي، أو كتب الصوفية، ومصادرهم الأصلية تصرح أن الإله هو القادر على الاختراع، وكذلك عبدالوهاب الشعراني يقرر ذلك فقد ألف كتاباً في عقائد الصوفية سماه: (الدرر والجواهر في عقائد الأكابر) -يعني: أكابر الصوفية- يفسر فيه الإله بأنه القادر.

ومن المعلوم: أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة؛ لأنَّ الخصومة وقعت بين المرسلين وأقوامهم في العبودية لا في الربوبية.

فالمشركون أثبتوا آلهة وعبدوهم، كما قال عَزَّوَجَلَّ ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا ۝٨١ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ۝٨٢ ﴾ [مريم: ٨١-٨٢] وكقوله ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ ﴾ [ص: ٥] يعني أَجَعَلَ المعبودات معبوداً واحداً.

٤- على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للإله الحق فإن اللازم له أن يكون خالقا قادرا على الاختراع ومتى لم يكن كذلك فليس بإله حق وإن سمي إلها وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الاختراع فقد دخل في الإسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام فإن هذا لا يقوله أحد لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين ولو قدر أن بعض المتأخرين أرادوا ذلك فهو مخطئ يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية [(١)].

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله آل الشيخ - ص٦٠.

٥- أن تفسير «الألوهية» بالمالكية من قبيل حمل نصوص الكتاب والسنة على المصطلحات البدعية، وهو زيغ وتنكب لسبيل السلف ومنابذة لتخاطب العرب وتفاهم السلف، واللسان العربي حتى باعتراف الكوثري وشهادته.

٦- إن من أسباب عدم وضوح منهج الأشاعرة في توحيد الألوهية: تعريف كلمة (إله) عند الأشعرية: فإنه قد عرف كثير من الأشعرية كلمة (إله) بأنه القادر على الاختراع كما سبق.

٧- ومن المؤسف أنه يوجد كثير من الكتاب الآن الذين يكتبون في هذه الأبواب تجدهم عندما يتكلمون على التوحيد لا يقررون أكثر من توحيد الربوبية، وهذا غلط ونقص عظيم، ويجب أن نغرس في قلوب المسلمين توحيد الألوهية أكثر من توحيد الربوبية، لأن توحيد الربوبية لم ينكره أحد إنكاراً حقيقيًا، فكوننا لا نقرر إلا هذا الأمر الفطري المعلوم بالعقل، ونسكت عن الأمر الذي يغلب فيه الهوى هو نقص عظيم، فعبادة غير الله هي التي يسيطر فيها هوى الإنسان على نفسه حتى يصرفه عن عبادة الله وحده، فيعبد الأولياء ويعبد هواه، حتى جعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي همه الدرهم والدينار ونحوهما عابداً، وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

٨- تفسير المبتدعة لكلمة الإله له آثار خطيرة؛ لأنه يترتب عليه انحرافات كبيرة جداً في حياة الأمة:

أ- منها أن هذا التفسير يصير توحيد الربوبية هو أول الواجبات، مما

يؤدي إلى عدم الاعتناء بتوحيد الألوهية اعتناءاً جيداً، بل يؤدي إلى عدم معرفته حق المعرفة، إذ يتصور كثير من عوامهم بل من نسب إلى العلم من المتأخرين منهم أن شرك المتقدمين كان لاعتقادهم بعض صفات الربوبية في الأصنام والأوثان، فغفل كثير منهم عن حقيقة الشرك وبعض مظاهره، فوقعوا في الشرك بالله من الاستغاثة بغير الله والذبح لغيره وغير ذلك.

ب- ومنها: أن هذا الذي قالوه هو الذي فتح باب الشرك في المسلمين؛ لأنهم ظنوا أن التوحيد هو إفراد الله بالربوبية، فإذا اعتقد أن القادر على الاختراع هو الله وحده صار موحدا، إذا اعتقد أن المستغني عما سواه والمفتقر إليه كل ما عداه هو الله وحده صار عندهم موحدا، وهذا من أبطل الباطل.

ت- ومنها: تسويغ القبورية والدفاع عن عبادة القبور في العالم الإسلامي، ولهذا انتشرت عبادة القبور من دون الله في البلاد الإسلامية انتشاراً كبيراً، بسبب الانحراف الذي حصل في مفهوم الإله، ومفهوم شهادة أن لا إله إلا الله عند علماء المعتزلة والأشعرية، فسوغوا لبناء المساجد على القبور، وللطواف حول القبور، بل سوغوا للذبح والنذر لها.

❊ ❊ ❊

القاعدة الخامسة:
السلف ومفهوم لا إله إلا اللّه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف لمفهوم لا إله إلا الله.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- بيان مخالفة الخلف للسلف في مفهوم هذه الكلمة.

٤- بيان أن خطأهم في مفهوم لا إله إلا الله سبب عبادتهم غير الله.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أن السلف فسروا لا إله إلا الله بلا معبود بحق إلا الله.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف:

أجمع السلف على أن معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله يدل عليه أمور:

الأمر الأول: أنه لم ينقل عنهم تعريف لا إله إلا الله بغير ذلك فكان إجماعا تركيا ومن المعلوم: أن الإجماع التركي حجة عند الأصوليين وقد استدل به الأئمة -كالإمام مالك إمام دار الهجرة بعد تصريحه بأنه إجماع - بكثرة.

الأمر الثاني: أن عددا من السلف بينوا مفهوم لا إله إلا الله وانتشر ذلك ولم يخالفهم أحد فصار إجماعا.

الأمر الثالث: أن مفاهيم المبتدعة للا إله إلا الله معلوم فسادها من الدين بالضرورة.

من شواهد ذلك:

١- وأخرج الطبراني في السنة عن ابن عباس ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ﴾

يريد الذي ليس معه شريك فكل معبود من دونه فهو خلق من خلق لا يضرون ولا ينفعون ولا يملكون رزقا ولا حياة ولا نشورا [١].

٢- وعن ابن عباس، وقتادة: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] أي: لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه [٢]. قوله رضي الله عنهما: لا تشركوا أي لا إله وقوله رضي الله عنهما غيره أي إلا الله.

٣- وقال ابن زيد في قول الله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، قال: الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له [٣].

٤- وعن عكرمة: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾، أن تقولوا: لولا كلبنا لَدَخل علينا اللصّ الدارَ، لولا كلبنا صَاح في الدار، ونحو ذلك، فنهاهم الله تعالى أن يُشركوا به شيئًا، وأن يعبدوا غيرَه، أو يتخذوا له نِدًّا وَعِدلا في الطاعة، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم، وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم، ونعمي التي أنعمتها عليكم - فكذلك فأفردوا ليَ الطاعة، وأخلصُوا ليَ

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ٢/ ١٧٦.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٣٧٠، وتمامه في ابن كثير ١: ١٠٥، والدر المنثور ١: ٣٤، والشوكاني ١: ٣٩.

(٣) المرجع السابق.

العبادة، ولا تجعلوا لي شريكًا ونِدًّا من خلقي، فإنكم تعلمون أن كلّ نعمةٍ عليكم فمنِّي[(١)].

٥- وقال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هُوَ الْحَيُّ) يقول: هو الحي الذي لا يموت، الدائم الحياة، وكل شيء سواه فمنقطع الحياة غير دائمها (لا إِلَهَ إِلا هُوَ) يقول: لا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين، مخلصين له الطاعة، مفردين له الألوهة، لا تشركوا في عبادته شيئا سواه، من وثن وصنم، ولا تجعلوا له ندا ولا عدلا[(٢)].

٦- وقال رحمه في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [هود: ١٤] يَقُولُ: وَأَيْقِنُوا أَيْضًا أَنْ لَا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُّ الْأُلُوهَةَ عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا اللهُ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، فَاخْلَعُوا الْأَنْدَادَ وَالْآلِهَةَ، وَأَفْرِدُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.

من أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦- ٢٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ٢١/ ٤١٠.

﴿رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ونفسه وحسابه على الله»**(١) والأدلة كثيرة معلومة.

مخالفة الخلف للسلف:

١- قالت طائفة: معناها لا معبود إلا الله، وبناء على ذلك فإنهم ألهوا كل معبود من دون الله وهذا هو مذهب أهل الحلول والاتحاد.

٢- وقالت فرقة: معناها لا موجود إلا الله فليس لله تعالى وجود سوى هذا العالم المرئي وهؤلاء هم أهل وحدة الوجود.

٣- وقالت فرقة: إن معنى لا إله إلا الله هو القدرة على الاختراع، وأن من اعتقد أن الله هو وحده القادر على الاختراع، فقد حقق معنى لا إله إلا الله. وهذا هو قول أهل الكلام ومنهم الأشاعرة(٢).

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- فسر السلف لا إله إلا الله بلا معبود بحق إلا الله.

وهذا المعنى هو الذي اتفقت عليه دعوة المرسلين وشرائع النبيين، فما

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٢٩ برقم: ٣٩.

(٢) الرسالة السلفية نقلا عن سبيل الهدى والرشاد ص١٥.

من رسول أرسله الله عَزَّوَجَلَّ إلا دعا قومه إليه، وحذرهم مخالفته، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] يقول العلامة الصنعاني: في تقرير ذلك: «إن رسل الله وأنبياءه من أولهم إلى آخرهم بعثوا لدعوة العباد إلى توحيد العبادة... وهذا الذي تضمنه قول: (لا إله إلا الله) فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة، واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان.

ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لِمَا يعبد من دونه والبراءة منه.

وهذا الأصل لا مرية فيما تضمنه، ولا شك فيه، وفي أنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه»[(١)].

٢- فهم السلف لهذه الكلمة هو الذي دل عليه القرآن والسنة.

٣- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به. وممن اعتصم بفهم السلف:

أ- قال القرافي: «وليس المراد من النفي نفي المعبود كيف كان، لوجود المعبودين في الوجود، كالكواكب والأصنام، بل ثم صفة مضمرة؛ تقديره لا معبود مستحق للعبادة إلا الله، ومن لم يضمر هذه الصفة لزمه أن يكون تشهده كذبا»[(٢)].

ب- وقال الصفتي في تفسير لا إله إلا الله: «جملة لا إله إلا الله خبر ومعناه

---

(١) تطهير الاعتقاد ٥-٦.

(٢) نقله في «مواهب الجليل» ١/ ٤٣٩.

الحقيقي: لا معبود بحق إلا الله، ويلزم من ذلك كونه مستغنيا عما عداه ومفتقرا إليه كل ما سواه»[(١)].

ت- وسئل رزوق عن معنى لا إله إلا الله، فقال: «الإله أطلقه العرب على كل معبود بحق، أو بباطل، فجاء الشرع فنفى ما سواه، وهو لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله؛ لأنه لا مستحق للاتصاف بالكمالات سواه»[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) حاشية سنية وتحقيقات بهية ص٦.

(٢) النوازل لأبي الحسن العلمي ٣/ ٢٧٩ ط/ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية.

القاعدة السادسة:
السلف ومفهوم العبادة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من فهمهم العبادة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان مفهوم العبادة عند السلف.

٢- بيان أن العبادة هي التوحيد.

٣- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم للعبادة.

٤- بيان وجوب الاقتداء بالسلف.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

فهم السلف للعبادة أنها هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

المبحث الثالث: نماذج من فهمهم العبادة.

أجمع السلف الصالح على أن العبادة هي التوحيد؛ لأنه لم ينقل عنهم غيره ولأن هذا المفهوم هو الذي دل عليه الكتاب والسنة:

ومن شواهد هذا الإجماع:

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قُلْ يَا مُحَمَّدُ، وَهُوَ جِمَاعُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] يَعْنِي إِيَّاكَ نُوَحِّدُ وَنَخَافُ وَنَرْجُو يَا رَبَّنَا لَا غَيْرَكَ»[(١)].

٢- ونقل عنه السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ عنه أنه قال: «كل مَا ورد فِي الْقُرْآن من الْعِبَادَة فَهُوَ بِمَعْنى التَّوْحِيد..»[(٢)].

٣- وعَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٩.

(٢) انظر تفسير السمعاني ١/ ٥٦.

قَالَ: «يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أَمْرِكُمْ»[(١)].

٤- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١] للفريقين جميعًا من الكفار والمنافقين، أي وَحِّدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم[(٢)].

٥- قال إمام المفسرين رَحِمَهُٱللَّهُ: القول في تأويل قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١] قال أبو جعفر: فأمرَ جل ثناؤه الفريقين - اللذين أخبرَ الله عن أحدهما أنه سواءٌ عليهم أأنذروا أم لم يُنذروا أنهم لا يؤمنون، لطبْعِه على قلوبهم وعلى سمعهم، وعن الآخرِ أنه يُخادع اللهَ والذين آمنوا بما يبدي بلسانه من قيله: آمنّا بالله وباليوم الآخر، مع استبطانه خلافَ ذلك، ومرض قلبه، وشكّه في حقيقة ما يُبدي من ذلك؛ وغيرهم من سائر خلقه المكلَّفين - بالاستكانة، والخضوع له بالطاعة، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة. لأنه جلّ ذكره هو خالقهم وخالقُ مَنْ قبلهم من آبائهم وأجدادهم، وخالقُ أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم. فقال لهم جل ذكره: فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادَكم وسائرَ الخلق غيرَكم، وهو يقدرُ على ضرّكم ونَفعكم - أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نَفع ولا ضرّ.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٣٦٣.

وكان ابن عباس: فيما رُوي لنا عنه، يقول في ذلك نظيرَ ما قلنا فيه، غير أنه ذُكر عنه أنه كان يقول في معنى «اعبُدوا ربكم»: وحِّدوا ربكم. وقد دللنا -فيما مضى من كتابنا هذا- على أن معنى العبادة: الخضوعُ لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة. والذي أراد ابن عباس -إن شاء الله- بقوله في تأويل قوله: «اعبدوا ربكم» وحِّدوه، أي أفردُوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه)[(١)].

٦- وقال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول في تأويل قوله: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ ﴾ [الأعراف: ٥٩] قال أبو جعفر: أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية: أنه أرسل نوحًا إلى قومه، منذرَهم بأسَه، ومخوِّفَهم سَخَطه، على عبادتهم غيره، فقال لمن كفر منهم: يا قوم، اعبدوا الله الذي له العبادة، وذِلُّوا له بالطاعة، واخضعوا له بالاستكانة، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، فإنه ليس لكم معبودٌ يستوجب عليكم العبادةَ غيرُه، فإني أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك «عذابَ يوم عظيم»، يعني: عذابَ يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخط ربِّكم»[(٢)].

من أدلة القاعدة:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٢٦٢.

(٢) المرجع السابق ١٢/ ٤٩٨.

٢- وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۝٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

٣- وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۝٢٣﴾ [الإسراء: ٢٣].

٤- وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

٥- وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥] إذاً الدعاء عبادة.

٦- وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢] إذن النحر عبادة.

مفهوم العبادة عند الخلف:

العبادة عندهم مشروطة باعتقاد الخالقية والربوبية ومع تعدد عباراتهم في تعريف العبادة إلا أن الجامع لها اشتراط الشرط المذكور وهذا مبني على ربطهم التام بين مفهومي الربوبية والألوهية وجعلهما معنى واحدا وإليك نماذج من تعريفاتهم للعبادة:

١- قال القضاعي: «إن مسمى العبادة لا يدخل فيه شيء من التوسل والاستغاثة وغيرهما، بل لا يشتبه بالعبادة أصلا، فإن كل ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم أو صفة من صفاتها الخاصة بها»[(١)].

٢- ويقول محمد بن عبد المجيد: «فالعبادة شرعا غاية الذل والخضوع لمن يعتقد له الخاضع بعض صفات الربوبية، كما ينبي عنه مواقع استعمالها

(١) البراهين الساطعة ص٣٨١.

في الشرع فغاية الخضوع لا تكون عبادة بمجردها، بل حتى تكون على وجه خاص، وهو اعتقاد الخاضع ثبوت صفة من صفات الربوبية للمخضوع له»[(١)].

٣- ويقرر صاحب كتاب «التوسل والزيارة في الشريعة الإسلامية» بأنه لا يفهم من معنى العبادة شرعا إلا أنها الإتيان بأقصى الخضوع قلبًا باعتقاد الربوبية في المخضوع له، أو قالبا مع ذلك الاعتقاد[(٢)].

٤- ويقرر هذا المعنى صاحب كتاب (التوحيد والشرك في القرآن الكريم)، فقال: «العبادة هي الخضوع أمام من يعتقد بأنه يملك شأنا من شئون وجوده وحياته وآجله وعاجله»[(٣)].

٥- ويقول يوسف النبهاني: «اعلم أن جميع المسلمين الزائرين والمستغيثين بعباد الله الصالحين ولاسيما الأنبياء والمرسلين خصوصا سيدهم الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم مع كمال تعظيمهم لأولئك السادات بالزيارات والاستغاثات يعلمون أنهم من جملة عبيد الله تعالى لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم من دون الله تعالى ضرا ولا نفعا ولكنهم أجل عبيده تعالى إليه وأقربهم زلفى لديه، وهو سبحانه وتعالى قد اتخذهم ولاسيما المرسلين منهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ شرائعه، وهو خلقهم المحبون لدعوتهم المصدقون

(١) الرد على المبتدعة من الطائفة الوهابية ص١٠.

(٢) التوسل والزيارة للفقي ص١٦.

(٣) التوحيد والشرك في القرآن الكريم لجعفر السبحاني ص٧٧.

بنبوتهم وصفوتهم وسائط إليه في غفران زلاتهم وقضاء حاجاتهم... فإذا علم ذلك يعلم يقينا أن تعظيمهم وتوقيرهم والتوسل بهم إليه تعالى فضلا عن كونه لا يخل بتوحيده سبحانه وتعالى هو من لباب التوحيد، وخالص دينه، وأحسن أنواع عباداته عَزَّوَجَلَّ»[1].

٦- الصوفية فسروا العبادة بأنها شهود الخلق والرزق وشهود الإنعام، ومعنى الشهود هو ملاحظة النعمة أو ملاحظة الخلق أو الاهتمام به فهذا الشهود عندهم هو العبادة، ولهذا يفسر القشيري في كتابه (الرسالة) العبودية بأنها شهود الحقيقة الكونية العامة، وهي مقتضى الخلق.

ولهذا اتفق الصوفية وأهل الكلام وصاروا على طريقة واحدة، ولهذا تجد أن المتأخرين من الصوفية، والمتأخرين من أهل البدع يجمعون بين ثلاثة أشياء: يجمعون بين الانحراف في الاعتقاد -فتجد أحدهم مثلاً أشعري العقيدة- والانحراف في السلوك، فتجد أنه -مثلاً- قادري السلوك أو نقشبندي، والانحراف في الفقه، فتجد أنه متعصب لإمام من الأئمة، فلو جاءه الحديث لرده بسبب قول هذا الإمام، وهذه لا شك في أنها ثلاث مصائب متعاونة، وقد تركبت في حياة المتأخرين خاصة.

تفنيد تعريفات القبوريين للعبادة:

١- سبق فهم السلف الصالح لمفهوم العبادة وفيه الرد على تعريفات القبورية للعبادة.

---

(١) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليوسف النبهاني ص١٤٢-١٤٣.

٢- أن المشركين الأوائل إنما كان إشراكهم: التسبب والتشفع في آلهتهم، دون عقيدة الاستقلال؛ فهم غير مشركين بناء على تعريف القبورية للعبادة. قال تعالى في بيان قصدهم ومرادهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣].

٣- أن تعريفهم للعبادة لا يشمل توحيد الألوهية كما هو واضح.

٤- أنه يلزم من تعريفهم للعبادة: أن يكون المشركون موحدين.

٥- أنه يلزم من تعريفهم للعبادة: أن المشركين غير عابدين لغير الله.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- العبادة هي التوحيد في فهم السلف الصالح؛ لأن الخصومة فيه.

ودليل هذا المفهوم:

قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ هذا بمنزلة: إلا الله ثم قال: ﴿ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ هذا بمنزلة لا إله.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ ﴾ هذا بمنزلة لا إله ثم قال تعالى: ﴿ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ هذا بمنزلة إلا الله.

وقوله تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ هذا بمنزلة إلا الله ثم قال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ هذا بمنزلة لا إله. وغيرها من الآيات.

٢- للانحراف الخلفي في مفهوم العبادة آثار خطيرة وهي أنه إذا رأى أحدهم رجلاً يطوف حول قبر أو يذبح له أو ينذر له أو يستغيث بغير الله، قال: هذا في حد ذاته ليس شركا؛ إلا إذا كان يعتقد أن هذا الذي صرفت له العبادة خالق ورازق، وحينئذ افترق الناس إلى فرقتين في مفهوم العبادة وفي مفهوم الشرك أيضـًا:

فصار الخلف يعرفون العبادة بتعريف غير تعريف السلف، وصاروا يعرِّفون الشرك بتعريف غير تعريف السلف، فهم يقولون: العبادة هي الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي تصرف لمن يعتقد فيه الخلق والرزق والإحياء والإماتة والربوبية.

أما السلف فإنهم يقولون: العبادة هي الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي تجمع بين الخضوع والذل وبين المحبة، حتى لو صرفت لمن يعتقد أنه حجر، أو أنه ولي، أو أنه نبي، أو ملك من الملائكة، فما دام أنها أقوال وأفعال ظاهرة وباطنة اجتمع فيها الذل والخضوع واجتمع معها المحبة كذلك فهي عبادة مصروفة، فإما أن تكون لله فتكون حينئذ توحيداً، وإما أن تكون لغير الله فتكون حينئذ شركـًا.

وترتب على هذا الخلاف بين السلف رضوان الله عليهم وبين الخلف

في مفهوم العبادة خلاف كبير في الواقع، فالسلف يقولون: إن الذين يقفون حول القبور وينذرون لها ويذبحون لها كفار، والخلف يقولون: هم لم يعبدوا غير الله.

ولهذا فإن كتاب: (مفاهيم يجب أن تصحح) لـ محمد علوي المالكي قال فيه صاحبه بالنص: ولا يكفر المستغيث بغير الله ما لم يعتقد الخلق والإيجاد لغير الله تعالى.

فعنده لو أن إنسانـًا استغاث بولي وهو يعتقد أنه غير خالق بل هو مخلوق، فليس فعله من الشرك، وأنه إذا ذبح لولي أو نذر له فإن هذا ليس من الشرك، إلا إذا اعتقد أن هذا الولي هو الخالق الرازق، وهذا لا شك في أنه لا يقول به أحد في الدنيا، فإنه لا يوجد طائفة تقول: إن هذا الكون أوجده إلهان وصانعان متفقان في الصفات وفي الأفعال، وإنما أكثر الملل وأكثر الأمم على أن الله هو الخالق الرازق، فمن أين دخل عليهم الشرك حتى اقتضى هذا أن يرسل الله إليهم الرسل؟ لقد دخل عليهم الشرك عندما صرفوا العبادات لغير الله، وعندما صرفوا الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة لغير الله عَزَّوَجَلَّ، وعندما صلوا لغير الله، حتى لو كان من صلوا له يعتقدون فيه أنه مخلوق، وعندما ذبحوا لغير الله ونذروا لغير الله واستغاثوا بغير الله، وعندما أحبوا غير الله حب الذل، وعندما خافوا من غير الله خوف العبادة، وعندما توكلوا على غير الله واعتمدوا عليه حصل فيهم الشرك، وعندما تحاكموا إلى غير الشرع، فبذلك حصل عندهم الشرك والكفر.

وهذا التعريف الباطل الذي يعرف به الخلف العبادة يرده حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة**»(١)، فسماه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبداً للدينار، مع أنه لا يوجد أحد في الدنيا يتصور أن الدينار خلقه، أو أن الدراهم خلقته، أو أن الخميصة أو الخميلة تخلق وترزق.

فالعبادة في مصطلح الشرع لا يلزم منها أن يكون هناك اعتقاد بأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق الرازق فيمن صرفت له، لكن لا شك في أن العبادة الشرعية المقبولة عند الله هي التي تصرف لله عَزَّوَجَلَّ باعتقاد الربوبية له، ولا يتصور أن يوجد إنسان يصرف العبادات لله عَزَّوَجَلَّ وهو لا يعتقد فيه أنه خالق ولا رازق ولا محيٍ ولا مميت.

٣- منشأ تمادي القبوريين في عبادة القبور وتساهلهم في الشرك انحرافهم في مفهوم العبادة ومفهوم الشرك، ولا بد من تحرير المفاهيم؛ لأن الخلاف بيننا وبينهم هو في مفاهيم هذه المعاني الشرعية، فهم يخالفوننا في مفهوم التوحيد، ويخالفوننا في مفهوم الإيمان، ويخالفوننا في مفهوم الشرك، ويخالفوننا في مفهوم الكفر، ويخالفوننا في مفهوم العبادة.

٤- للعبادة مفهومان:

المفهوم الأول: مفهوم التعبد أي التذلل والخضوع لله بفعل أوامره

---

(١) أخرجه البخاري ٤/ ١٢٦٩ برقم: ٢٨٨٦.

واجتناب نواهيه وهو فهم السلف للعبادة؛ لأنه الموافق لمفهوم توحيد الألوهية الذي هو إفراد الله بأفعال العباد.

والمفهوم الثاني: مفهوم المتعبد به وهو -كما قال شيخ الإسلام- اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة.

٥- والعبادة نوعان:

النوع الأول: العبادة العامة ويشترك فيه كل الخلق المؤمن والكافر وهذه عبودية الربوبية يدل لها قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: ٩٣].

النوع الثاني: العبودية الخاصة وهي المتعلقة بالمؤمنين وهي عبودية الألوهية ويدل لها قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣] وهذ النوع هو الموافق لفهم السلف الصالح.

فالعبودية بنوعيها مثل الربوبية العامة والخاصة، والإسلام العام والخاص.

❀ ❀ ❀

المطلب الثاني:
قواعد في العلاقة بين الربوبية والألوهية

وفيه ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى: السلف والتفريق بين مفهوم الإله ومفهوم الرب.

القاعدة الثانية: السلف ومجرد الإقرار بتوحيد الربوبية.

القاعدة الثالثة: السلف والاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

القاعدة الأولى:
السلف والتفريق بين مفهوم الإله ومفهوم الرب

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف لمفهومي الإله والرب.

٢- بيان أن فهم السلف عصمة.

٣- بيان انحراف الخلف في الخلط بين المفهومين المذكورين.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

من عمق علم السلف ودقة فهمهم التفريق بين المتغايرات ومنها تفريقهم بين مفهومي الإله والرب.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف.

أولا: سبق في القواعد السابقة: إجماعهم على المغايرة.

ثانيا: مما يدل على المغايرة بين مفهومي الإله والرب.

الاختلاف في الاشتقاق، -كما سبق الإشارة إليه في كلام السلف-فالربوبية: مُشتَقَةٌ من اسمه الرب. والألوهية: من اسمه تعالى الإله. وأعظمُ خطأٍ عند الأشاعرة هو تَسويةُ اللفظين، فَسَّرُوا الإله: بمعنى الرب. والرب: بمعنى الإله. فقالوا: لا إله: لا رَبَ، لا خالق، لا قادر على الاختراع. فلما أخطأوا في اعتقاد أن ثَمَّ تَرَادُفًا بين مَفهوم الرب، ومَفْهُوم الإله حينئذٍ وَقَعَ عندهم خلل في فهم التوحيد.

ثالثا: مما يدل على المغايرة:

أن مُتَعَلَّق الربوبية: الأمور الكونية كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة

ونحوها، هذه أفعاله جَلَّوَعَلَا وهي عامة تَشمل الكافر، والمؤمن، تَشمل البهائم، فهي عامة، وقد سبق الإشارة إليه في كلام السلف.

ومُتَعَلَّقُ توحيد الألوهية: الأوامر، والنواهي لأن مَرَدَّهُ إلى فِعْلِ المُكَلَف.

رابعا: مما يدل على المغايرة بين المفهومين: تفسير السلف قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦] حيث فرقوا بين الإيمان بالربوبية، والشرك في الألوهية وإليك فهم السلف للآية:

١- قال الإمام مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦] قال: «إيمانهم قولهم: الله خالقُنا، ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيرَه»[(١)].

ففرَّق بين ما آمنوا به وأقروا به من انفراده بالخلق والرزق والتدبير، وهو يدل على توحيد الربوبية، وبين ما أشركوا بالله فيه غيره وهو توحيد الألوهية، فلم يفردوه بالعبادة سبحانه وتعالى، بل أشركوا معه غيره.

٢- وقال الإمام قتادة بن دعامة السدوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى؛ في قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]، في إيمانهم هذا. إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته[(٢)].

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٧.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٨.

٣- وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال: لا تسأل أحدًا من المشركين: مَنْ رَبُّك؟ إلا قال: ربِّيَ الله! وهو يشرك في ذلك[١].

٤- عن عطاء بن أبي رباح (ت٨٥)، قال: فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]. قال: إِيمَانهم قَوْلهم: الله خلقنَا وَهُوَ يرزقنا ويميتنا فَهَذَا إِيمَان مَعَ شرك عِبَادَتهم غَيره[٢].

٥- عامر الشعبي (ت١٠٣)، قال: يعلمون أنه ربُّهم، وأنه خلقهم، وهم يشركون به[٣].

٦- عبدالرحمن بْنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، يَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يَعْبُدُ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، إِلا وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ، يَعْرِفُ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ رَبُّهُ، وَأَنَّ اللهَ خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ، وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ، أَلا تَرَى كَيْفَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٥- ٧٧]، قَدْ عَرَفَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مَعَ مَا يَعْبُدُونَ، قَالَ: فَلَيْسَ أَحَدٌ يُشْرِكُ بِاللهِ إِلا وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِهِ، أَلا تَرَى كَيْفَ كَانَت الْعَرَبُ تُلَبِّي تَقُولُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ،

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الدر المنثور ج٤ ص٥٩٣.

(٣) تفسير الطبري ج١٦ ص٢٨٦.

لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إلا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، الْمُشْرِكُونَ كَانُوا يَقُولُونَ هَذَا»(١).

٧- عن عكرمة، في قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦] «قال: تسألهم: مَن خلقهم؟ ومن خلق السماوات والأرض، فيقولون: الله. فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره»(٢).

٨- وعنه وعامر رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]، الآية، قالا يعلمون أنه ربُّهم، وأنه خلقهم، وهم يشركون به(٣).

٩- وعنه رَحِمَهُٱللَّهُ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦] قال: من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السماوات؟ قالوا: الله. وإذا سئلوا: من خلقهم؟ قالوا: الله. وهم يشركون به بَعْدُ(٤).

خامسا: مما يدل على أن فهمهم المغايرة بين مفهومي الإله والرب:

أن هناك فروقًا بين الربوبية وبين «الألوهية» نذكر منها ما يلي(٥):

١- أن «الألوهية» هي الغاية العظمى من خلق الجن والإنس وإرسال الرسل وإنزال الكتب بخلاف «الربوبية».

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٤٧٢.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٦.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٧.

(٤) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٧.

(٥) انظر كتاب الماتريدية.

٢- أن «الربوبية» دليل على «الألوهية» فالأولى دالة، والثانية مدلولة والأولى مستلزمة للثانية استلزام الدليل للمدلول.

٣- «الألوهية» مستلزمة «للربوبية» استلزام العلة الغائية للفاعلية فالأولى «علة غائية» والثانية «علة فاعلية».

ولا شك أن الغائية والفاعلية شيئان متغايران لا مترادفان.

٤- «الألوهية» متضمنة للربوبية دون عكس. ومتضمنة لتوحيد الأسماء والصفات أيضـًا.

ولا شك أن المُتَضَمِّنَ والمُتَضَمَّنَ شيئان لا شيء واحد.

وصح لنا أن نقول: إن توحيد الألوهية كالكل، وإن توحيدي الربوبية والصفات كالجزئين له والربوبية والألوهية من الصفات أيضـًا.

٥- أن من أفنى عمره وأنهى قواه في تحقيق «الربوبية» لله تعالى لا يصير مسلمـًا بمجرد ذلك ما لم يحقق «الألوهية» لله عَزَّوَجَلَّ.

أما من حقق «الألوهية» لله تعالى، فقد حقق «الربوبية» له تعالى أيضـًا بل حقق توحيد الصفات أيضـًا.

٦- أن توحيد «الألوهية» أخص من توحيد «الربوبية» فكل موحد بتوحيد «الألوهية» موحد بتوحيد «الربوبية» ولا عكس، لأن المشركين كانوا معترفين بتوحيد «الربوبية»، ومع ذلك كانوا مشركين في توحيد «الألوهية».

٧- أن أركان «توحيد الألوهية» هي عبادة الله تعالى بغاية الذل والخضوع

له سبحانه وتعالى، وغاية الحب له تعالى، وغاية الرغبة في ثوابه عَزَّوَجَلَّ، وغاية الرهبة من عقابه جَلَّوَعَلَا، مع الإخلاص واتباع السنة. فمن عبد الله بالحب وحده فهو «زنديق» ومن عبده بالرجاء وحده فهو «مرجئ» ومن عبده بالخوف وحده فهو «حروري» ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو «مؤمن موحد» ومن عبده بدون الإخلاص فهو «المرائي المنافق» ومن عبده بدون اتباع السنة فهو «مبتدع ضال».

سادسا: مما يدل على المغايرة بين المفهومين:

أن توحيد الربوبية مَدْلُولُهُ عِلْمِي لأنكَ تَعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ مُتَصِفٌ بصفة الخلق، إذاً علمٌ يَقوم في القلب، مُتَصِفٌ بصفة الرَزْق، علمٌ يَقوم في القلب، كذلك ما أُتْبِعَ من الأسماء والصفات المُدبر، المُتصرف... الخ، فهذه تكون من باب العلم، وهذا يُسمى التوحيد العلمي الخبري - يعني أن الله أخبركَ بأنه الخالق، الرازق... الخ فإما أن تُصدق، وإما أن تُكذب -، والألوهية مَدْلُولُهُ عملي - فِعْلُ المُكَلَّف - الدائر بين الامتثال والترك من قِبَلِ المُكَلَّف - يعني إما أن يَمتثل، وإما ألا يَمتثل -.

وقد أشار السلف إلى ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢- ٩٣] حيث فسروا العمل في الآية بلا إله إلا الله:

١- عن أنس، في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢]

قال: عن شهادة أن لا اله إلا الله[١].

٢- وعن ابن عمر: ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [الحجر: ٩٢- ٩٣] قال: عن لا إله إله الله[٢].

٣- وعن مجاهد، في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ قال: عن لا اله إله إلا الله[٣].

٤- وقال الإمام عبدالرزاق الصنعاني عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر: ٩٢]، قَالَ: «عَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[٤].

٥- وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَاب مَنْ قَالَ إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْعَمَلُ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢﴾ [الزخرف: ٧٢] وَقَالَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ عَنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ [الصافات: ٦١][٥].

سابعا: مما يدل على المغايرة بين المفهومين:

---

(١) المرجع السابق ١٧/ ١٥٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) تفسير عبدالرزاق الصنعاني ١/ ٢٥١.

(٥) صحيح البخاري ١/ ١٤.

اعتراف محققيهم أن المشركين لم يكونوا يعتقدون في آلهتهم الباطلة أنها خالقة رازقة: قال الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨].

«ورابعها: أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان، على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل - فإن أولئك الأكابر يكونون شفعاء لهم عند الله. ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق لتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم - فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله»(١).

فقد تضمن هذا النص ما يلي:

١- أن المشركين لم يعتقدوا في آلهتهم الباطلة أنها خالقةٌ، رازقةٌ، مكونةٌ، مالكةٌ لهذا الكون.

٢- بل جعلوا هذه الصفات لله وحده وأنه الرازق السيد المالك المدبر لهذا الكون.

٣- وإنما عبدوا الآلهة الباطلة رجاء أن يكونوا شفعاء لهم عند الله.

٤- هذا النوع من العقيدة هو التوسل الشركي المبني عليه إشراك المشركين.

٥- أن الشرك الأكبر الذي كان موجوداً في مشركي العرب في الجاهلية موجود في كثير من عبَّاد القبور اليوم «القبورية».

---

(١) تفسير الرازي ١٧/ ٢٢٧.

مخالفة الخلف للسلف:

إليك بعض أقوالهم[(١)]:

١- قال ابن جرجيس (١٢٩٩هـ) وتبعه السمنودي (بعد ١٣٢٦ هـ)، واللفظ للأول:

(..... الرب والإله معناهما ومفادهما واحد....). وقال: (إن الإله والرب واحد) و(إن الإله هو الرب).

٢- وقال دحلان (١٣٠٤هـ) وتبعه السمنودي (المتوفى بعد ١٣٢٦ هـ)، واللفظ للأول:

(وأما جعلهم التوحيد نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية - فباطل أيضًا -؛ فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية...).

وقالا واللفظ أيضًا للأول: (وقالوا: إن التوحيد نوعان: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوصلوا بذلك إلى تكفير المسلمين....، هؤلاء الملحدة المكفرة للمسلمين....).

وقالا، وتبعهما الحداد (١٢٣٢هـ)، واللفظ للأول: (ومن المعلوم: أن من أقر بالربوبية، فقد أقر بالألوهية؛ إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الإله بعينه).

وقالوا جميعًا واللفظ أيضًا للأول: «فهل سمعتم أيها المسلمون في الأحاديث والسير:

---

(١) انظر هذه الأقوال في كتاب: «جهود الحنفية لإبطال القبورية ١/ ١٧٩-١٨٧.

أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قدمت عليه أجلاف العرب؛ ليسلموا على يده - يفصل لهم توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ ويخبرهم: أن توحيد الألوهية هو الذي يدخلهم في الإسلام».

٣- وقال الدجوي (١٣٦٥هـ) وتبعه ابن مرزوق، واللفظ للأول: «توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:...، من ذا الذي فرق بينهما؟... إن صاحب هذا الرأي هو ابن تيمية الذي شاذ بذكره؛ قال: إن الرسل لم يبعثوا إلا لتوحيد الألوهية؛ وهو إفراد الله بالعبادة؛ وأما توحيد الربوبية؛ وهو اعتقاد أن الله رب العالمين المتصرف في أمورهم؛ فلم يخالف فيه أحد من المشركين...؛ ثم قالوا: إن الذين يتوسلون بالأنبياء ويتشفعون بهم؛ وينادونهم عند الشدائد - هم عابدون لهم، فقد كفروا بما كفر به عباد الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواء؛ فإنهم لم يكفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان وما معها؛ بل بترك توحيد الألوهية - بعبادتها؛ وهذا ينطبق على زوار القبور المتوسلين بالأولياء؛ المنادين لهم، المستغيثين بهم؛ الطالبين منهم ما لا يقدر عليه غير الله؛ بل قال محمد بن عبدالوهاب: إن كفرهم أشنع من كفر عباد الأوثان....؛ فنقول: قولهم: إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية - تقسيم غير معروف لأحد قبل ابن تيمية، وغير معقول أيضًا...، وما كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لأحد دخل في الإسلام: إن هناك توحيدين....، ولا سمع ذلك عن أحد من

السلف الذين يتبجحون باتباعهم في كل شيء؛ ولا معنى لهذا التقسيم، فإن الإله الحق هو الرب الحق».

وقال: «وإني أعجب من تفريقهم بين توحيد الألوهية والربوبية؛ وجعل المشركين موحدين توحيد الربوبية».

٤- وقال القضاعي (١٧٣٦هـ) وابن مرزوق (؟) واللفظ للأول: «إن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر في الوجود وفي الاعتقاد».

وقالا: «إن لا رب سواه» هو معنى «لا إله إلا الله» في قلوب جميع المسلمين.

وقالا: «فالناطق بـ (لا إله إلا الله) معترف بالتوحيد لله في ألوهيته وربوبيته جميعًا، والقائل: (ربي الله) معترف بكلا التوحيدين جميعًا».

كما أنهما صرحا بأن توحيد الربوبية كاف للمرء في دخوله في الإسلام، وكاف له في النجاة.

وقال هذا القضاعي الداعي إلى الشرك طاعنًا في شيخ الإسلام ببذاءة الكلام:

«لم يقتصر هذا الحراني على رمي زوار سيد المرسلين بالشرك؛ بل جرت به أوهامه إلى أن يرمي بالشرك جميع المسلمين..؛ وقسم التوحيد إلى قسمين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ وقال: إن المقصود ببعثة الأنبياء إنما هو الثاني...».

وقال هذا القضاعي أيضًا هاذيًا في أئمة الإسلام ولا سيما شيخ الإسلام، ورميهم بدائه، محرفًا تلك الآيات الصريحة الناصعة على اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية: «وقول هؤلاء المغرورين إن الكافرين الذين بعث لهم الرسل - كانوا قائلين بتوحيد الربوبية، وأن آلهتهم لا تستقل بنفع ولا ضر؛ وإنما كان شركهم بتعظيم غير الله بالسجود والاستغاثة به والنداء له، والنذر، والذبح له - إنما هو قول من لم يعرف «التوحيد» ولا «الشرك» ولا «المعقول» ولا «المنقول» ....، ولا ألم بتاريخ الأمم قبل البعثة».

وعنون ابن مرزوق بقوله: (الإله هو الرب والرب هو الإله). وله كلام فضح به نفسه ونال به من شيخ الإسلام (٧٢٨هـ) ومجدد الدعوة الإمام (١٢٠٦هـ) حاول فيه اتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

٥- وقال محمد نوري رشيد النقشبندي: «إن شر بدعة أحدثها السلفية هي: بدعة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية...، وتوحيد الأسماء والصفات.

وليت شعري من ذلك السلف؟

بل أي دين سوى دين النصرانية ذلك الدين الذي يبث لله تعالى أقانيم ثلاثة؛ فاقتدى به هؤلاء السلفية، واتخذوه الدين الخالص والتوحيد المحض...؛ وفسر رئيس نحلتهم وإمام بدعتهم محمد بن عبدالوهاب الأنواع الثلاثة».

من شبهاتهم:

الشبهة الأولى: شبهة (برهان التمانع): وإنما سمي به: لأنه مبني على

فرض التمانع؛ لأنه يتبين فيه تمانع كل واحد من الصانعين الآخر عن الصنع، أي أن هذا يمنع ذاك وذاك يمنع هذا عن تنفيذ إرادته. وتقرير برهان التمانع الدال على وحدانية الصانع الخالق هو: (أنه لوأمكن إلهان لأمكن بينهما تمانع، بأن يريد أحدهما حركة زيد والآخر سكونه...؛ وحينئذ إما أن يحصل الأمران؛ فيجتمع الضدان؛ أو لا؛ فيلزم عجز أحدهما).

الجواب:

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي أحد أئمة الحنفية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٩٢هـ)، مزيفًا استدلالهم بهذه الآية على جعل توحيد الألوهية عينًا لتوحيد الربوبية؛ وجعل هذه الآية مشتملة على برهان التمانع: «وكثير من أهل النظر يزعمون: أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] لاعتقادهم: أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن؛ ودعت إليه الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ؛ وليس الأمر كذلك؛ بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد؛ كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴿٢٥﴾ ﴾ [لقمان: ٢٥] ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٥] ومثل هذا كثير في القرآن؛ ولم يكونوا

يعتقدون في الأصنام: أنها مشاركة لله في خلق العالم؛ بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر، وغيرهم؛ تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين، ويتخذونهم شفعاء، ويتوسلون بهم إلى الله؛ وهذا أصل شرك العرب....»[(١)].

الشبهة الثانية: تشبثهم بقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۝١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢] قالوا: «لم يقل ألست بإلهكم فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية. ومن المعلوم أن من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالألوهية إذ ليس الرب غير الإله، بل هو بعينه».

الشبهة الثالثة: تشبثهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ۝١٣﴾ [الأحقاف: ١٣] قالوا: لم يقل (إلهنا)؛ فهذا يدل على أن توحيد الربوبية كاف في النجاة والفوز لاستلزامه توحيد الألوهية، فهذا دليل على أن القول بأحد التوحيدين قول بالآخر.

الشبهة الرابعة: استدلالهم بحديث سؤال الملكين في القبر: «من ربك». قالوا: لم يقولا له: (من إلهك)، فدل على أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية.

الشبهة الخامسة: استدلالهم بحديث: «قل ربي الله ثم استقم». استدل به عدة من القبورية.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص١٤ تحقيق أحمد شاكر الناشر وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

الجواب عن هذه الشبه الأربع:

لقد تصدى العلامة السهسواني (١٣٢٦هـ) للجواب عن هذه الشبه حاصل الجواب: أنه لا شك في تغاير مفهومي (الرب) و(الإله) ولا ريب أيضًا أن (توحيد الربوبية) غير توحيد الألوهية، وأن الشرك في الأول غيره في الثاني. كما لا يرتاب ذو عقل سليم خبير بأحوال المشركين أنهم كانوا معترفين بالأول دون الثاني، ولكن لا يمنع ذلك أن تأتي كلمة (الرب) في بعض النصوص ويراد بها (الإله)، فكلمة (الرب) في هذه النصوص التي تشبثت بها القبورية هي بمعنى (الإله). فالمعنى: (ألست بمعبودكم)، و(إن الذين قالوا معبودنا)، و(من معبودك)؛ لأن كثيرًا من الكلمات مع اختلاف معانيها قد تأتي إحداهما بمعنى (الأخرى) في بعض السياق، ومع ذلك لا يدل على أنهما شيء واحد؛ لأن الاتحاد في الصدق لا يستلزم الاتحاد في المفهوم فضلًا عن التساوي، كما صرح به العلامة محمود شكري الآلوسي[1].

وقد أوضح هذا المطلوب المجدد الإمام محمد بن عبدالوهاب (١٢٠٦هـ)، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعلم أن (الربوبية) و(الألوهية) يجتمعان ويفترقان. كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١-٣]، وكما يقال (رب العالمين)، و(إله المرسلين). وعند الإفراد

(١) انظر صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص٤٣٦ وما بعده ط/٣ الناشر المطبعة السلفية.

يجتمعان، كما في قول القائل: (من ربك). مثاله: الفقير والمسكين نوعان في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠].

ونوع واحد في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**»[1].

قلت: أشار شيخ الإسلام إلى أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن المقصود هنا بيان حال العبد المحض لله الذي يعبده ويستعينه فيعمل له ويستعينه ويحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]. توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية؛ وإن كانت الإلهية تتضمن الربوبية؛ والربوبية تستلزم الإلهية؛ فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص: ١-٣] وفي قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢] فجمع بين الاسمين: اسم الإله واسم الرب. فإن «الإله» هو المعبود الذي يستحق أن يعبد. و«الرب» هو الذي يربي عبده فيدبره»[2].

إذا ثبت هذا؛ فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك، معناه: من إلهك؛ لأن توحيد الربوبية التي أقر بها المشركون ما يمتحن أحد بها، وكذلك قوله:

---

(١) الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٨٣-٢٨٤.

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ۝٤٠﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا ۝١٦٤﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ۝١٣﴾ [الأحقاف: ١٣]. فالربوبية في هذا هي (الألوهية) ليست قسيمة لها، فينبغي التفطن لهذه المسألة.

ومن شواهد مجيء الرب بمعنى الإله:

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [فصلت: ٣٠] وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى.

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسوله الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاله أهل التأويل على اختلاف منهم، في معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ ذُكر الخبر بذلك عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

ساق الإمام ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ وَهُوَ يَقُولُ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، قَالَ: أَجَلْ، وَلَكِنْ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللهُ فَيُحَرِّمُونَ.

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٤٦٢.

وعَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ: قِيلَ لِحُذَيْفَةَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دون الله أَكَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يُحِلُّونَ لَهُمُ الْحَرَامَ فَيَسْتَحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمُ الْحَلالَ فَيُحَرِّمُونَهُ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وَأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَالضَّحَّاكِ وَالسُّدِّيِّ. نَحْوُ ذَلِكَ[(١)]. قلت: فسر السلف قوله تعالى: ﴿أَرۡبَابٗا﴾ بالعبادة في هذا السياق قالوا: لم يكونوا يعبدونهم ووافقهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا الفهم.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به.

٢- عمق علم السلف ودقة فهمهم حيث يفرقون بين المتغايرات.

٣- من بدع المبتدعة: الخلط بين المفاهيم المختلفة ومنه الخلط بين مفهومي الرب والإله.

٤- منهج الخلف اتباع المتشابه وترك المحكم قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧].

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٤ برقم: ١٠٠٥٥.

القاعدة الثانية:
السلف ومجرد الإقرار بتوحيد الربوبية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف لمجرد الإقرار بتوحيد الربوبية.

٢- تفنيد فهم أهل الكلام من اهتمامهم بتوحيد الربوبية وتساهلهم في توحيد الألوهية.

٣- تفنيد تفسير أهل الكلام لا إله إلا الله بلا قادر على الاختراع إلا الله.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

فهم السلف أن مجرد الإقرار بالربوبية لا يكفي بل لا بد من إفراد الله بالألوهية.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف.

أجمع السلف على أن مجرد الإقرار بالربوبية لا يكفي لانتشار تصريحهم بذلك:

ومن شواهد ذلك:

١- عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦] قَالَ تَسْأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ؟ وَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَيَقُولُونَ: الله، فَذَلِكَ إِيمَانُهُمْ وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ»(١).

٢- وعن مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حيث يقول في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦] قال: «إيمانهم

(١) تفسير ابن ابي حاتم ٨/ ٤٧١ والدر المنثور ج٤ ص٥٩٣.

قولهم: الله خالقُنا، ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيرَه»[١].

٣- وعن قتادة بن دعامة السدوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال في قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، في إيمانهم هذا. إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته[٢].

٤- وعن عطاء بن أبي رباح، قال: فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦] قال: إِيمَانهم قَوْلهم: الله خلقنَا وَهُوَ يرزقنا ويميتنا فَهَذَا إِيمَان مَعَ شرك عِبَادَتهم غَيره[٣].

٥- وعن عامر الشعبي (ت١٠٣)، قال: يعلمون أنه ربُّهم، وأنه خلقهم، وهم يشركون به[٤].

٦- وعن عبدالرحمن بْنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، يَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٥- ٧٧]، قَالَ: لَيْسَ أَحَدٌ يَعْبُدُ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، إلا وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ، يَعْرِفُ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ رَبُّهُ، وَأَنَّ اللهَ خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ، وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ، أَلا تَرَى كَيْفَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٥]، قَدْ

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٧.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٨.

(٣) الدر المنثور ج٤ ص٥٩٣.

(٤) تفسير الطبري ج١٦ ص٢٨٦.

عَرَفَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مَعَ مَا يَعْبُدُونَ، قَالَ: فَلَيْسَ أَحَدٌ يُشْرِكُ بِاللهِ إلا وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِهِ، أَلا تَرَى كَيْفَ كَانَت الْعَرَبُ تُلَبِّي تَقُولُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إلا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، الْمُشْرِكُونَ كَانُوا يَقُولُونَ هَذَا»(١).

٧- عن عكرمة، في قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال: تسألهم: مَن خلقهم؟ ومن خلق السماوات والأرض، فيقولون: الله. فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره(٢).

أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٦١﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٥﴾ [لقمان: ٢٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٥]، والآيات كثيرة معلومة.

مخالفة الخلف لفهم السلف:

خالف المبتدعة فهم السلف وظنوا أن توحيد الربوبية هو الغاية من أنواع

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٤٧٢.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٦.

التوحيد، وقد أجهدوا أنفسهم وكدوا أذهانهم في تقريره بالعبارات المطولة والمقدمات المنطقية والفلسفية والنتائج، حتى توصلوا في النهاية إلى إقرار هذا النوع من التوحيد.

والملاحظ في كلامهم في هذا النوع من التوحيد أنهم يقررونه من ناحيتين:

الناحية الأولى: إثبات وجود الله تعالى.

والناحية الثانية: إثبات خلقه لهذا العالم.

قولهم في إثبات وجود الله عَزَّوَجَلَّ:

المتكلمون عموماً من المعتزلة والأشعرية بدأوا كتبهم في العقيدة والتوحيد بإثبات وجود الله تعالى، باعتبار أن أول ما يجب على الإنسان قبل أن يدخل في هذا الدين أن يعرف الله عَزَّوَجَلَّ، وقبل أن يعرفه فعليه إثباته والإقرار بوجوده.

وقد جعلوا عمدتهم في الاستدلال لإثبات الربوبية الاستدلال بحدوث العالم.

وسلكوا في إثبات ذلك مسلكاً وعراً ومنهجاً عسرا، لا يتناسب مع خطورة المسألة وأهميتها ألا وهي وجود الله عَزَّوَجَلَّ، وإضافة إلى ذلك فإن المتكلمين جعلوا أول واجب على المكلف النظر في معرفة الله تعالى، وهذه المعرفة مبنية على إثبات حدوث العالم، فإذا كان حادثاً فلابد له من محدث، وهو الله تعالى.

ولإثبات ذلك سلكوا طرقاً منها:

الطريقة الأولى: الاستدلال بحدوث الأجسام أو الجواهر أو الأعراض، ولإثبات ذلك مقدمات:

أولها: إثبات الأجسام أو الجواهر أو الأعراض.

وثانيها: إثبات حدوثها.

وثالثها: إثبات استحالة تعري الجواهر أو الأجسام عن الأعراض.

ورابعها: إثبات استحالة حوادث لا أول لها.

وخامسها: أن الجواهر لا تسبق الحوادث.

سادسها: أن ما لا يسبق الحادث فهو حادث. وكل حادث لابد له من محدث، وهذا المحدث هو الله عَزَّوَجَلَّ. وقد قال بهذه الطريقة عبد الجبار المعتزلي(١)، والجويني(٢).

الطريقة الأخرى: الاستدلال عليه بالإمكان والوجوب:

ومعنى هذه الطريقة أن الموجودات منقسمة إلى قسمين، إما واجب الوجود لذاته، وإما ممكن الوجود لذاته.

وهذا الدليل مبني على مقدمات:

أولها: أن الممكن لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا لمرجح.

ثانيها: بيان أن هذه الحاجة حاصلة في حال الحدوث أو في حال البقاء.

ثالثها: أن ذلك المرجح يجب أن يكون موجوداً.

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ص٩٢-٩٦.

(٢) الإرشاد ص٣٩-٤٠. واستدل بحدوث الجواهر من ناحية إثبات الأعراض، وإثبات عدم خلو الجواهر عنها.

رابعها: أنه يجب أن يكون موجوداً حال حصول الأثر.

خامسها: أن الدور باطل.

سادسها: أن التسلسل باطل.

ثم عند تمام الكلام في تقرير هذه المقدمات الست يحصل الجزم بأنه لابد من الاعتراف بوجود موجود واجب الوجود لذاته. ثم إذا تبين أن هذا العالم المحسوس يمتنع أن يكون واجب الوجود لذاته، فعند ذلك نعلم أن هذا العالم المحسوس يحتاج في وجوده إلى وجود موجود واجب الوجود لذاته، وهو الله تعالى.

وقد قال بهذه الطريقة الرازي[1] وهاتان الطريقتان هما من أهم الطرق عند هؤلاء المتكلمين في إثبات وجود الله تعالى.

الرد على المتكلمين في مسلكهم لإثبات وجود الله عَزَّوَجَلَّ:

إن المسلك الذي سلكه المتكلمون لإثبات وجود الله عَزَّوَجَلَّ لاشك مسلك باطل، بل محرم. والدليل على بطلانه وتحريمه ما يلي:

أولاً: إن وجود الله عَزَّوَجَلَّ يثبته جل بني آدم، ولم ينكره إلا طائفة قليلة من الملاحدة، الذين هم أتباع فرعون إمام الملاحدة ومن أخذ بقوله وقولهم من السابقين واللاحقين، وهؤلاء لا يشكلون إلا نسبة قليلة من مجموع بني آدم، أما الغالبية العظمى من بني آدم من أصحاب الأديان كاليهود والنصارى

(١) المطالب العالية من العلم الإلهي ١/ ٧٢-٧٣.

والهنود ومشركي العرب فضلاً عن المسلمين فيثبتون وجود الله عَزَّوَجَلَّ.

كما أن الله حكى عن فرعون أنه كان في قرارة نفسه مقراً بوجود الله عَزَّوَجَلَّ وربوبيته، وإنما جحد ذلك تكبراً وعلواً. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٣-١٤]، وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢].

فإذا كان الأمر كذلك فهل يسوغ الاشتغال بتلك الطرائق التي يزعم المتكلمون أنهم يريدون أن يثبتوا بها وجود الله عَزَّوَجَلَّ وإرغام أنوف الملاحدة؟!.

ثانياً: إن أعظم الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وأشدهم نصحاً للخلق هم الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد جادلهم أقوامهم فأقاموا الحجة عليهم بأوضح عبارة وأبين مقال، وما رأيناهم دعوا الناس إلى الإقرار بوجود الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما دعوهم إلى عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وحده، مما يدل على أن من جاء إليهم الأنبياء ودعوهم كانوا يقرون بوجود الخالق، بل يقرون أنهم مربوبون له ومخلوقون، وإنما نازعوا في عبادة الله وحده لا شريك له. فإذا كان أنبياءُ الله عَزَّوَجَلَّ لم يدعوا الناس إلى الإقرار بوجود الله عَزَّوَجَلَّ فمعنى ذلك أن وجود الله عَزَّوَجَلَّ أمر مسلم لا خلاف فيه.

ثالثاً: إن الإقرار بوجود الله عَزَّوَجَلَّ أمر فطري فطر الله عليه الناس. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ

بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] بل إن المشركين كانوا يقرون بربوبية الله فضلاً عن وجوده، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن المشركين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [لقمان: ٢٥].

فعلى ذلك فلا حاجة إلى إتعاب النفس في أمر قد فطر عليه بنو آدم.

رابعـًا: إن من أنبياء الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من واجه الملحدين وأقام عليهم الحجة، إلا أنهم لم يستدلوا بتلك الأدلة التي استدل بها المتكلمون، فهذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما حكى الله لنا في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وهذا نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ واجه زعيم الملاحدة وإمامهم فرعون حين أنكر وجود رب العالمين، ورد عليه وأفحمه كما قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٣- ٢٩] فلم يستطع فرعون أن يدفع الدليل وتحير في الإجابة، حتى اضطر إلى إخفاء خزيه وفضيحته بالتهديد بالسجن.

فلا شك أن الدليل الذي استخدمه كل من إبراهيم وموسى عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ كان كافيًا بدليل أن الطغاة لم يستطيعوا أن يردوه.

خامسًا: إنا نعلم قطعًا ويقينا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يدع الناس إلى الاستدلال على وجود الله عَزَّوَجَلَّ بدليل حدوث الأجسام أو دليل الإمكان، بل ولا أثر عن أحد من الصحابة حرف واحد في ذلك. وهذا فيه واحد من أمرين:

- إما أنه دليل باطل غير صحيح.

- أو أنه دليل ضعيف لا يوصل إلى الغاية منه بالدرجة والسرعة المطلوبة.

سادسًا: إن الأجسام والجواهر والأعراض وكذلك الإمكان مصطلحات فلسفية مختلف في إثباتها وتعريفها وتحديدها إلى أقوال عديدة [(١)]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الأصل الذي أراد المتكلمون أن يجعلوه دليلاً على وجود الله عَزَّوَجَلَّ مختلف فيه، فكيف يستدل بشيء مختلف فيه على شيء المقصود من إثباته الوصول إلى اليقين.

سابعًا: إن لتلك المقدمات التي استدل بها المتكلمون، -والتي سبق ذكرها- لإثبات حدوث العالم مقدمات طويلة مختلف فيها، فقد عارضها معارضون وأنكرها منكرون، فقد ذكر الرازي في «الأربعين» إثبات حدوث العالم وذكر له ست حجج، وذكرها عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «درء

---

(١) انظر في ذلك مقالات الإسلاميين ٢/ ٥-٥٧، والمعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى ص٣٥-٣٧.

التعارض»، ثم ذكر معارضات أبي الثناء الأرموي في كتابه «لباب الأربعين» عليها فاستغرقت أكثر من خمسين صفحة في كتابه «درء التعارض»، ثم ذكر الحجج الأخرى والاعتراضات عليها فاستغرقت قرابة الثلاثين صفحة وبعد أن ذكر شيخ الإسلام قدح المتكلمين بعضهم في بعض في استدلالهم بتلك المقدمات على حدوث الأجسام قال: «... وإنما المقصود القدح في هذه المسالك التي يسمونها براهين عقلية، ويعارضون بها نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف، ثم إن نفس حذاقهم قدحوا فيها»[(١)].

أما الاستدلال بالإمكان فقد ذكره الرازي في كتابه «المطالب العالية من العلم الإلهي» كما سبق ذكر ذلك إلا أنه حين أراد تقرير ذلك الدليل ذكر الاعتراضات والشبه حول الدليل، واستغرق ذلك حوالي مائة صفحة في كتابه المذكور[(٢)].

فهل من المقبول عقلاً أو شرعـاً أن يكون إثبات وجود الله عَزَّوَجَلَّ بهذا العسر الشديد، وهل يمكن أن يحصل القطع واليقين بوجود الله تعالى بمثل تلك الحجج الضعيفة؟

لاشك أن المعتمد على مثل تلك الحجج لن يجد في قلبه سوى الحيرة والشك وتخلخل اليقين، وهي الحالة التي وصل إليها كثير من أهل الكلام،

(١) درء التعارض ٣/ ٣١.

(٢) انظر المطالب العالية ١/ ٧٤-١٧٥.

فظهرت حسرة جرت على ألسنتهم لفوات ما فوتوا من برد اليقين، ورسوخ الاعتقاد، استعاضوا عنه بقيل وقال، كما هو ظاهر في كلام الرازي:

نهاية إقدام العقول عقال   وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا   وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

وكذلك قول أبي المعالي الجويني: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أنه يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به». وقال عند موته: «لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وهاأنذا أموت على عقيدة أمي. أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور»(١).

ويظهر لنا من ذلك كله عظيم نصح أئمة الإسلام حين نهوا عن الكلام وحذروا منه، فهذا أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «من طلب العلم بالكلام تزندق»(٢).

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في الأسواق، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام»(٣).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٨.

(٢) الإبانة لابن بطة ٢/ ٥٣٨.

(٣) شرح أصحاب الحديث للخطيب ص ١٦٨ والسير ١٠/ ٢٩.

وقال الإمام أحمد: «لا يفلح صاحب الكلام»[1].

وقال: «لا يكاد أحد نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل»[2]. وغيرهم كثير.

ثامنًا: إن الاستدلال بحدوث الأجسام وحدوث الأعراض ونحوها من الأدلة هي أدلة محرمة، لأن المتكلمين لما استدلوا بها جعلوها قواعد مطردة ليست خاصة بالمخلوق، بل عمموها فأدخلوا فيها الخالق والمخلوق، فما جعلوه دليلاً لحدوث المخلوق وإيجاده من العدم جعلوه من وجه آخر دليلاً على وجود الخالق وإيجاده لهذا الكون، وقطعوا بأن ما ثبت به الخلق والحدوث لا يصح أن يوصف به الخالق بوجه من الوجوه، فأداهم هذا إلى إنكار أمور مقطوع بها شرعـًا ونصوصها وأدلتها من أوضح الأدلة والبراهين، ومع ذلك فقد أنكروها وردوها حتى يسلم لهم الاستدلال بتلك البراهين على وجود الله عَزَّوَجَلَّ، وخلقه لهذا العالم.

فقد أنكر المعتزلة سائر الصفات بدعوى أن إثباتها يدل على الحدوث والجسمية، وأنكر الأشاعرة والماتريدية الصفات الذاتية مثل الوجه واليد والعلو وغيرها بدعوى أن ذلك يدل على الجسمية، ونفوا أيضـًا الصفات الفعلية مثل الاستواء والنزول والمجيء والإتيان والكلام بحرف وصوت بدعوى أن ذلك يدل على الحدوث، وليس لهم حجة على نفي ذلك إلا هذه المسالك التي استدلوا بها على إثبات وجود الله.

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٥٣٩.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن البر ٢/ ٩٥.

فهذا يدل على أنه مسلك محرم إذ أوصل القائلين به إلى تعطيل الباري جَلَّوَعَلَا، وإبطال النصوص الشرعية أو ردها وعدم قبولها. وكفى بهذا دليلاً على التحريم[(١)].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- أن مجرد الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي.

٢- معرفتهم بتوحيد الربوبية سماه السلف إيمانا، بل سماه الله إيمانا مما يدل على أنهم لا يترددون في هذه المعرفة إلا أنهم لا يؤمنون بلازمه ولا يعملون به وهو توحيد الألوهية بل يشركون فيه.

٣- الإيمان بالربوبية يجامع الشرك، بخلاف الإيمان بالألوهية فإنه لا يجامع الشرك.

٤- انحراف منهج أهل الكلام حيث يفسرون توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية.

٥- انحراف منهجهم حيث يعتنون بتوحيد الربوبية ويسكتون عن توحيد الألوهية.

❁ ❁ ❁

(١) أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة للشيخ: سعود بن عبدالعزيز الخلف ١/ ١٠٢-١١١.

القاعدة الثالثة:
السلف والاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من استدلالهم بالربوبية على الألوهية.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان منهج السلف في استدلالهم بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

٢- بيان انحراف منهج الخلف ومخالفته لمنهج السلف حيث يفسرون توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

من أدلة السلف على توحيد الألوهية توحيد الربوبية.

المبحث الثالث: نماذج من استدلالهم بتوحيد الربوبية على توحيد الأولوهية:

أجمع السلف على الاستدلال بتوحيد الربوبية على الألوهية لانتشار تصريحهم بذلك، وعدم مخالفتهم أحد.

ومن شواهد ذلك:

١- عن ابن عباس ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢] أي لا تشركوا به غيره من الأنداد التي لا تضر ولا تنفع ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أنه لا رب لكم يرزقكم غيره[١].

٢- وأخرج ابن جريج عن قتادة في قوله فلا تجعلوا لله أندادا أي عدلاء ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ قال: إن الله خلقكم وخلق السموات والأرض[٢].

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٣٧٠.

(٢) الدر المنثور ١/ ٨٩.

٣- وقال عكرمة: «نهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئًا وأن يعبدوا غيره أو يتخذوا له نداً وعدلاً في الطاعة فقال: كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم ونعمتي التي أنعمتها عليكم فكذلك فأفردوا لي الطاعة وأخلصوا لي العبادة ولا تجعلوا لي شريكًا ونداً من خلقي فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني»(١).

٤- عَنْ أَبِي الضُّحَى فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَجِبَ الْمُشْرِكُونَ وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُ: إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤](٢).

٥- عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: «نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] «فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ: كَيْفَ يَتَّسِعُ النَّاسَ إِلَهٌ وَاحِدٌ؟» فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] إِلَى قَوْلِهِ:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٦٠- ٣٧٠).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٧٢.

﴿لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤] «فَبِهَذَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَأَنَّهُ إِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»(١).

من أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢٢].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [الأنعام: ١٤-١٧].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠١- ١٠٢].

مخالفة الخلف لفهم السلف:

منهج الخلف: تفسير الألوهية بالربوبية فيفسرون لا إله إلا الله بلا قادر على الاختراع إلا الله.

تفنيد هذا التفسير:

هذا التفسير باطل لأنه مخالف لفهم السلف لكلمة الشهادة.

---

(١) المرجع السابق.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية منهج قرآني.

٢- من آيات استحقاق الله الألوهية انفراده بالربوبية.

٣- من طرق إبطال عبادة الأصنام عند السلف أنها لا تضر ولا تنفع.

٤- عمق علم السلف، ودقة فهمهم في العقيدة والشريعة.

٥- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به.

❁ ❁ ❁

المطلب الثالث:
قواعد في تقسيم التوحيد وحكمه
وشروط لا إله إلا اللّه وفضائله

وفيه أربع قواعد:

القاعدة الأولى: السلف وتقسيم التوحيد.

القاعدة الثانية: السلف وحكم التوحيد.

القاعدة الثالثة: السلف وشروط لا إله إلا اللّٰه.

القاعدة الرابعة: السلف وفضائل لا إله إلا اللّٰه.

القاعدة الأولى:
السلف وتقسيم التوحيد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من تقسيمهم التوحيد.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف لتقسيم التوحيد.

٢- تزييف زعم من زعم أن تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية بدعة.

٣- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم للقرآن.

٤- بيان انحراف الفرق الضالة في تقسيماتهم للتوحيد.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

أن السلف قسموا التوحيد إلى ربوبية وألوهية تبعا لدلالة نصوص الوحي على ذلك.

المبحث الثالث: نماذج من فهمهم تقسيم التوحيد.

- صرح السلف بتقسيم التوحيد إلى توحيد في المعرفة والإثبات وهو الربوبية، وتوحيد في الطلب والقصد وهو الألوهية:

ومن شواهد ذلك:

١- فهذا حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتكلم عن توحيد الألوهية ويقول: "وإنما عَنى تعالى ذكره بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢] أي :لا تشركوا بالله غيرَه من الأنداد التي لا تَنفع ولا تضرّ، وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه"[١].

(١) تفسير الطبري ١/ ٣٧٠. وتمامه في ابن كثير ١/ ١٠٥، والدر المنثور ١/ ٣٤، والشوكاني ١/ ٣٩.

فانظر كيف فرَّق بين الألوهية والربوبية، فذكر أنه نهى عن الإشراك بالله سبحانه وتعالى غيره وهو يتكلم عن الشرك في الألوهية، ثم استدل على ذلك بتوحيد الربوبية فقال: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أنه لا رب لكم يرزقكم غيره.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضا عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] قال: من إيمانهم، إذا قيل لهم: مَن خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله. وهم مشركون(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضا فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦] قَالَ تَسْأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ؟ وَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَيَقُولُونَ: اللهُ، فَذَلِكَ إِيمَانُهُمْ وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ»(٢).

وهنا أيضا تفريق صريح بين نوعي التوحيد، فأثبت أنهم يقرون لله بالخلق وغيره، وبه فسَّر إيمانهم الوارد في الآية، ولكنهم لا يوحِّدونه في الألوهية بل يشركون به غيره ويعبدون غيره.

٢- وهذا التفريق أيضًا في كلام شيخ القراء والمفسرين الإمام مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللَّهُ؛ حيث يقول في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] قال: «إيمانهم قولهم: الله خالقُنا، ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيرَه»(٣).

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ١٦/ ٢٨٦.

(٢) تفسير ابن ابي حاتم ٨/ ٤٧١ والدر المنثور ج٤ ص٥٩٣.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٧.

ففرَّق بين ما آمنوا به وأقروا به من انفراده بالخلق والرزق والتدبير، وهو يدل على توحيد الربوبية، وبين ما أشركوا بالله فيه غيره وهو توحيد الألوهية، فلم يفردوه بالعبادة سبحانه وتعالى، بل أشركوا معه غيره.

٣- وجاء التفريق أيضا في كلام الإمام قتادة بن دعامة السدوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حيث يقول في قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، في إيمانهم هذا. إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته(١).

وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال: لا تسأل أحدًا من المشركين: مَنْ رَبُّك؟ إلا قال: ربِّيَ الله! وهو يشرك في ذلك(٢).

فنوَّه على إقرارهم وإفرادهم لله تعالى بالخلق، وهو فرد من أفراد توحيد الربوبية، ولكنهم مع إقرارهم بذلك لم يلتزموا بلازمه، ولم يوحِّدوا الله سبحانه وتعالى في الألوهية، ولم يفردوه بالعبادة، بل جعلوا له أندادًا.

٤- وعن عطاء بن أبي رباح، قال: فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦] قال: إِيمَانهم قَوْلهم: الله خلقنَا وَهُوَ يرزقنا ويميتنا فَهَذَا إِيمَان مَعَ شرك عِبَادَتهم غَيره(٣).

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الدر المنثور ج٤ ص٥٩٣.

٥- عامر الشعبي (ت١٠٣)، قال: يعلمون أنه ربُّهم، وأنه خلقهم، وهم يشركون به[(١)].

٦- عبدالرحمن بْنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، يَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]، قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يَعْبُدُ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، إلا وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ، يَعْرِفُ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ رَبُّهُ، وَأَنَّ اللهَ خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ، وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ، أَلا تَرَى كَيْفَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٧﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧]، قَدْ عَرَفَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مَعَ مَا يَعْبُدُونَ، قَالَ: فَلَيْسَ أَحَدٌ يُشْرِكُ بِاللهِ إلا وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِهِ، أَلا تَرَى كَيْفَ كَانَتِ الْعَرَبُ تُلَبِّي تَقُولُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إلا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، الْمُشْرِكُونَ كَانُوا يَقُولُونَ هَذَا»[(٢)].

٧- عن عكرمة، في قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال: تسألهم: مَن خلقهم؟ ومن خلق السماوات والأرض، فيقولون: الله. فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره[(٣)].

وعنه وعامر رحمها الله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾

---

(١) تفسير الطبري ج١٦ ص٢٨٦.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٤٧٢.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٦.

[يوسف: ١٠٦] الآية، قالا: يعلمون أنه ربُّهم، وأنه خلقهم، وهم يشركون به[(١)].

وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال: من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السماوات؟ قالوا: الله. وإذا سئلوا: من خلقهم؟ قالوا: الله. وهم يشركون به بَعْدُ[(٢)].

وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: هو قول الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٥﴾ [لقمان: ٢٥].

فإذا سئلوا عن الله وعن صفته، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له ولدًا، وأشركوا به[(٣)].

٨- قال الإمام أبو حنيفة (ت١٥٠هـ): «والله يدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأنَّ الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء»[(٤)].

٩- وذكر الطحاوي في مقدمة متنه المذكور أنَّه مشتمل على: «بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٧.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٧.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٧.

(٤) الفقه الأبسط (ص٥١).

أصل الدين، ويدينون به رب العالمين». فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره»[١]. قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا شيء مثله» توحيد الأسماء والصفات. وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا شيء يعجزه» توحيد الربوبية. وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا إله غيره» توحيد الألوهية.

١٠- ابن بطة العكبري المتوفى سنة ٣٨٧هـ يقول في كتابه الإبانة: «إن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعًا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مباينًا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها»[٢].

١١- والإمام ابن منده المتوفي سنة ٣٩٥هـ في كتابه «(كتاب التوحيد

---

(١) العقيدة الطحاوية ص١٧.

(٢) الإبانة لابن بطة (٦٩٣، ٦٩٤) من النسخة الخطية نقلا عن القول السديد في من أنكر تقسيم التوحيد.

ومعرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته على الاتفاق والتفرد)، فعقد فيه أبوابًا في توحيد الربوبية، مثل: بدء الخلق، وخلق العرش، وتقدير المقادير، وخلق السموات والأرض، وغير ذلك مما هو دليل على توحيد الربوبية. ثم ذكر أبوابًا متعلقة بتوحيد الألوهية، مثل: الدعاء والذكر واسم الله الأعظم، وهو لفظ الجلالة، ثم ذكر أبوابًا متعلقة بتوحيد الأسماء والصفات»[(١)].

قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف:١٠٦]. قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة، والشعبي، وقتادة: «هم أهل مكة، آمنوا وأشركوا، كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكًا تملكه وما ملك...».

ثم قال: «.... يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقيته مثلاً، وكان مرتكبًا ما يُعَدُّ شركًا كيفما كان. ومن أولئك عبدة القبور الناذرون لها المعتقدون للنفع والضر ممن الله أعلم بحاله فيها، وهم اليوم أكثر من الدود»[(٢)].

نص الآلوسي هذا لا يحتاج إلى تعليق فهو واضح، غير أنه صريح في أمرين مهمين:

الأول: أن المشركين كانوا يصرحون وقت التلبية بأن آلهتهم لا تملك ملكا كاملا مطلقا فهم ومعبودهم كلهم جميعًا ملك لله تعالى.

---

(١) انظر كتاب التوحيد لابن منده ١/ ٩ وما بعده من الأبواب.

(٢) تفسير الألوسي ٧/ ٦٤ ط/ دار الكتب العليمة.

والثاني: أن عبدة القبور اليوم - على كثرتهم الكاثرة كالدود - من هؤلاء الذين يؤمنون بالله وخالقيته وربوبيته، وهم مع ذلك يرتكبون أنواعًا من الشرك الأكبر من عبادة القبور وأهلها.

فهل يمكن لأحد أن يقول: إن الاعتراف بتوحيد الربوبية اعتراف بتوحيد الألوهية؟ والقائل بربي الله قائل بلا إله إلا الله؟.

أو هل يمكن لأمثال العلوي المالكي أن يزعم أن المشركين لم يكونوا جادين في أن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون؟.

أدلة القاعدة:

الدليل الأول الاستقراء وهو دليل من أدلة الشريعة:

قال الشنقيطي في تفسير سورة الحج: «وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ: أَنَّ الِاسْتِقْرَاءَ مِنَ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَنَوْعُ الِاسْتِقْرَاءِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَهُمْ بِالِاسْتِقْرَاءِ التَّامِّ حُجَّةٌ بِلَا خِلَافٍ، وَهُوَ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ، وَأَمَّا الِاسْتِقْرَاءُ الَّذِي لَيْسَ بِتَامٍّ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ بِإِلْحَاقِ الْفَرْدِ بِالْأَغْلَبِ فَهُوَ حُجَّةٌ ظَنِّيَّةٌ عِنْدَ جُمْهُورِهِمْ. وَالِاسْتِقْرَاءُ التَّامُّ الْمَذْكُورُ هُوَ: أَنْ تَتَبَّعَ الْأَفْرَادُ، فَيُؤْخَذُ الْحُكْمُ فِي كُلِّ صُورَةٍ مِنْهَا، مَا عَدَا الصُّورَةَ الَّتِي فِيهَا النِّزَاعُ، فَيُعْلَمُ أَنَّ الصُّورَةَ الْمُتَنَازَعَ فِيهَا حُكْمُهَا حُكْمُ الصُّوَرِ الْأُخْرَى الَّتِي لَيْسَتْ مَحَلَّ نِزَاعٍ»[(١)].

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٤٨٩.

وعليه أن استقراء القرآن الكريم دل على تقسيم التوحيد:

وهو كالآتي:

أولا: هناك نصوص تتحدث عن انفراد الله تعالى بالخلق والإيجاد، والرزق والعطاء والمنع والضر وهو الذي يدبر الأمر من السماء والأرض وهو خالق كل شيء إلى غير ذلك مما يدل على توحيد الله تعالى في ربوبيته وخالقيته، ويسمى توحيد الربوبية، ولم يتوقف أحد من بني آدم فيه، بل هو معروف ومسلم به لدى جميع طبقات الناس حتى عند مشركي قريش ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

ثانيا: وهناك نصوص تتحدث وتحث على إفراد الله تعالى بالعبادة كما انفرد بخلق العباد وجميع المخلوقات ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]. ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] وغير ذلك من تلك النصوص الكثيرة التي تأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، لأن الشرك ظلم عظيم، ويسمى هذا النوع توحيد العبادة، وهو محل المعركة قديما وحديثا ولم تضع الحرب أوزارها إلى الآن ولن تضع أبدا، بل سوف يستمر الصراع بين الشرك والتوحيد وبين الإسلام والجاهلية بجميع صورها

حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وتلك سنة الله التي لا تتغير، وهي حقيقة يجهلها أو يتجاهلها كثير من الدعاة في هذا الوقت.

ثالثا: وهناك نصوص أخرى كثيرة تتحدث وتخبر بأن الله تعالى سميع، بصير، عليم، حليم، عزيز، حكيم، له يدان مبسوطتان، خلق آدم بيده، وأنه مع خواص عباده، معية خاصة ومع جميع خلقه بعلمه وتدبير أمورهم والاطلاع عليهم وهي معية عامة وغير ذلك من النصوص. فيجب إثبات هذه الصفات كما جاءت والإيمان بأن الله هو المتصف بها وحده ولا شريكة غيره في حقائقها وأنها بمجرد الإضافة إليه تختص به كما تختص صفات المخلوقين بالإضافة إليهم، وأن المشاركة اللفظية بين صفات الخالق وصفات المخلوقين لا يلزم منها المشاركة في حقائق الصفات، وأن أسماء الله تعالى تدل على صفاته تعالى وليست أسماؤه جامدة كالأعلام الجامدة التي لا تدل على المعاني في الغالب إلى غير ذلك من مباحث هذا الباب العظيم الذي قد يسبب عدم تحقيقه اضطرابا في عقيدة المرء.

أن هذا التقسيم هو من جنس تقسيمات العلماء الأخرى المتعلقة بالأمور الشرعية، مثل تقسيم العلماء الأمر الشرعي إلى: واجب ومندوب، أو تقسيمهم النواهي الشرعية إلى محرم ومكروه. أو قولهم إن الإيمان قول واعتقاد وعمل، أو تقسيمهم الصفات إلى ذاتية وفعلية.

فسائر هذه التقسيمات وغيرها كثير لم ترد في كلام الشارع منصوصاً

عليها، وإنما استنبطها العلماء من خلال استقراء كلام الشارع. والتقسيم إنما يرد عليه ويبطل إذا كان الاستقراء غير صحيح أو غير كامل، كأن يقول: إن الإيمان هو الاعتقاد فقط أو القول فقط، أو يقول إن المطلوب من العباد هو توحيد الربوبية والأسماء والصفات فقط، أو يقول: إن الأوامر الشرعية كلها أركان أو واجبات في مستوى واحد من حيث الطلب أو نحو ذلك. أما إذا كان الاصطلاح صحيحاً فلا يعاب من قال به، لأن ذلك من تدبر كلام الشارع والاستنباط منه حتى يعلم عن الشارع مراده.

الدليل الثاني: فهم السلف كما سبق النقل عنهم.

مخالفة الخلف القرآن والسلف:

قالوا: تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية تقسيمٌ مبتدع:

١- أورد المالكي في (ص: ١١٦) عنواناً بلفظ: «التكفير عند ابن تيمية»، قال فيه: «إنَّ التأصيل للتكفير موجود في كلامه عندما بالغ في التفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فهوَّن من شأن الأول، وبالغ في شأن الثاني، والتفريق نفسه تفريق مبتَدَع، ليس في كتاب الله ولا سنَّة رسوله، ولم يَقُل بهذا التفريق أحدٌ من الصحابة ولا التابعين؛ فالتوحيد شأنه واحد، وهذا التفريق هو الذي جعل مقلِّدي ابن تيمية يزعمون أنَّ الله لم يبعث الرسل إلاَّ من أجل توحيد الألوهية، أمَّا توحيد الربوبية فقد أقرَّ به الكفار، ونسوا أنَّ فرعون قال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، وقوله: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾

[القصص: ٣٨]، وأنَّ صاحب إبراهيم قال: ﴿أَنَاْ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فضلاً عن سائر الملحدين في الماضي والحاضر، وغير ذلك مِمَّا يؤكِّد أنَّ الرسلَ بُعثوا للإقرار بوجود الإله وربوبيَّته واستحقاقه للعبادة، وبُعثوا بسائر أنواع العبادة والأخلاق وتحريم المحرَّمات وغير ذلك.

٢- ذكر د. عمر (التوحيد) وأبطل تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية وأسماء الله وصفاته، وسماه (التقسيم الثلاثي) وزعم أنه لم يظهر إلا في القرن السابع الهجري، ثم ادعى أن هذا التقسيم أفضى إلى استحلال دم المسلمين والتكفير... إلخ كلامه.

٣- ألف المدعو حسن بن علي السقاف، كتابا عنونه: بـ«التنديد بمن عدَّد التوحيد. إبطال محاولة التثليث في التوحيد والعقيدة الإسلامية».

٤- أبو حامد بن مرزوق يقول في كتابه المسمى «التوسل بالنبي وجهالة الوهابيين»: إنَّ تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والقول بأنَّ المشركين كانوا مؤمنين بالأول دون الثاني ولم يدخلهم في الإسلام أنَّ ذلك بدعة ابتدعها ابن تيمية وقلده فيها محمد بن عبدالوهاب.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- عمق فهم السلف ودقة فهمهم للقرآن حيث قسموا التوحيد تبعا لتقسيم القرآن.

٢- تزييف زعم من زعم أن تقسيم التوحيد بدعة ابتدع بها السلفيون.

❁ ❁ ❁

القاعدة الثانية:
السلف وحكم التوحيد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من فهمهم حكم التوحيد.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف لحكم التوحيد.

٢- بيان مكانة التوحيد ومنزلته العظيمة.

٣- بيان الأدلة الدالة على وجوب التوحيد.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

التوحيد أوجب الواجبات وأعظم ما أمر الله به عند سلف الأمة.

المبحث الثالث: نماذج من فهمهم حكم التوحيد.

أولا: فسروا قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣] بـ(أمر ربك) والأمر للوجوب ومن نماذج ذلك:

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني بذلك تعالى ذكره حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره، وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣] وإن كان معنى جميعهم في ذلك واحدا.

ثم نقل عن السلف:

١- عن ابن عباس ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] يقول: أمر.

٢- و عن قتادة، قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أي أمر ربك في ألا تعبدوا إلا إياه، فهذا قضاء الله العاجل.

٣- وقال الإمام عبدالرزاق الصنعاني: عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، قَالَ: أُمِرُوا أَلاَّ يَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ.

٤- قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ قال: أمر ألا تعبدوا إلا إياه.

ثانيا: فسروا قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ بـ(وحدوا) من نماذج ذلك:

عن ابن عباس قال: قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، للفريقين جميعًا من الكفار والمنافقين، أي وَحِّدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم.

ثالثا: نقلوا الآيات الدالة على وجوب التوحيد إلى الأمة لفظا ومعنى.

رابعا: رووا الأحاديث الدالة على وجوب التوحيد لفظا ومعنى.

خامسا: حمايتهم جناب التوحيد وتحذيرهم البالغ من نواقضه ونواقصه يدل على أن التوحيد عندهم أوجب الواجبات.

من أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ۝٢٣﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت رديف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا. قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشِّرهم فيتكلوا»(١).

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- التوحيد أوجب الواجبات وأعظم ما أمر الله به.

٢- دل القرآن، والسنة على وجوب التوحيد.

٣- دل إجماع السلف على وجوب التوحيد وبطلان الشرك.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري ٤/ ٢٩ برقم: ٣٨٥٦ ومسلم ١/ ٤٣ برقم: ٥٣.

القاعدة الثالثة:
السلف وشروط لا إله إلا الله

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف لشروط لا إله إلا الله.

٢- بيان أن شروط لا إله إلا الله ليست جديدة وليدة العصر.

٣- بيان أن من أسباب ضلال الفرق الضالة مخالفة السلف في هذه الشروط.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

أن السلف كانوا يشترطون للانتفاع بهذه الكلمة شروطها المعلومة؛ لأن كلمة التوحيد لا تنفع قائلها إلا إذا عُمِلَ بشروطها، فقد كان المنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم لم يؤمنوا بها ولم يعملوا بشروطها، وكذلك اليهود تقولها وهم من أكفر الناس لعدم إيمانهم بها، وهكذا عُبّاد القبور والأولياء من هذه الأمة يقولونها بألسنتهم وهم يخالفونها بأقوالهم، وأفعالهم، وعقيدتهم، فلا تنفعهم ولا يكونون بقولها مسلمين؛ لأنهم ناقضوها بأقوالهم، وأعمالهم، وعقائدهم.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف.

ومن أدلة ذلك:

١- أن الصحابة هم الذين نقلوا الآيات التي فيها شروط لا إله إلا الله - ومنها الآيات التي رتب الله فيها دخول الجنة على الإيمان والعمل الصالح - إلى الأمة لفظا ومعنى فدل ذلك على أنهم قائلون بهذه الشروط.

٢- أن الصحابة هم الذين رووا الأحاديث التي فيها شروط لا إله إلا الله

إلا الله ونشروها بين الأمة لفظا ومعنى فدل على أنهم قائلون بهذه الشروط ومجمعون عليها.

٣- رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: هَلْ يَضُرُّ مَعَهَا عَمَلٌ، كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ تَرْكِهَا عَمَلٌ؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: عِشْ وَلَا تَغْتَرَّ [(١)].

٤- روى البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه معلقا: «أنه قيل له أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة قال: بلى ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح مضيفا بعض طرق الأثر وشواهده: «وروي عن معاذ بن جبل مرفوعا نحوه أخرجه البيهقي في الشعب وزاد: «ولكن مفتاح بلا أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك» وهذه الزيادة نظير ما أجاب به وهب، فيحتمل أن تكون مدرجة في حديث معاذ. وأما أثر وهب فوصله المصنف في التاريخ وأبو نعيم في الحلية» [(٢)].

ووهب بن منبه صاحب هذا القول تابعي جليل (٣٤هـ - ١١٤هـ) قال فيه الذهبي هو الأسوار الإمام، العلامة الإخباري القصصي... أخذ عن ابن عباس، وأبي هريرة - إن صح - وأبي سعيد، والنعمان بن بشير،

(١) أخرجه: معمر في «جامعه» (٢٠٥٥٣)، وعبدالله بن المبارك في «الزهد» (٩٢٣)، وابن الجعد في «مسنده» (٣٣٨١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ١/ ٣١١.

(٢) فتح الباري ٣/ ١٠٩.

وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص - على خلاف فيه - وطاوس»[(١)].

والمقصود بالأسنان في قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو عين ما قرره العلماء حين يذكرون شروط لا إله إلا الله، وهذا ممّا لا مجال للرأي فيه فيكون قد أخذه عن الصحابة مصابيح الهدى ومنارات الدجي.

٥- ما أخرجه الإمام ابن الجوزي قال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته: «ما أعددت لهذا اليوم؟ قال الفرزدق: شهادة أن لا اله إلا الله منذ ستين سنة، قال الحسن: نعم العدة، لكن لـ(لا اله إلا الله) شروطـًا، فإياك وقذف المحصنة»[(٢)].

وذكره الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم: وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا الْعَمُودُ، فَأَيْنَ الطُّنُبُ، يَعْنِي أَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ عَمُودُ الْفُسْطَاطِ، وَلَكِنْ لَا يَثْبُتُ الْفُسْطَاطُ بِدُونِ أَطْنَابِهِ، وَهِيَ فِعْلُ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ.

ما أخرجه الحافظ ابن رجب: قيل للحسن: «إن ناسًا يَقُولُونَ: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ فَقَالَ: من قال: لا إله إلا الله، فأدّى حقها وفرضها دخل الجنة»[(٣)].

(١) السير ٤/ ٥٤٥.

(٢) آداب حسن البصري ص ٤٨.

(٣) مجموع رسائله: ٣/ ٤٧.

أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ [الحجرات: ١٥].

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ ﴾ [الزمر: ٢].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ ﴾ [الصافات: ٣٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وأمَّا السنَّة :فقد استدلُّوا بأحاديث النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي رتَّب فيها حصولَ الثواب على القول التام لهذه الكلمة:

فعن عثمان قال: قال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من مات وهو يَعلم أنَّه لا إله إلا الله دخل الجنَّة**»[1].

(١) أخرجه مسلم ١/ ٤١ برقم: ٤٥.

وعن أبي هريرة عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «اذهب بنعلَيَّ هاتين، فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يَشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبُه، فبشِّره بالجنَّة»(١).

وعنه أيضًا: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي رسولُ الله، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما، إلاَّ دخل الجنة»(٢).

وعنه أيضًا: قيل: يا رسول الله، مَن أسعد النَّاس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولُ مِنك؛ لِما رأيتُ من حِرصك على الحديث، أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة مَن قال: لا إله إلاَّ الله خالصًا من قلبه - أو نفسه»(٣).

وعن عبادة قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قال: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبدُ الله وابنُ أَمَتِهِ وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وأنَّ الجنَّة حقٌّ، وأنَّ النَّار حق - أدخله الله من أيِّ أبواب الجنة الثمانية شاء»(٤).

وعن أنس بن مالك: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومعاذٌ رديفُه على الرَّحْل -

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه البخاري ١/ ٢١ برقم ٩٩.

(٤) أخرجه البخاري ٤/ ١٦٥ برقم: ٣٤٣٥ ومسلم ١/ ٤٢ برقم: ٤٩.

قال: «**يا معاذ بن جبل**»، قال: لبَّيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**يا معاذ**»، قال: لبَّيك يا رسول الله وسعديك - ثلاثًا - قال: «**ما من أحد يَشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمدًا رسول الله صِدْقًا من قلبه، إلاَّ حرَّمه الله على النَّار**»، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيَستبشروا؟ قال: «**إذاً يتَّكِلوا**»، وأخبَرَ بها معاذ عند موته تأثُّمًا[(١)].

وعن معاذ قال: كنتُ رِدْفَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس بيني وبينه إلاَّ مؤخرة الرَّحْل، فقال: «**يا معاذ بن جبل**»، قلتُ: لبَّيك رسولَ الله وسعديك، ثمَّ سار ساعة، ثمَّ قال: «**يا معاذ بن جبل**»، قلتُ: لبَّيك رسول الله وسعديك، ثمَّ سار ساعة، ثمَّ قال: «**يا معاذ بن جبل**»، قلتُ: لبَّيك رسول الله وسعديك، قال: «**هل تدري ما حقُّ الله على العباد؟**»، قلت: اللهُ ورسوله أعلم، قال: «**فإنَّ حق الله على العِباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»، ثمَّ سار ساعة، ثمَّ قال: «**يا معاذ بن جبل**»، قلت: لبَّيك رسولَ الله وسعديك، قال : «**هل تدري ما حقُّ العِباد على الله إذا فعلوا ذلك؟**»، قلت: الله ورسولُه أعلم، قال: «**ألا يعذِّبهم**»[(٢)].

ولمسلم من حديث عِتبان: «**لا يشهدُ أحدٌ أنْ لا إله إلاَّ الله وأنِّي رسول الله فَيَدْخُل النار**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ٨٢ برقم: ١٢٨ ومسلم ١/ ٤٥ برقم: ٥٧.

(٢) أخرجه البخاري ٩/ ١١٤ برقم: ٧٣٧٣ ومسلم ١/ ٤٣ برقم: ٥٤.

(٣) أخرجه مسلم ١/ ٤٥ برقم: ٥٨.

مخالفة الخلف للسلف:

جميع فرق المرجئة - ومنهم الكرامية - ينكرون هذه الشروط فلا تكاد تجد شرطًا من شروط لا إله إلا الله ولا عملاً من أعمال القلوب إلا ولهم فيه ضلال وانحراف، مما كان له أثره العميق في انتشار ظاهرة الإرجاء.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) شروط لا تصح إلا بها لو تأملناها لوجدنا أنها أعمال القلوب الرئيسية، أي: أصول أعمال القلوب من «العلم، واليقين، والصدق، والإخلاص، والمحبة والانقياد، والقبول»، فلو أن إنسانًا عنده شك في الله! هل يكون هذا مؤمنًا أو مسلمًا؟ لا يكون أبداً، وكذلك لو كَانَ إنسان ليس عنده علم بأن الله هو الإله وحده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يكون مسلمًا أيضًا، وكذلك إنسان يقول: (لا إله إلا الله) لكنه غير صادق في قول (لا إله إلا الله) إنما يقولها كما يقولها المنافقون ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾ [المنافقون: ١] فلا تنفعه؛ وكذلك إنسان يقولها وهو غير محبٍ لها ولقائلها وغير منقادٍ لها وللوازمها ولمقتضياتها، وغير قابل لها أيضًا، وهذا لا ينفعه، ولذلك نقول: ليس المطلوب منا هو مجرد لفظة (لا إله إلا الله).

٢- أن هذه الشروط قال بها السلف الصالح وأجمعوا عليها.

٣- دل القرآن على هذه الشروط.

٤- دلت السنة على هذه الشروط.

٥- أن الفرق الضالة - ومنهم المرجئة - نفوا هذه الشروط.

❁ ❁ ❁

القاعدة الرابعة:
السلف وفضائل لا إله إلا اللّه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف لفضائل لا إله إلا الله.

٢- بيان مكانة هذه الكلمة ومنزلتها العالية.

المبحث الثاني: معنى القاعدة .

لكلمة الإخلاص فضائل عظيمة وقد نقل السلف هذه الفضائل للأمة.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف.

١- عَنْ مَحْمُود بْنِ الرَّبِيع، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيتُ عِتْبَانَ، فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ، قَالَ: أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَمَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَسْنَدُوا عُظْمَ ذَلِكَ وَكُبْرَهُ إِلَى مَالِكِ بْنِ دُخْشُمٍ، قَالُوا: وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ، وَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ، فَقَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الصَّلَاةَ، وَقَالَ: أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ، وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ: لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَيَدْخُلَ النَّارَ، أَوْ تَطْعَمَهُ(١).

قَالَ أَنَسٍ: فَأَعْجَبَنِي هَذَا الْحَدِيثَ، فَقُلْتُ لِابْنِي: اكْتُبْهُ فَكَتَبَهُ.

٢- عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٤٥ برقم: ٥٨.

عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: يَا مُعَاذُ قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهَا الناس فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذُ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا [(١)].

٣- عَنِ الصُّنَابِحِيِّ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَبَكَيْتُ فَقَالَ مَهْلاً لِمَ تَبْكِي فَوَاللهِ لَئِنِ اسْتُشْهِدْتُ لأَشْهَدَنَّ لَكَ وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لأَشْفَعَنَّ لَكَ وَلَئِنِ اسْتَطَعْتُ لأَنْفَعَنَّكَ ثُمَّ قَالَ وَاللهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلاَّ حَدَّثْتُكُمُوهُ إِلاَّ حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ**»[(٢)].

٤- وَهِيَ الْعَهْدُ الذي ذكره اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ يَقُولُ: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٨٧﴾ [مريم: ٨٧] قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِاللهِ وَأَنْ لَا يَرْجُو إِلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه ١٦١.

(٢) أخرجه مسلم ١/ ٤٢ برقم: ٥١.

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ٢٥٥.

٥- وَهِيَ الْحُسْنَى التي ذكرها تعالى في قوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾ [الليل: ٥- ٧] قَالَهُ أَبُو عبدالرحمن السُّلَمِيُّ وَالضَّحَّاكُ، وَرَوَاهُ عطية عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١].

٦- وهي كلمة التقوى التي ذكرها تعالى في قوله: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۝٢٦ ﴾[٢] [الفتح: ٢٦].

٧- وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلاً في قوله تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝٢٤ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وهو مروي عن علي بن طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأصلها ثابت في قلب المؤمن وفروعها الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِي السَّمَاءِ صَاعِدٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وكذا قال الضحاك وابن جبير وعكرمة ومجاهد وغيرهم[٣].

٨- وهي كلمة الإخلاص عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ.

٩- وهي العروة الوثقى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۝٢٥٦ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مِثْلُهُ[٤].

(١) المرجع السابق ٢٤/ ٤٦٩.

(٢) المرجع السابق ٢٢/ ٢٥٣.

(٣) انظر تفسير ابن جرير الطبري ١٦/ ٥٦٧.

(٤) المرجع السابق ٢٠/ ١٥٠.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- دل القرآن، والسنة على فضائل لا إله إلا الله.

٢- أجمع الصحابة على فضائل لا إله إلا الله حيث رووا أحاديث فضائلها.

٣- صرح السلف بفضائل لا إله إلا الله.

بعض الصحابة لم يخبر بأحاديث فضائل لا إله إلا الله إلا عند موته تأثما.

❁ ❁ ❁

المطلب الرابع:
قواعد في شرح مسائل الألوهية بالمثال وتعظيم نصوصه

وفيه قاعدتان:

القاعدة الأولى: السلف وتفسير مسائل توحيد الألوهية بالمثال.

القاعدة الثانية: السلف وتعظيم نصوص توحيد الألوهية.

القاعدة الأولى:
السلف وتفسير مسائل توحيد الألوهية بالمثال

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من تفسيرهم مسائل الألوهية بالمثال.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان منهج السلف من تفسيرهم مسائل الألوهية بالمثال.

٢- بيان سمو طريقة السلف لتقريب الحق للأمة.

٣- بيان بعد السلف عن التكلف.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

أن من منهج السلف في شرح العقيدة والشريعة: التفسير بالمثال.

المبحث الثالث: نماذج من تفسيرهم مسائل الألوهية بالمثال.

١- قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الطاغوت: الشيطان[(١)].

٢- وقال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الطواغيت كهان كانت تنزل عليهم الشياطين[(٢)].

٣- وقال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: الطاغوت كل ما عبد من دون الله[(٣)].

٤- وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير الشرك الخفي: وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البطّ في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئتَ، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها «فلان». هذا كله به شرك[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير برقم: ٥٨٣٤،٥٨٣٥ والفريابي، وسعيد بن منصور كما في الدر المنثور ٢/ ٢٢ وعلقه البخاري في الصحيح ٨/ ٢٥١ بفتح الباري وإسناده قوي.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير برقم: ٥٨٤٥ وعلقه البخاري في الصحيح ٨/ ٢٥١ بالفتح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٢/ ٢٢.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٦٢.

٥- وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾ [النحل: ٨٣] معناه: «هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي»[(١)].

٦- وقال عون بن عبد الله: «يقولون: لولا فلان لم يكن كذا»[(٢)].

٧- وقال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

٨- وجاء عن إبراهيم النخعي: «أنه يكره أن يقول أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان؛ ولا تقولوا ولولا الله وفلان»[(٣)].

والسر في ذلك: أن مقصود السلف إيصال المعلومة إلى الأمة بأيسر الطرق.

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذلك أن ما يتوقف عليه معرفة المطلوب قد يكون له طريق تقريبي يليق بالجمهور، وقد يكون له طريق لا يليق بالجمهور، وإن فُرِضَ تحقيقا.

فأما الأول؛ فهو المطلوب، المنبَّه عليه، كما إذا طُلب معنى المَلَك؛ فقيل: إنه خَلْقٌ مِنْ خَلْق الله يتصرف في أمره، أو معنى الإنسان؛ فقيل: إنه هذا الذي أنت من جنسه، أو معنى التخوف؛ فقيل: هو التنقص، أو معنى الكوكب؛

---

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٩٦ برقم: ١٢٦٢١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (٣٤٧).

فقيل: هذا الذي نشاهده بالليل، ونحو ذلك؛ فيحصل فهم الخطاب مع هذا الفهم التقريبي حتى يمكن الامتثال.

وعلى هذا وقع البيان في الشريعة؛ كما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «الكِبْرُ بَطر الحق وغمطُ الناس، ففسَّره بلازمه الظاهر لكل أحد، وكما تُفسر ألفاظ القرآن والحديث بمرادفاتها لغة، من حيث كانت أظهر في الفهم منها.

وعلى هذا النحو مر السلف الصالح في بث الشريعة للمؤالف والمخالف، ومن نظر في استدلالهم على إثبات الأحكام التكليفية؛ علم أنهم قصدوا أيسر الطرق وأقربها إلى عقول الطالبين، لكن من غير ترتيب متكلَّف، ولا نظم مؤلف، بل كانوا يرمون بالكلام على عواهنه، ولا يُبالون كيف وقع في ترتيبه، إذا كان قريب المأخذ، سهل الملتمس»[(١)].

مخالفة الخلف للسلف:

ومنهج الخلف تصعيب الفهم عكس منهج السلف.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- عمق علم السلف ودقة فهمهم وسمو مقصدهم.

٢- عناية السلف بتوحيد الألوهية بالشرح والبيان والحماية وغير ذلك.

٣- تفسير السلف للطاغوت بالمثال.

٤- اختلافهم في تفسير الطاغوت اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد.

❁ ❁ ❁

---

(١) «الموافقات» في المقدمة السادسة ١/ ٦٧.

القاعدة الثانية:
السلف وتعظيم نصوص توحيد الألوهية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من تعظيمهم نصوص توحيد الألوهية.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة

١- بيان منهج السلف في تعظيم نصوص الشريعة والوقوف عندها.

٢- بيان مصادر تلقي العقيدة لدى السلف الصالح.

٣- بيان مدى انحراف منهج الفرق الضالة في تقليلهم شأن النصوص وتلاعبهم بها.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

كان السلف يعظمون نصوص الكتاب والسنة وكانوا وقافين عند كتاب الله وهو سر نجاحهم ورفعتهم.

المبحث الثالث: نماذج من تعظيمهم النصوص.

أجمع السلف على تعظيم نصوص الكتاب والسنة ولاسيما نصوص العقيدة:

من نماذج ذلك:

النموذج الأول: أجمع السلف على أن أول واجب على المكلف الشهادتان لأجل النصوص الواردة في ذلك.

النموذج الثاني: أجمعوا على مفهوم التوحيد وهو شهادة أن لا إله إلا الله لأجل النصوص الواردة في ذلك.

النموذج الثالث: أجمعوا على أن معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله لأجل النصوص الواردة في ذلك.

النموذج الرابع: أجمعوا على أن العبادة حق محض لله لا يجوز صرفها لا

إلى ملك مقرب ولا إلى نبي مرسل للنصوص الواردة في ذلك.

النموذج الخامس: لما حمى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد:

١- لأجله حذروا من تتبع آثار الأنبياء.

٢- ولأجله قطعوا الشجرة التي بايع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحتها بيعة الرضوان؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخافوا أن يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير.

٣- ولأجله قال عمر للحجر الأسود: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبلك ما قبلتك».

٤- ولأجله كرهوا التمسح بحجر المقام وقالوا: إنما أمروا بالصلاة عندها لا بالتمسح بها.

٥- ولأجله لم يبرزوا قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ **«لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»** وَلَوْلا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.

٦- ولأجله حذروا من تحري الدعاء عند قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٧- ولأجله كرهوا لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد للصلاة أن يأتي قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للسلام عليه.

٨- ولأجله فعل المهاجرون والأنصار رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ما فعلوه من تعمية قبر

دنيال لئلا يفتتن به ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به لأنهم تعلموا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن سبب حدوث الشرك في العالم هو الغلوّ في الصالحين، وفهموا من نهيه الشديد آخر حياته وفي مرض موته، أن قبور الأنبياء والصالحين لا يجوز تعظيمه، وأن اليهود والنصارى استحقوا اللعن حينما بنوا المساجد على قبورهم، وصوَّروا فيها صورهم، لذلك تعاملوا مع قبر دانيال بالشكل المذكور.

٩- ولأجله لم يظهر التابعون رحمهم الله قبور الصحابة وهي متفرقة في البلدان أيام الفتوحات.

١٠- ولأجله حذروا من مس قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند زيارته.

١١- ولأجله كره الإمام مالك عبارة: زرت قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلل ذلك بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**».

١٢- ولأجله أمروا بهدم القبور المبنية وتسوية المرتفعة.

١٣- ولأجله اتفقوا على قتل الغالية من الرافضة [(١)]. وغيرها من الوجوه الكثيرة.

من أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ ﴾ [الأنفال: ٢٠].

(١) سيأتي تخريج هذه الآثار في قاعدة: السلف وحماية جناب التوحيد إن شاء الله.

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ۝٨٠﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور: ٦٣].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ۝٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥]

والآيات كثيرة.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله...**»[(١)].

وعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وعظنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله، كأنه موعظة مودِّع، فأوصنا. قال: «**أوصيكم بتقوى الله** عَزَّ وَجَلَّ، **والسمع والطاعة**

(١) رواه الحاكم في المستدرك ١/ ١٧١ برقم: ٣١٨.

وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»(١).

وعن جابر بن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنما منذر جيشٍ يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعةٍ ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمنٍ من نفسه من ترك مالاً فلأهله ومن ترك دينًا أو ضياعًا فإلي وعلي»(٢).

مخالفة الخلف السلف:

أما الخلف فلم يعظموا أحاديث توحيد الألوهية ولذلك تجدهم يبنون القبب والمساجد على القبور، ويدفنون الأموات في المسجد، بل يعبدون القبور من دون الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وسيأتي في قاعدة: السلف وحماية جناب التوحيد شيء من مخالفاتهم الصريحة للكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٨/ ٣٧٣برقم: ١٧١٤٤ وأبو داوود ١٢/ ٢٣٤ برقم: ٤٥٩٤ بعون المعبود والترمذي ٥/ ٤٣ برقم: ٢٦٧٦ وقال: حسن صحيح وقال الهروي: وهذا أجود حديث في الشام وقال البزار: حديث صحيح ثابت وقال ابن عبدالبر: حديث ثابت.

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ١١ برقم: ١٩٦٠.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- منهج السلف أعلم وأسلم وأحكم.

٢- عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- نصحهم للأمة وإنكارهم المنكر.

❁ ❁ ❁

المطلب الخامس:
قواعد في أهمية توحيد الألوهية، ووقوع الشرك في الأمة والخوف منه والتحذير عنه

وفيه خمس قواعد:

القاعدة الأولى: السلف وتوحيد الألوهية (اهتمامهم البالغ وعنايتهم الفائقة به).

القاعدة الثانية: السلف وأول واجب على المكلف.

القاعدة الثالثة: السلف ووقوع الشرك في الأمة.

القاعدة الرابعة: السلف والخوف من الشرك.

القاعدة الخامسة: السلف والإنكار على من وقع في الشرك أو في وسائله.

القاعدة الأولى:
السلف وتوحيد الألوهية
(اهتمامهم البالغ وعنايتهم الفائقة به)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من عنايتهم بتوحيد الألوهية.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان عناية السلف بتوحيد الألوهية.

٢- بيان انحراف منهج الخلف الذين قسموا التوحيد إلى توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال؛ حيث لا وجود لتوحيد الألوهية الذي أرسل جميع الرسل لأجله.

٣- بيان عمق فهم السلف للقرآن، والسنة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

أن السلف الصالح اهتموا بتوحيد الألوهية غاية الاهتمام بخلاف الخلف.

المبحث الثالث: نماذج من اهتمامهم بتوحيد الألوهية.

يدل على اهتمامهم على توحيد الألوهية وجوه:

الوجه الأول: قولهم: محال أن يظن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه علّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، ويعنون بالتوحيد توحيد الألوهية كما فسر مالك رَحِمَهُ اللَّهُ مراده «وَقَالَ أَبُو عبدالرحمن السُّلَمِيُّ: سَمِعْتُ عبدالرحمن بنَ مُحَمَّدِ بنِ حَامِدٍ السُّلَمِيَّ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ عَقِيْلِ بنِ الأَزْهَرِ، يَقُوْلُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى المُزَنِيِّ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الكَلاَمِ، فَقَالَ: إِنِّي أَكْرَهُ هَذَا، بَلْ أَنْهَى عَنْهُ، كَمَا نَهَى عَنْهُ الشَّافِعِيُّ، لَقَدْ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ: سُئِلَ مَالِكٌ عَنِ الكَلاَمِ وَالتَّوْحِيْدِ، فَقَالَ: مُحَالٌ أَنْ نَظُنَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ عَلَّمَ أُمَّتَهُ الاسْتِنْجَاءَ، وَلَمْ يُعَلِّمْهُمُ التَّوْحِيْدَ، وَالتَّوْحِيْدُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُوْلُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» فَمَا عُصِمَ بِهِ الدَّمُ وَالمَالُ، حَقِيْقَةُ التَّوْحِيْدِ»[(١)].

فبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن حقيقة التوحيد هي إفراد الله بالعبادة، وأنه لا معبود بحق إلا الله وهو معنى كلمة التوحيد فمن حقق معناها فهو معصوم المال والدم.

ومن ذلك ما ذكره ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه القبس أن مالكا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسر الإله بالمعبود وذلك عند قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣] قال المخزومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت مالكا يقول: «لا يرى شيئا إلا عبده»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه قانون التأويل عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] أن هذه الآية أصل في التوحيد ويتعلق بها مسائل منها: بيان معنى الإله ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن الإله بمعنى المعبود وقال: «وهي الفائدة التي خلق لأجلها الإنس والجن»[(٣)].

الوجه الثاني: تفسيرهم العبادة بتوحيد الألوهية:

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] للفريقين جميعًا من الكفار والمنافقين،

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أبو الحسن الهكاري في كتاب اعتقاد الشافعي الورقة السابعة من المخطوط ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٦.

(٢) سبق توثيقه ص ٦١.

(٣) قانون التأويل لابن العربي ص٣٠٠.

أي وَحِّدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم[1].

ودليل صحة هذا التفسير قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]. قال الإمام ابن جرير الطبري: القول في تأويل قوله: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩] قال أبو جعفر: أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية: أنه أرسل نوحًا إلى قومه، منذرَهم بأسَه، ومخوِّفَهم سَخَطه، على عبادتهم غيره، فقال لمن كفر منهم: يا قوم، اعبدوا الله الذي له العبادة، وذِلُّوا له بالطاعة، واخضعوا له بالاستكانة، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، فإنه ليس لكم معبودٌ يستوجب عليكم العبادةَ غيرُه، فإني أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك «عذابَ يوم عظيم»، يعني: عذابَ يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخط ربِّكم[2].

الوجه الثالث. حمايتهم جناب التوحيد.

وقد أجمعوا على ذلك ويدخل في هذا الوجه جميع الوجوه السابقة واللاحقة.

الوجه الرابع: تحذيرهم من الشرك.

عن ابن عباس، وقتادة: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٣٦٣.

(٢) المرجع السابق ١٢/ ٤٩٨.

أي: لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه[(١)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، حدثنا أبي عمرو، حدثنا أبي الضحاك بن مخلد أبو عاصم، حدثنا شبيب بن بشر، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢] قال: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صَفَاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البطّ في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئتَ، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها «فلان» هذا كله به شرك[(٢)].

أدلة القاعدة:

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

١- تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي

(١) تفسير الطبري ١/ ٣٧٠ وتمامه في ابن كثير ١/ ١٠٥، والدر المنثور ١/ ٣٤، والشوكاني ١/ ٣٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٦٢.

خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣] ونحوها من الآيات.

٢- وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٣- وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٤- وتارة ببيان أنه المقصود من إنزال الكتب الإلهية، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [النحل: ٢].

٥- وتارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمة ونعم كريمة في الدنيا والآخرة، كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٦- وتارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢]

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٩] إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

٧- وأول أمر في القرآن: الأمر بتوحيد الألوهية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١].

٨- وأول نهي في القرآن النهي عن الشرك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢].

٩- أنزل الله في توحيد الألوهية سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة وهي سورة الكافرون إلى غير ذلك من الوجوه.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

١- افتتح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ دعوته بتوحيد الألوهية يقول: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا(١)، وظل يدعوا إلى التوحيد وحده عشر سنين.

٢- واستمر على ذلك في جميع مراحل حياته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

وفي مرض موته ركز على توحيد الألوهية والتحذير من الشرك ووسائله إلى أن خرجت روحه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٥/ ٤٠٤ برقم: ١٦٠٢٢. وابن خزيمة في صحيحه ١/ ١١٩ برقم: ١٥٣ وابن حبان ١٤/ ٥١٨.

٣- ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**أن لا يعذبهم**»(١).

٤- وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لما بعث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ معاذا نحو اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات**.... الحديث »(٢).

٥- وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**»(٣).

٦- وعن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار**»(٤)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

---

(١) أخرجه البخاري ٩/ ١١٤ برقم: ٧٣٧٣ ومسلم ١/ ٤٣ برقم: ٥٤.
(٢) أخرجه البخاري ٢/ ١١٩ برقم: ١٤٥٨ ومسلم ١/ ٣٨ برقم: ٣١.
(٣) أخرجه البخاري ٦/ ٢٣ برقم: ٤٤٩٧.
(٤) أخرجه مسلم ١/ ٦٦ برقم: ١٨٣.

مخالفة الخلف للسلف:

مما يدل على عدم اهتمامهم لتوحيد الألوهية: خلو تقسيمهم من توحيد الألوهية حيث قسموا التوحيد إلى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

فمن أقوالهم في بيان المراد بالتوحيد وما يدخل فيه من الأنواع:

١- قول عبدالجبار الهمذاني المعتزلي، المتوفى سنة٤١٥هـ يقول عن التوحيد في اصطلاح المتكلمين: «هو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيـًا وإثباتـًا على الحد الذي يستحقه والإقرار به»[(١)].

٢- وقال الجويني الأشعري المتوفى سنة٤٧٨هـ: «وإذا أحاط العاقل بحدث العالم واستبان أن له صانعـًا، فيتعين عليه بعد ذلك النظر في ثلاثة أصول يحتوي أحدها على ذكر ما يجب لله تعالى من الصفات، والثاني يشتمل على ذكر ما يستحيل عليه، والثالث ينطوي على ذكر ما يجوز من أحكامه، وتنصرم بذكر هذه الأصول قواعد العقائد»[(٢)].

٣- وقال الغزالي: «وهو أشعري توفي سنة ٥٠٥هـ بعد أن ذكر أن الله ميز عصابة السنة بأنوار اليقين... حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين، ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين، فجمعوا بين نتائج

(١) شرح الأصول الخمسة ص١٢٨.

(٢) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص٥٠.رح الأصول الخمسة ص١٢٨.

العقول وقضايا الشرع المنقول، وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول، إن لم يتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة على إيجازها تتضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة»[(١)].

فيظهر من هذه النصوص أن التوحيد لدى المتكلمين يتعلق بإثبات، أولاً: ربوبية الله تعالى، وثانيًا: إثبات أسمائه وصفاته.

أما توحيد الألوهية فلم يذكروه ولا بكلمة واحدة، وأغفلوا الحديث عنه تمامًا، فلا ذكر له في كتبهم. فعلى هذا نقول: إن المتكلمين لم يعرفوا توحيد الألوهية ولم يعرجوا عليه في قليل ولا كثير، وحينما أشاروا إلى شيء من ذلك فإنهم أخطؤوا في تلك الإشارات على ندرتها وقلتها. ويتضح ذلك من تفسيرهم: معنى الإله: -حيث فسروا الإله بأنه القادر على الاختراع ولاشك أن هذا من الخلل في فهم نصوص الشرع وسوء الأصول التي بنوا عليها أقوالهم في العقيدة، فأعرضوا عن المعنى الشرعي في تفسير الإله، وتفسير لا إله إلا الله حتى يستقيم لهم الدعاوى التي ادعوها وجادلوا عنها من إثبات وجود الله تعالى وإثبات ربوبيته، بدعوى أنهم شرحوا بما قالوا أصل الدين ورأس الإسلام وهو شهادة التوحيد.

---

(١) قواعد العقائد للغزالي ص١٤٤.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- عناية السلف بتوحيد الألوهية يدل على عمق علمهم ودقة فهمهم.

٢- إبطال قول المبتدعة: إن السلف لم يتفرغوا بتحرير العقيدة؛ لأنهم كانوا منشغلين بالجهاد، وتأسيس قواعد الدولة.

٣- إبطال قول أهل الكلام: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، بل طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم؛ لأنهم المهتمون بالعقيدة غاية الاهتمام بخلاف الخلف.

٤- عناية السلف بتوحيد الألوهية مستمدة من عناية الكتاب والسنة به.

٥- انحراف منهج الفرق الضالة حيث تساهلوا في توحيد الألوهية.

❋ ❋ ❋

القاعدة الثانية:
السلف وأول واجب على المكلف

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: بيان إجماعهم.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان إجماع السلف على أن أول واجب على المكلف: الشهادتان.

٢- بيان انحراف الفرق الضالة حيث زعموا أن أول واجب على المكلف: النظر، أو القصد، أو الشك.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

أجمع السلف على أن واجب على المكلف: الشهادتان، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك.

المبحث الثالث: بيان إجماعهم.

١- حكى الإمام أبو بكر بن المنذر الإجماع على أن الكافر إذا أقر بالشهادتين وتبرأ من كل دين خالف دين الإسلام وهو بالغ صحيح يعقل أنه يصير بذلك مسلماً حيث قال: «أجمع كل من أحفظ عنه على أن الكافر إذا قال لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن ما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق، وأبرأ من كل دين خالف الإسلام وهو بالغ صحيح يعقل، أنه مسلم»[(١)].

فمع وضوح هذا الإجماع وصراحته، إلا أنا نجد الجويني والإيجي يدعيان الإجماع على أن أول واجب على المكلف النظر أو القصد إلى النظر المؤدي إلى معرفة الله!

وبطلان هذا الإجماع المدعى ظاهر لكل من له من العلم أدنى نظر، إذ إن

(١) (الإجماع) لابن المنذر (ص: ١٥٤).

فيه مخالفة لصحيح المنقول ولإجماع من يعتد بإجماعه من أهل العلم، وحاشا أن تجتمع الأمة على أمر مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول فإن هذا ضلال، والأمة لا تجتمع على ضلال.

ثم إن بعض المتكلمين أيضاً قد خالفوا الجويني والإيجي في هذا الإجماع وقالوا بخلافه فكيف يدعيان الإجماع على ذلك إذن؟!

واسمع إلى ما قاله أبو جعفر السمناني وهو من رؤوس الأشاعرة في هذه المسألة: (إن هذه المسألة بقيت في مقالة الأشعري من مسائل المعتزلة وتفرع عليها أن الواجب على كل أحد معرفة الله بالأدلة الدالة عليه، وأنه لا يكفي التقليد في ذلك)[1].

٢- وقد استنكر ابن حزم على من جعل النظر والاستدلال أول الواجبات، وسمى من خالف هذه الطريقة مقلداً لا يقبل إيمانه بقوله: «... إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ بعث لم يزل يدعو الناس الجم الغفير إلى الإيمان بالله تعالى وبما أتى به، ويقاتل من أهل الأرض من قاتله، ويستحل سفك دمائهم، وسبي نسائهم وأولادهم، وأخذ أموالهم متقرباً إلى الله تعالى بذلك، وأخذ الجزية وإصغاره.

ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه وأهله وولده، ويحكم له بحكم الإسلام، وفيهم المرأة البدوية، والراعي، والراعية، والفلاح الصحراوي

(١) نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٣٦ .

الوحشي، والزنجي المسبي، والزنجية المجلوبة، والرومية، والجاهل، والضعيف في فهمه فما منهم أحد ولا غيرهم قال له عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إني لا أقبل إسلامك ولا يصح لك دين حتى تستدل على صحة ما أدعوك إليه... ثم جرى على هذه الطريقة جميع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أولهم عن آخرهم، ولا يختلف أحد في هذا الأمر.

ثم جميع أهل الأرض إلى يومنا هذا ومن المحال الممتنع عند أهل الإسلام أن يكون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يغفل أن يبين للناس ما لا يصلح لأحد الإسلام إلا به، ثم تتفق على إغفال ذلك أو تعمد عدم ذكره جميع أهل الإسلام وتنبه له هؤلاء الأشقياء.!

ومن ظن أنه وقع في الدين على ما لم يقع عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كافر بلا خلاف فصح أن هذه المقالة خرق للإجماع، وخلاف لله تعالى ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجميع أهل الإسلام قاطبة»[(١)].

٣- وقال ابن عبدالبر: «إنه من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبدالرحمن وسائر المهاجرين والأنصار وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجاً علم أن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة، لا من قبل حركة ولا من باب الكل والبعض، ولا من باب كان ويكون، ولو كان النظر في الحركة

(١) (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم (٤/ ٧٥-٧٦).

والسكون عليهم واجبًا، وفي الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازما ما أضاعوه، ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم، ولو كان ذلك من عملهم مشهوراً أو من أخلاقهم معروفًا لاستفاض عنهم ولشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات»[١].

٤- وممن نص على مخالفة المتكلمين فيما أوجبوه على المكلف لإجماع المسلمين أبو المظفر السمعاني حيث يقول: «فإنهم -أي أهل الكلام- قالوا: أول ما يجب على الإنسان النظر المؤدي إلى معرفة الباري عَزَّوَجَلَّ وهذا قول مخترع لم يسبقهم إليه أحد من السلف وأئمة الدين، ولو أنك تدبرت جميع أقوالهم وكتبهم لم تجد هذا في شيء منها منقولاً من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا من أصحابه وكذلك من التابعين بعدهم.

وكيف يجوز أن يخفى عليهم أول الفرائض وهم صدر هذه الأمة والسفراء بيننا وبين رسول الله؟.!

هذا وقد تواترت الأخبار أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين... ولم يرو أنه دعاهم إلى النظر والاستدلال، وإنما يكون حكم الكافر في الشرع أن يدعى إلى الإسلام فإن أبى وسأل النظرة والإمهال أن لا يجاب إلى ذلك...

ولا يجوز على طريقهم الإقدام على هذا الكافر بالقتل والسبي إلا بعد أن

---

(١) (التمهيد) ٧/ ١٥٢الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.

يذكر له هذا ويمهل لأن النظر والاستدلال لا يكون إلا بمهلة وخصوصاً إذا طلب الكافر ذلك، وربما لا يتفق النظر والاستدلال في مدة يسيرة فيحتاج إلى إمهال الكفار مدة طويلة تأتي على سنين، ليتمكنوا من النظر على التمام والكمال وهو خلاف إجماع المسلمين»[(١)].

٥- وممن نقل الإجماع في غير موضع من كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول: «بل قد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن معرفة الله والإقرار به لا يقف على هذه الطرق التي يذكرها أهل طريقة النظر؛ بل بعض هذه الطرق لا تفيد عندهم المعرفة فضلا عن أن يكون الله لا يقر به مقر ولا يعرفه عارف إلا بالطريقة المشهورة له من إثبات حدوث العالم بحدوث صفاته مع دعواهم أن الله لا يعرف إلا بهذه الطريقة»[(٢)].

٦- وقال أيضا: «وليس هذا قول أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، ولا قاله أحد من الأنبياء والمرسلين، ولا هو قول كل المتكلمين ولا غالبهم، بل هذا قول محدث في الإسلام ابتدعه متكلموا المعتزلة ونحوهم من المتكلمين الذين اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمهم»[(٣)].

٧- وحكى اتفاق السلف -رحمهم الله تعالى- على تخطئة المتكلمين

(١) (الانتصار لأصحاب الحديث) للسمعاني (ص: ٦١، ٦٢، ٦٣).

(٢) (النقض) (٢/ ٤٧٣).

(٣) المرجع السابق.

في إيجابهم هذا النظر المعين على المكلف لتحصيل المعرفة، وإيقافهم المعرفة عليه بقوله: «والمقصود هنا أن هؤلاء الذين قالوا: معرفة الرب لا تحصل إلا بالنظر، ثم قالوا: لا تحصل إلا بهذا النظر، هم من أهل الكلام -الجهمية القدرية ومن تبعهم- وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وجمهور العلماء من المتكلمين وغيرهم، على خطأ هؤلاء في إيجابهم هذا النظر المعين، وفي دعواهم أن المعرفة موقوفة عليه. إذ قد علم بالاضطرار من دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لم يوجب هذا على الأمة ولا أمرهم به، بل ولا سلكه هو ولا أحد من سلف الأمة في تحصيل هذه المعرفة»[(١)].

٨- وقال بعد ذكره لأقوال المتكلمين ومن تبعهم في إيجاب هذا النظر: (كلها غلط مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، بل وباطلة في العقل أيضًا)[(٢)].

٩- وأوضح اللوازم الفاسدة من إيقاف المتكلمين معرفة الله تعالى وتحصيلها على هذا النظر المعين من الالتزام بالقول بعدم معرفة الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين بالله، والإيمان به، ولا شك أن هذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين، وفي ذلك يقول: «إن هذا الدليل لم يستدل به أحد من الصحابة والتابعين ولا من أئمة المسلمين، فلو كانت معرفة الرب عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) (المجموع) (١٦/ ٣٣٠).

(٢) المرجع السابق.

والإيمان به موقوفة عليه للزم أنهم كانوا غير عارفين بالله ولا مؤمنين به، وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين»[١].

١٠- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود هنا أن السلف والأئمة متفقون على أنَّ أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ»[٢].

١١- وقال ابن أبي العز الحنفي: «... ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال أرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه...»[٣].

من أدلة القاعدة:

الدليل الأول: القرآن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥ ﴾ [الأعراف: ٦٥].

---

(١) (النقض) (١/ ٦١٩).

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١١/ ٨.

(٣) شرح الطحاوية ص ٢٧.

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥].

و وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينا أن قول السلف ناتج عن فهمهم: «...وقد ذكرت في كتاب الإيمان من أعرض عن هذا من أصله، وتمسك بقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]، وحديث: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»(١)، فإن ظاهر الآية والحديث أن المعرفة حاصلة بأصل الفطرة، وأن الخروج عن ذلك يطرأ على الشخص لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فأبواه يهودانه**..ألخ»...»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم ٧/ ٥٢ برقم: ٦٨٤٩.

(٢) فتح الباري ١٣/ ٣٤٩.

قلت: هؤلاء الذين تمسكوا بهذه الأدلة هم السلف؛ لأنهم يقولون: إن معرفة الله حاصلة لجميع الخلق بطريق الضرورة والفطرة، هذا هو الأصل فيها، وإن كانت قد تصل للبعض بطريق النظر، سواء عند من فسدت فطرته، أو كان ذلك من باب تعدد الأدلة لمدلول واحد[١].

الدليل الثاني: من السنة:

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعثه إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله[٢] الحديث.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «...وعلى هذا فلا يكون في حديث معاذ حجة لمن تمسك به من المتكلمين، على أن أول واجب على كل مكلف معرفة الله تعالى بالدليل والبرهان، بل هو حجة لمن يقول: إن أول الواجبات التلفظ بكلمتي الشهادة مصدقا بها... والذي عليه أئمة الفتوى، وبهم يقتدى، كمالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة السلف: أن أول الواجبات على المكلف: الإيمان التصديقي الجزمي الذي لا ريب معه بالله تعالى، ورسله، وكتبه، وما جاءت به الرسل على ما تقرر في حديث جبريل، كيفما حصل ذلك الإيمان، وبأي طريق إليه توصل، وأما

(١) انظر قلب الأدلة على الطوائف المضلة ٢/ ١٠٤٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢/ ٦٦٧ برقم: ١٤٥٨ ومسلم ١/ ٢٨ برقم: ٣١.

النطق باللسان، فمظهر لما استقر في القلب من الإيمان، وسبب ظاهر تترتب عليه أحكام الإسلام»[(١)].

مخالفة فهم الخلف لفهم السلف:

١- يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: «إن سأل سائل فقال: ما أول ما أوجب الله عليك؟ فقل النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى؛ لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر»[(٢)].

٢- ويقول عبدالقاهر البغدادي: «الصحيح عندنا قول من يقول: إن أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤديان إلى المعرفة بالله تعالى وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمته، ثم النظر والاستدلال المؤديان إلى جواز إرسال الرسل منه، وجواز تكليف العباد ما شاء، ثم النظر المؤدي إلى وجوب الإرسال والتكليف منه، ثم النظر المؤدي إلى تفصيل أركان الشريعة، ثم العمل بما يلزمه منها على شروطه»[(٣)].

٣- ويقول الجويني: «أول ما يجب على العاقل البالغ - باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعاً - القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/ ١٨١-١٨٢.

(٢) (المحيط بالتكليف) للقاضي عبدالجبار (ص: ٢٦)، و(شرح الأصول الخمسة) له (ص: ٧٠، ٧٦).

(٣) (أصول الدين) للبغدادي (ص: ٧٥).

بحدوث العالم...»[١].

بل وذكر حكم من مات قبل أن يكتسب معرفة الله تعالى عن النظر والاستدلال قائلا: «فمن اخترمته المنية قبل أن ينظر وله زمن يسع النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى ولم ينظر مع ارتفاع الموانع، ومات بعد زمان الإنكار فهو ملحق بالكفر، وأما لو أمضى من أول الحال قدراً من الزمان يسع بعض النظر لكنه قصر في النظر ثم مات قبل مضي الزمان الذي يسع في مثله النظر الكامل فإن الأصح في ذلك، الحكم بكفره لموته غير عالم مع بدء التقصير منه فليلحق بالكفرة»[٢].

٤- وقد اعتبر السنوسي النظر والاستدلال بالأقيسة المنطقية شرطًا للدخول في الإسلام، ومن عاند في أدائه وجب استخراجه منه بالسيف إلى أن يموت[٣].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- عمق علم السلف ودقة فهمهم حيث أجمعوا على أن أول واجب على المكلف الشهادتان.

٢- عناية السلف بتوحيد الألوهية واهتمامهم به؛ لأن قولهم: أول

---

(١) (الشامل) للجويني (ص: ٢٦).

(٢) (الشامل) للجويني (ص: ٣٢، ٣٣).

(٣) انظر: (شرح أم البراهين) للسنوسي (ص: ١٦، ١٧).

واجب على المكلف الشهادتان يدل على اهتمامهم البالغ بتوحيد الألوهية وعنايتهم الفائقة به.

٣- انحراف منهج الخلف ومخالفته لفهم السلف حيث خرقوا إجماع السلف.

٤- من لوازم قول أهل الكلام: تجهيل السابقين الأولين حيث لم يتعرضوا لهذه الطريقة، بل تجهيل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو كتمانه.

❁ ❁ ❁

القاعدة الثالثة:
السلف وتحذيرهم من وقوع الشرك في الأمة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف لوقوع الشرك في الأمة.

٢- بيان وجوب الخوف من الشرك.

٣- بيان انحراف فهم المبتدعة لاعتقادهم أن الشرك لا يعود إلى الأمة بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

فهم السلف الصالح أن الشرك سيقع في الأمة.

المبحث الثالث: نماذج من أمثلة القاعدة.

١- ومِمَّا يوضح فهم السلف في وقوع الشرك في الأمة: أنَّ بعضَ العرب ارتدُّوا بعد وفاة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقاتلهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فرجع أكثرُهم، وقتل بعضهم على ردَّته، وهؤلاء هم الذين عُنوا في حديث الذود عن الحوض، وقال عنهم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أصحابي**»، فقيل له: «**إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[1]. ومجرد الردة يعتبر عبادة للشيطان على أي صورة كانت، فمجرد الكفر بالله يعتبر عبادة للشيطان؛ لأنه استجابة وطاعة للشيطان وتلك هي العبادة بعينها.

ومع ذلك فقد صرح العلماء برجوع طوائف من العرب على عبادة الأوثان فقد نقل الحافظ عن القاضي عياض وغيره أنهم قالوا: «كان أهل الردة على

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٢).

ثلاثة أصناف، صنف عادوا إلى عبادة الأوثان، وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي، وكان كل منهما، ادعى النبوة قبل موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصدق مسيلمة أهل اليمامة وجماعة غيرهم، وصدق الأسود أهل صنعاء وجماعة غيرهم - إلى أن قال - وصنف ثالث استمروا على الإسلام، ولكنهم جحدوا الزكاة وتأولوا بأنها خاصة بزمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم الذين ناظر عمر أبا بكر في قتالهم كما وقع في حديث الباب، ثم نقل عن ابن حزم أن العرب انقسمت إلى أربعة أقسام... والثالثة أعلنت بالكفر والردة...»(١).

٢- مما يوضحه أيضا: التصريح بألوهية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قبل عبدالله بن سبأ اليهودي وأتباعه أيام خلافته بالعراق.

روى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه عن عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «أتى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولَقَتَلْتُهم لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»»(٢).

٣- أخرج الحاكم عن عبدالله بن عمر قال: لا تقوم الساعة حتى تدافع مناكب نساء بني عامر على ذي الخلصة (٣).

---

(١) الفتح ١٢/ ٢٧٦.

(٢) البخاري مع الفتح (١٢/ ٢٦٧).

(٣) أخرجه البخاري ٩/ ٥٨ برقم: ٧١١٦ انظر فتح الباري ١٢/ ٧٦.

٤- أخرج مسلم عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لاَ يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٣] أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَالَ إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ[(١)].

وأخرج بن عدي من رواية أبي معشر عن سعيد عن أبي هريرة رفعه لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى[(٢)].

٥- وقد تأول ابن عباس على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦]. قال: إن أحدهم يُشْرِك حتى يُشْرِك بِكَلْبِه: لولا الكَلب لَسُرِقْنا الليلة[(٣)]. وهكذا فسر الآية غيره من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

٦- وخطَب أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل. فقام إليه عبدالله بن حزن وقيس بن

---

(١) أخرجه مسلم ٨/ ١٨٢ برقم: ٧٤٠٥.

(٢) فتح الباري ١٢/ ٧٦.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٧.

المضارب فقالا: والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عُمر، مأذون لنا أو غير مأذون! قال: بل أخرج مما قلت، خطبنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ذات يوم فقال: أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه، وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نُشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لِمَا لا نَعْلم[(١)]... وهذا إجماع بين الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ.

٧- بوب الإمام البخاري: كتاب الفتن بقوله: باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان[(٢)].

٨- وأيضـًا عقد بابا، وهو: باب إثم مَن أشْرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾[(٣)] [الزمر: ٦٥].

أدلة القاعدة:

١- من أوضح الأدلة إخباره صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بوقوع الشرك في الأمة وقد أخبر أن الشرك واقع في هذه الأمة حتى تعبد فِئام منها الأصنام؟! ففي الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: لا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٢/ ٢٨٢ برقم: ١٩٦٠٥.

(٢) صحيح البخاري ٩/ ٥٧.

(٣) صحيح البخاري ٩/ ١٢.

تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ. وَذُو الْخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ [(١)].

٢- ومنها: مبايعته أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على أن لا يُشركوا بالله شيئا؟ ففي صحيح مسلم: إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ.

وفي حديث عَوْف بن مَالِكٍ الأَشْجَعِيّ أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَعَلامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «**عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ**» [(٢)].

فإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يَخَف على أمته الشرك فَلِم كان يُبايع أصحابه على أن لا يُشرِكوا بالله شيئا؟.

٣- وكيف يُمكن القول بأن الشرك لا يقع في الأمة والنصوص معلومة مشهورة في إثبات الشرك والكفر في الأقوال والأفعال؟ نحو قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**» [(٣)].

(١) سبق تخريجه ص ٢١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٥/ ١٢٠ برقم: ٥٤٠١.

(٣) أخرجه أحمد ٩/ ٢٧٥ برقم: ٥٣٧٥ وأبو داوود ٢/ ٢١٧ برقم: ٣٢٥٣ قال الألباني: صحيح.

وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك**»[(١)].

ونحو قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا تشرك بالله شيئا وإن قُطِّعْت أو حُرِّقْت، ولا تتركن الصلاة المكتوبة متعمدا، ومن تركها متعمدا برئت منه الذمة**»[(٢)].

ونحو قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من أتى كاهنا أو عَرَّافًا فَصَدَّقه بما يقول فقد كَفَر بما أُنْزِل على محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٣)]. والأحاديث في الباب كثيرة.

مخالفة الخلف للسلف:

هناك نصوص يتشبث بها القائلون بعدم وقوع الشرك في هذه الأمة، ويزعمون دلالتها على خلاف فهم السلف الصالح ومن أشهر هذه النصوص التي يستدلون بها ما يلي:

١- قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب**»[(٤)] والجواب من وجوه:

أ- أن يأس الشيطان غير معصوم فقد ييأس من الشيء ويقع ويحصل وقد يرجو الشيء ولا يقع.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١١/ ٦٢٢ برقم: ٧٠٤٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٥/ ١٦١ برقم: ٤٠٣٤ قال المحقق شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب.

(٣) أخرجه أحمد ١٥/ ٣٣١ برقم: ٩٥٣٦.

(٤) أخرجه مسلم ٨/ ١٢٨ برقم: ٧٢٠٥.

ب- بأنه يأس من إطباق أهل الأرض على الشرك فهذا لا يقع فإنه لا تزال طائفة على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله تعالى.

ت- أنه أراد بذلك الصحابة لأن في الرواية (أن يعبده المصلون) و(ال) هنا للعهد أي الصحابة فقد يئس من رجوع الصحابة للشرك والكفر. وكل الأجوبة الثلاثة صحيحة.

٢- قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها...**»[(١)].

ويجاب عن هذه الشبهة بما أجاب به الحافظ ابن حجر في (الفتح)، حيث قال في شرح الحديث:

أ- (أي على مجموعكم، لأن ذلك قد وقع من البعض، أعاذنا الله تعالى منها)[(٢)].

ب- أو يقال: إنه في الصحابة خاصة، لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عليكم**». قال الحافظ في «الفتح»: «فيه إنذار بما سيقع فوقع كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... وأن الصحابة لا يشركون بعده، فكان كذلك، ووقع ما أنذر به من التنافس في الدنيا»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦). من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) الحافظ ابن حجر في (الفتح) ٣/ ٢١١.

(٣) الحافظ ابن حجر في (الفتح) ٦/ ٦١٤.

٣- ومنها: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**»(١)، ويجاب عن هذه الشبهة:

أولا: بأن هذا الفهم مخالف لفهم السلف الصالح.

ثانيا: أن جميع من روى هذا الحديث من أصحاب الحديث ذكروه بعبارات تدل على أن المراد هو النهي، لا النفي.

٤- ومما يتشبث به القبوريون أيضاً في إثبات شبهتهم قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وجه الاستدلال: أن الأمة ليس فيها من يعمل الكفر، وأنها أمة صالحة كلها -من أولها إلى آخرها- ليس فيها شرك.

ويجاب عن هذه الشبهة بما يلي:

(١) رواه مالك في (الموطأ) (٢/ ٨٩٢) (١٥٨٤)، والبيهقي (٩/ ٢٠٨) (١٨٥٣١) من حديث ابن شهاب مرسلا. قال ابن عبدالبر في (التمهيد) (١٢/ ١٣): مرسل يتصل من وجوه كثيرة. وقد رواه إسحاق بن راهويه كما في (نصب الراية) (٣/ ٤٥٤) والبزار (٧٧٨٦) من حديث أبي هريرة. قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٤/ ١٢٤): فيه صالح بن أبي الأخضر وهو ضعيف وقد وثق. ورواه ابن إسحاق كما في (سيرة ابن هشام) (٦/ ٨٨) والإمام أحمد (٦/ ٢٧٤) من حديث عائشة بنحوه، وصححه الدارقطني كما (نصب الراية) (٣/ ٤٥١) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٥/ ٣٢٨) رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع. وحسن إسناده الألباني في (التعليقات الرضية) (٣/ ٤٩٣) وحسنه الوادعي في (الصحيح المسند) (١٦٠٥).

أنهم تركوا من الآيتين ما هو دليل عليهم، وذلك: (أن الله وصف خير أمة أخرجت للناس بثلاث صفات وهي لأهل الإيمان خاصة، وليس لأهل الكفر والشرك، والنفاق والبدع والفسوق فيها نصيب، فقال: تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ، فليس المشركون والمنافقون من خير أمة... بل هم شرار الأمة...)[(١)].

٥- ومما يتشبث به القبوريون أيضًا في هذا الباب: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»[(٢)].

وجه الاستدلال: (دعاؤه مستجاب)[(٣)]، يعني فلا يمكن أن يكون هناك شرك عند قبر الرسول.

---

(١) (مجموع الرسائل والمسائل) (٢/ ٥٤، ٥٥) بتصرف. وانظر رد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن على الاستدلال بالآيتين السابقتين كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ونحوهما، (الدرر السنية) (٩/ ٣٥٤- ٣٥٦).

(٢) رواه مالك (١/ ١٧٢) من حديث عطاء بن يسار، وابن أبي شيبة في (المصنف) (٢/ ١٥٠) من حديث زيد ابن أسلم، قال ابن عبدالبر في (الاستذكار) (٢/ ٣٤٧): روي متصلا مسنداً، وقال في (التمهيد) (٥/ ٤١): مرسل غريب وهو صحيح، وقال ابن تيمية في (حقوق آل البيت) (٥٨): ثابت. وصححه الألباني في (مشكاة المصابيح) (١/ ١٦٥). ورواه أحمد (٢/ ٢٤٦) (٧٣٥٢) وأبو يعلى (٦٦٨١) والحميدي (٢/ ٤٤٥) متصلا من حديث أبي هريرة بنحوه. وصحح إسناده الألباني في (تحذير الساجد) (٢٥).

(٣) انظر ما قاله (محمد العلوي المالكي في مفاهيمه) (ص: ح).

ويجاب عن هذه الشبهة: بأن دعاء الرسول مستجاب لا شك فيه، ولهذا قد أحاطه الله بأسوار وجدران، فلا أحد يستطيع أن يسجد لقبره مباشرة كائنًا من كان، وليس فيه أي دليل على أن أحداً لا يشرك بالله جَلَّ وَعَلَا بعبادة النبي مثلاً أو بإثبات خصائص الربوبية في الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإن هذا واقع، والواقع خير دليل في هذا المجال، فكم من الغالين في الرسول مثلاً يدعي فيه خصائص الربوبية.

٦- وأيضا مما يتشبث به القبوريون في هذا الباب: بما روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إن أخوف ما أتخوف على أمتي، الإشراك بالله، أما إني لست أقول: يعبدون شمسًا ولا قمراً ولا وثنًا، ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية**»[(١)].

وجه الاستدلال: أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما خاف علينا الشرك الأكبر، وإنما خاف علينا الشرك الأصغر.

ويجاب عن هذه الشبهة بما يلي:

١- إن الحديث ضعيف، والحديث الضعيف لا احتجاج به عند من يعتد به من أهل العلم.

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٠٥)، وأحمد (٤/ ١٢٣) (١٧١٦١). قال البوصيري في (مصباح الزجاجة) (٢/ ٣٢٣): هذا إسناد فيه مقال، عامر بن عبد الله لم أر من تكلم فيه بجرح ولا غيره، وباقي رجال الإسناد ثقات، وضعفه الألباني في (ضعيف سنن ابن ماجه) (٤٩٧٤).

٢- ولو فرضنا صحته: يكون مراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحديث بيان خفاء هذا الشرك في أمته حتى يقع فيه بعض من يدعي العلم والتحقيق أيضًا، فمثلاً: عبادة الشمس والقمر والوثن من الظواهر التي لا يخفى ضلال مرتكبه، ولكن الشرك بأعمال القلوب؛ مثلاً المحبة لغير الله، والذل والخضوع لغير الله، واعتقاد أشياء مخصوصة لله جل شأنه لغير الله تعالى، هذه كلها من ضمن الأعمال لغير الله ومما تبقى خفيًا، وهذا ظاهر، والحمد لله.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- دل القرآن الكريم على وقوع الشرك في الأمة.

٢- ودلت السنة على وقوع الشرك في الأمة.

٣- أجمع السلف الصالح على وقوع الشرك في الأمة.

٤- أن المبتدعة خالفوا القرآن، والسنة، وإجماع السلف، وقالوا بعدم وقوع الشرك في الأمة ليبرروا أن عبادتهم القبور والمشائخ غير شرك.

❊ ❊ ❊

القاعدة الرابعة:
السلف والخوف من الشرك

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان خوف السلف من الشرك.

٢- بيان خطورة الشرك ووجوب الحذر منه.

٣- بيان تساهل الخلف في الشرك حيث لا ذكر لتوحيد الألوهية في كتبهم.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

أن السلف يخافون من الشرك وذلك لعمق علمهم ودقة فهمهم.

المبحث الثالث: نماذج من أمثلة القاعدة.

١- قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، قال: كان إبراهيم التيميّ يقصُّ ويقول في قَصَصه: من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم، حين يقول: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥][1]. أي: إذا كان إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خاف من الشرك، ودعا الله - تعالى - بهذه الدعوة العظيمة، فكيف يأمنُ البلاءَ غيرُه - عباد الله؟!.

٢- عن الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان: أن عقبة بن مسلم حدثه: أن سفيان حدثه: أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع الناس عليه فقال: من هذا قالوا أبو هريرة قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه و هو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت: أنشدك الله بحق وحق لما حدثتني حديثا

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٧/ ١٧.

سمعته من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و علمته فقال أبو هريرة: أفعل لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقلته و علمته ثم نشغ أبو هريرة نشغة فمكث قليلا ثم أفاق فقال: لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى فمكث بذلك ثم أفاق ومسح وجهه فقال أفعل لأحدثنك بحديث حدثنيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا و هو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى ثم مال خارا وجهه و أسندته طويلا ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله عَزَّوَجَلَّ إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ليقضي بينهم و كل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن و رجل يقتل في سبيل الله و رجل كثير المال فيقول الله للقارىء ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل و آناء النهار فيقول الله له كذبت و تقول الملائكة له كذبت فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: أردت أن يقال فلان قارىء فقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم و أتصدق فيقول الله: كذبت و تقول الملائكة كذبت و يقول الله بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك و يؤتى بالرجل الذي قتل في سبيل الله فيقال له فيم قتلت فيقول أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله

كذبت و تقول الملائكة له كذبت و يقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله - على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة (١).

٣- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن ناسا قالوا له: إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢).

٤- وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً (٣).

من أدلة القاعدة:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء: ١١٦].

٢- وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥].

٣- وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في دعائه: «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت**

---

(١) أخرجه مسلم ٦/ ٥٧ برقم: ٤٩٥٨.

(٢) روى البخاري نحوه ١٣/ ١٤٩- ١٥٠.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد «٤/ ١٧٧»: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

أن تُضِلَّني؛ فأنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»[(١)] .

٤- وجاء في دُعائه - عليه صلوات الله وسلامه - أنه كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهدى والسَّداد**» [(٢)] .

٥- وعن عَبْدَاللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ [(٣)] .

٦- وفي الحديث: «**أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء**» [(٤)] .

٧- جاء في «الأدب المفرد» بسندٍ حسن بما له من شواهد عن معقل بن يسار قال انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخر؟ قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ**

---

(١) أخرجه مسلم ٨/ ٨٠ برقم: ١٩٨

(٢) المرجع السابق ٨/ ٨٣ برقم: ١٢٧٠ .

(٣) المرجع السابق ٨/ ٥١ برقم: ٦٨٤٤ .

(٤) أخرجه أحمد ٢٩/ ٢٩ برقم: ٢٣٦٣٠ .

وَكَثِيرُهُ؟» قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ **لما لا أعلم**»[١].

٨- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار**»[٢].

٩- ولمسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار**»[٣].

ومما يجلب الخوف من الشرك - عباد الله - ما ثبت في أحاديث كثيرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إخباره أنَّ من الأُمَّة؛ يعني أُمَّته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَن سيرجعون إلى عبادة الأوثان، وقد جاء في هذا أحاديثُ عديدة:

١٠- ومنها ما ثبت في «سُنن أبي داود» وغيره عنه - صلوات الله وسلامه عليه - أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أُمَّتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أُمَّتي الأوثان**»[٤].

---

(١) الأدب المفرد ص٢٧٧ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض قال الألباني: صحيح - «الضعيفة» تحت رقم (٣٧٥٥)، (التعليق الرغيب) (١/ ٣٩-٤٠): (ليس في شيء من الكتب الستة).

(٢) أخرجه البخاري ٦/ ٢٢ برقم: ٤٤٩٧.

(٣) أخرجه مسلم ١/ ٦٦ برقم: ١٨٣.

(٤) أخرجه أبو داوود ٦/ ٢٠٦ برقم: ٤٢٥٢ قال المحقق شعيب الأناؤوط: إسناده صحيح.

أبو أسماء: هو عمرو بن مرثد الرَّحَبي، وأبو قلابة: هو عبدالله بن زيد الجَرمي، وأيوب: =

١١- وجاء في حديث آخرَ أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب ألياتُ نساءِ دَوْسٍ على ذي الخَلَصَة**»[(١)]؛ أي: صنم من الأصنام، وجاء عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «لتتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم؛ شبرًا شبرًا، ذراعًا ذراعًا، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ، لدخلتموه»، كل ذلك قاله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نصحًا للأُمَّة، وتحذيرًا لها من هذا الذنب العظيم والجرم الوخيم، أعاذنا الله جميعًا منه.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- عمق علم السلف ودقة فهمهم وهذا ظاهر من خوفهم من الشرك، ومن قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (لأن أحلف بالله كاذبـًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقـًا).

٢- خطورة الشرك؛ لأن الله قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

٣- الخوف من الشرك من صفات السلف الصالح، بل من صفات المرسلين.

❁ ❁ ❁

= هو ابن أبي تميمة السختياني. وأخرجه مسلم (٢٨٨٩)، والترمذي (٢٣١٧) و(٢٣٧٩) من طريق أيوب السختياني، ومسلم (٢٨٨٩)، وابن ماجه (١٠) و(٣٩٥٢) من طريق قتادة بن دعامة، كلاهما عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي، به. ولم يخرج أحدٌ منهم الحديث بتمامه كما هو عند المصنف.

(١) سبق تخريجه ص ٢١٢.

القاعدة الخامسة:
السلف والإنكار على من وقع في الشرك أو في وسائله

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان موقف السلف لمن وقع في الشرك ووسائله.

٢- بيان خطورة الشرك ووسائله.

٣- بيان تساهل الخلف في الشرك.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أن السلف الصالح كانوا ينكرون على من وقع في الشرك ووسائله.

المبحث الثالث: نماذج من أمثلة القاعدة:

أولا: إنكارهم على وسائل الشرك من نماذج ذلك[(١)]:

١- إنكار أمير المؤمنين عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الذين يتتبعون آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووافقه المهاجرون والأنصار.

٢- قطع أمير المؤمنين عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشجرة التي بايع تحتها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خوف الافتتان به.

٣- إنكار بصرة بن أبي بصرة على أبي هريرة على ذهابه إلى الطور وروى له الحديث ووافقه أبو هريرة.

٤- إنكار الإمام علي بن الحسين زين العابدين على الذي يدعو في فرجة عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) سيأتي تخريج آثار هذه القاعدة في قاعدة: السلف وحماية جناب التوحيد ص ٢٣٧ وما بعدها.

٥- إنكار الإمام الحسن بن الحسن بن علي على الذي يدعو عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٦- إنكار الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الذين يترددون على قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٧- إنكار الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على طلب مكان الشجرة التي بويع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحته.

٨- إنكار الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تتبع آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا قباء واحدا

٩- إنكار الإمام مالك وغيره دفن الميت في المسجد وقالوا: إنه سبب عبادة الأصنام والأمثلة كثيرة.

من نماذج إنكارهم على الشرك:

١- ما رواه مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبراً مشرفا إلا سويته**»[(١)].

٢- وأرسل سعد بن زيد الأشهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سرية لهدم مناة.

٣- وأرسل عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سرية لهدم سواع. وذلك كله بعد فتح مكة[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم ٢/ ٦٢ برقم: ٢٢٠٣.

(٢) البداية والنهاية ٤/ ٧١٢، ٧٧٦، ٥/ ٨٣.

٤- روى عبدالرزاق قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يُخْبِرُ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ الزُّبَيْرِ يُخْبِرُ، أَنَّ عُمَرَ لَمَّا كَانَ بِالْمِخْمَصِ مِنْ عُسْفَانَ اسْتَبَقَ النَّاسُ، فَسَبَقَهُمْ عُمَرُ فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَانْتَهَزْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَقُلْتُ: سَبَقْتُهُ وَالْكَعْبَةِ، ثُمَّ انْتَهَزَ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: سَبَقْتُهُ وَاللهِ، ثُمَّ انْتَهَزْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَقُلْتُ: سَبَقْتُهُ وَالْكَعْبَةِ، ثُمَّ انْتَهَزَ الثَّالِثَةَ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: سَبَقْتُهُ وَاللهِ، ثُمَّ أَنَاخَ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ حَلِفَكَ بِالْكَعْبَةِ، وَاللهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ فَكَّرْتَ فِيهَا قَبْلَ أَنْ تَحْلِفَ لَعَاقَبْتُكَ، احْلِفْ بِاللهِ، فَأْثَمْ أَوِ ابْرَرْ»[١].

٥- روى سعيد بن عبيدة أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سمع رجلا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[٢].

٦- عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نذكر بعض الأمر وأنا حديث عهد بالجاهلية، فحلفت باللات والعزى، فقال لي أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بئس ما قلت ائت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره، فإنا لا نراك إلا قد كفرت، فأتيته فأخبرته، فقال لي: «**قل لا إله إلا الله**

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف ٨/ ٤٦٨.

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/ ٣٣٠ أبو داوود برقم: ٣٢٥١ والترمذي برقم ١٥٣٥ واللفظ له وقال: حديث حسن. والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٣٠ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وحده لا شريك له ثلاث مرات، وتعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات، واتفل عن يسارك ثلاث مرات ولا تعد»[١].

من أدلة القاعدة:

١- روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يا جرير ألا تريحني من ذي الخصلة بيت لخثعم كان يدعى كعبة اليمانية قال فنفرت في خمسين ومائة فارس وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضرب يده في صدري فقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا قال فانطلقَ فحرَّقها بالنار ثم بعث جرير إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلا يبشره يكنى أبا أرطاة منا فأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له ما جئتك حتى تركناها كأنها جمل أجرب فبرك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات». قال الحافظ ابن حجر: وَفِي الْحَدِيث مَشْرُوعِيَّة إِزَالَة مَا يُفْتَتَن بِهِ النَّاس مِنْ بِنَاء وَغَيْره سَوَاء كَانَ إِنْسَانًا أَوْ حَيَوَانًا أَوْ جَمَادًا[٢] اهـ.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ دَخَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَ فِي الْبَيْتِ وَ حَوْلَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَ سِتُّونَ صَنَمًا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ

---

(١) رواه احمد في المسند ١/ ١٨٣ والنسائي في الأيمان والنذور برقم:٣٢٤٣ وابن ماجه في الكفارات برقم: ٢٠٩٧.

(٢) سبق تخريجه ص ٢١٢ و ٢٢٥.

اللهِ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُلْقِيَتْ كُلُّهَا لِوَجْهِهَا. وَكَانَ عَلَى الْبَيْتِ صَنَمٌ طَوِيلٌ يُقَالُ لَهُ: هُبَلُ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ لَهُ: «يَا عَلِيُّ تَرْكَبُ عَلَيَّ أَوْ أَرْكَبُ عَلَيْكَ لِأُلْقِيَ هُبَلَ عَنْ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَلْ تَرْكَبُنِي. فَلَمَّا جَلَسَ عَلَى ظَهْرِي لَمْ أَسْتَطِعْ حَمْلَهُ لِثِقْلِ الرِّسَالَةِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ (بَلْ) أَرْكَبُكَ، فَضَحِكَ وَنَزَلَ، فَطَأْطَأَ لِي ظَهْرَهُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَيْهِ، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَمَسَّ السَّمَاءَ لَمَسِسْتُهَا بِيَدِي، فَأَلْقَيْتُ هُبَلَ عَنْ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ...﴾ يعْنِي قَوْلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ يَعْنِي وَذَهَبَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ عَنِّي ذَاهِبًا. ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْتَ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ[(١)].

٣- وأرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سرية لهدم العزى[(٢)].

٤- وفي صحيح مسلم عن علي مرفوعا: «لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته»[(٣)].

٥- وعن عبدالله بن الشخير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى

---

(١) انظر المعجم الكبير ١٠/ ٢٧٩ برقم: ١٠٦٥٦.

(٢) البداية والنهاية ٦/ ٦٠٧ ط هجر.

(٣) أخرجه مسلم ٢/ ٦١ برقم: ٢٢٠٣.

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا: أنت سيدنا. فقال السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا. فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان» رواه أبو داود بسند جيد[(١)].

٦- وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا فقال: يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان. أنا محمد عبد الله ورسوله. ما أحب أن ترفعوني فوق منْزلتي التي أنزلني الله»[(٢)].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- حماية السلف جناب التوحيد.

٢- وجوب الإنكار على من وقع في الشرك ووسائله.

٣- عمق علم السلف ودقة فهمهم.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أبو داوود ٧/ ١٨٤ برقم: ٤٨-٦.

(٢) أخرجه أحمد ٢١/ ٢١٦ برقم: ١٣٥٩٦.

المبحث الثاني:
قواعد في الشرك ووسائله

وفيه ثلاث عشرة قاعدة:

القاعدة الأولى: السلف وحماية جناب توحيد الألوهية.

القاعدة الثانية: السلف والتوسل والوسيلة.

القاعدة الثالثة: السلف والتبرك.

القاعدة الرابعة: السلف والتفريق بين آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القاعدة الخامسة: السلف والتفريق بين التعبد والتبرك.

القاعدة السادسة: السلف والتفريق بين الاتباع والتبرك.

القاعدة السابعة: السلف والتفريق بين المواضع التي صلى فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصدا، والتي صلى فيها اتفاقا.

القاعدة الثامنة: السلف والتحذير من السحر.

القاعدة التاسعة: السلف والنشرة.

القاعدة العاشرة: السلف والتحذير من الكهانة.

القاعدة الحادية عشرة: السلف والتحذير من التنجيم.

القاعدة الثانية عشرة: السلف والتحذير من الاستسقاء بالنجوم.

القاعدة الثالثة عشرة: السلف والتحذير من التحاكم إلى الطاغوت.

القاعدة الأولى:
السلف وحماية جناب التوحيد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من فهمهم العبادة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان حماية السلف الصالح جناب التوحيد.

٢- بيان عمق علم السلف الصالح ودقة فهمهم.

٣- بيان إجماع السلف الصالح على العقيدة.

٤- بيان أهمية التوحيد ومكانتها عند السلف الصالح.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

أن السلف الصالح حموا جناب التوحيد، وسدوا وسائل الشرك من التبرك بالصالحين، والأحجار، والأشجار، والغلو في الصالحين وقبورهم وصرحوا أن سبب عبادة الأصنام الغلو في الصالحين وقبورهم.

المبحث الثالث: نماذج من حمايتهم جناب التوحيد.

يتمثل في الآتي:

أولا: تحذيرهم من تتبع آثار الأنبياء:

اجمع السلف على التحذير من تتبع آثار الأنبياء على وجه التبرك بها ولم يخالف في ذلك أحد حتى عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما سيأتي في قاعدة: السلف والتفريق بين الاتباع والتبرك البدعي يدل عليه:

١- ترك الخلفاء الأربعة، وغيرهم من السابقين الأولين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، يذهبون من المدينة إلى

مكة حجاجًا وعماراً ومسافرين، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحبًا لكانوا إليه أسبق، فإنهم أعلم بسنته، وأتبع لها من غيرهم»[(١)].

ومما جاء صريحا:

٢- ما جاء عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال المعرور بن سويد الأسدي: «خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة، فلما أصبحنا صلى بنا الغداة، ثم رأى الناس يذهبون مذهبا، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قيل: يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم يأتون يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، يتبعون آثار أنبيائهم، فيتخذونها كنائس وبيعا، من أدركته الصلاة في هذه المساجد، فليصل، ومن لا فليمض، ولا يتعمدها»[(٢)]. وهذا قاله عمر بحضرة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن المعلوم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصلي في أسفاره في مواضع، وكان المؤمنون يرونه في المنام في مواضع، وما اتخذ السلف شيئًا مسجداً ولا مزاراً. ولو فتح هذا الباب لصار كثير من ديار المسلمين أو أكثرها مساجد ومزارات فإنهم لا يزالون يرون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام وقد جاء إلى بيوتهم، ومنهم من يراه مراراً كثيرة.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٤٨).

(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص٤٨.

٣- وقال ابن وضاح: سمعت عيسى بن يونس يقول: «أمر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقطعها؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة»[(١)].

قال الحافظ بن حجر[(٢)]: «ثم وجدت عند ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع أن عمر بلغه أن قوماً يأتون الشجرة فيصلون عندها، فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت».

وقد وردت آثار رواها البخاري عن المسيب بن حزن أن الشجرة عميت على الصحابة لكن إنكار سعيد بن المسيب على من زعم أنه عرفها معتمدا على قول أبيه إنهم لم يعرفوها في العام المقبل لا يدل على رفع معرفتها أصلا، فقد وقع عند المصنف من حديث جابر: «لو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة» فهذا يدل على أنه كان يضبط مكانها بعينه، وإذا كان في آخر عمره بعد الزمان الطويل يضبط موضعها ففيه دلالة على أنه كان يعرفها بعينها لأن الظاهر أنها حين مقالته تلك كانت هلكت إما بجفاف أو بغيره، واستمر هو يعرف موضعها بعينه.

ويحتمل أن الناس اتخذوا شجرة أي شجرة، وجعلوا يصلون عندها ويتبركون بها. والله أعلم.

وعلى كل حال فالشجرة قد اختفت إما بقدرة الله تعالى - وكانت رحمة

---

(١) البدع والنهي عنها ص٢٦.

(٢) الفتح (ج٧ ص ٤٤٨).

من الله - كما قال ابن عمر فيما رواه البخاري، أو كانت على يد عمر بن الخطاب، وهذا يدل على أنه ليس من الإسلام في شيء البحث عن آثار الأنبياء والصالحين، وتعظيم الأماكن التي وقعت فيها الأحداث العظيمة وقد بين الحافظ الحكمة من خفاء تلك الشجرة بما يدل أنه رحمة من الله ينكر ما يفعله الجهال مما هو حاصل الآن وقبل الآن حول مآثر الصالحين، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبيان الحكمة في ذلك وهو ألا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمن من تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها نفعاً أو ضراً كما نراه اليوم مشاهداً فيما هو دونها، وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله: «كانت رحمة» أي كان خفاؤها عليهم رحمة من الله تعالى.

٤- إنكار بصرة بن أبي بصرة الغفاري على أبي هريرة لما زار الطور، فقال له: لا تشد الرحال الحديث[(١)].

ولم يكن الحديث قد بلغ أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ثم رواه عنه بعد ذلك وأقر به.

٥- وعن شَهْرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ وَذُكِرَتْ عِنْدَهُ صَلَاةٌ فِي الطُّورِ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهُ إِلَى مَسْجِدٍ يُبْتَغَى فِيهِ الصَّلَاةُ غَيْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَمَسْجِدِي هَذَا**»[(٢)].

---

(١) فتح الباري ٧/ ٢٥٥.

(٢) أخرجه أحمد ١٨/ ١٥٢ برقم ١١٦٠٩ قال الشيخ الأرناؤوط: هذا حديث صحيح سنده ضعيف لأجل شهر بن حوشب.

٦- ما أفتى به ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قزعة بن يحيى لما أراد الذهاب إلى الطور، فقال له: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**» دع عنك الطور لا تأته[(١)].

٧- وقال الإمام ابن عبدالبر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كره مالك وغيره من أهل العلم طلب موضع الشجرة التي بويع تحتها بيعة الرضوان وذلك والله أعلم مخالفة لما سلكه اليهود والنصارى في مثل ذلك»[(٢)].

٨- وقال محمد بن وضاح: «وكان مالك بن أنس، وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما عدا قباء، وأحدا»[(٣)].

٩- وقال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «روى أشهب عن مالك أنه سئل عن الصلاة في المواضع التي صلى فيها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما يعجبني ذلك إلا مسجد قباء»[(٤)].

١٠- ونقل الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن مالك كراهة المجيء إلى بيت المقدس خيفة أن يتخذ ذلك سنة، وكان يكره مجيء قبور الشهداء[(٥)].

---

(١) رواه الطبراني وقال الهيثمي رجاله ثقات ورواع ابن أبي شيبة ٢/ ٨٢ والأزرقي في أخبار مكة ص٢٠٤ وإسناده صحيح.

(٢) الاستذكار ٢/ ٣٦٠.

(٣) البدع والنهي عنها ص٢٦.

(٤) شرح البخاري ٣/ ١٥٩.

(٥) ينظر: الاعتصام للشاطبي (ص: ٢٥٥).

١١- وقال ابن وضاح - وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها وكذلك فعل غيره أيضاً ممن يقتدي به[١].

١٢- وقدم وكيع أيضاً مسجد بيت المقدس فلم يعد فعل سفيان[٢].

قال ابن وضاح - فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين فقد قال بعض من مضى: كم من أمرٍ هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكراً عند من مضى، وكم من متحبب إلى الله بما يبغضه الله عليه ومتقرب إلى الله بما يبعده منه، وكل بدعة عليها زينة وبهجة[٣].

أين الخلف عن فهم السلف وقد أجمع السلف على ترك تتبع الآثار؛ إذ لم يثبت أن أحدا منهم تتبع آثار الأنبياء إلا ابن عمر وهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يتتبعها تبركا بها بل اتباعا وتشبها بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففرق بين الأمرين.

ثانيا: تحذيرهم من التبرك الممنوع[٤]:

أجمع السلف على التحذير من التبرك الممنوع يدل عليه:

- إجماع الصحابة على ترك التبرك الممنوع:

(١) البداية والنهي عنها ص ٥٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) البدع والنهي عنها ص٢٦.

(٤) ستأتي أمثلة كثيرة للتبرك الممنوع في قاعدة: السلف والتبرك ص ٣٩١.

- قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بعد موته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه؛ إذ لم يترك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهو أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم علي، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركا تبرك به على أحد تلك الوجوه، أو نحوها، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو إذن إجماع منهم على ترك تلك الأشياء كلها»[(١)].

- ومن الشواهد الدالة على التحذير من التبرك الممنوع:

١- عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبلك ما قبلتك[(٢)].

قال البيهقي: فأمير المؤمنين عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان قد عبد الحجر، فحين أهوى إلى الركن كأنه هاب ما كان عليه في الجاهلية، فتبرأ من كل شيء سوى الله، وأخبره بأنه حجر لا يضر ولا ينفع، يريد ما كان على هيئته حجرا، وأنه إنما يقبله متابعة للسنة[(٣)].

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٨ دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

(٢) أخرجه البخاري ٢/ ١٤٩ برقم ١٥٩٧.

(٣) شعب الإيمان ٣/ ٤٥.

قلت: بين الإمام البيهقي أن عمر الفاروق قبل الحجر اقتداء، لا تعبدا، ولا تبركا للحجر ففيه القاعدة الآتية: التفريق بين الاتباع، والتبرك البدعي.

وقال الحافظ ابن حجر: دفع ما وقع لبعض الجهال من أن في الحجر الأسود خاصة ترجع إلى ذاته [(١)].

٢- قال ابن هشام في سيرته: قال: ابن إسحاق: «ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم - حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد - إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة، وأعجبهم، حتى خلف الخلوف ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات»[(٢)].

فهذا السبب كما ترى كان ناتجاً عن تعظيم آثار إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، فالحرم شرَّفه الله تعالى بهما حيث بَنَيَا فيه بيت الله الحرام والكعبة المشرفة، فكان تعظيم المكان ناتجا عن تعظيم من اشتهر به وهو إبراهيم، وإسماعيل عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، ذلك الغلو فيهما وفي البيت الذي ينسب

(١) فتح الباري ٧/ ٢٥٥.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٣.

إليهما كان سبباً في ضلال طوائف من العرب والزج بهم في الوثنية والشرك.

٣- ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله تعالى أن يتخذ منه مصلى كما ذكر الأزرقي عن قتادة في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۝١٢٥﴾ [البقرة: ١٢٥] قال: «إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ما تكلفته الأمم قبلها، ذكر لنا من رأى أثره وأصابعه فمازالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق»[١].

ثالثا: تحذيرهم من الغلو في الصالحين:

أجمع السلف على التحذير من الغلو في الصالحين:

يتمثل في الآتي:

أولا: فهمهم العميق لخطورة الغلو في الصالحين؛ إذ هو أصل الوثنية وهو من فعل المشركين ومن سنّة اليهود والنصارى:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقصة الصالحين كانت مبدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام، ثم تبعهم من بعدهم على ذلك»[٢].

ثانيا: بناء عليه:

١- القصة التي أشار إليها الحافظ ابن حجر:

أ- في صحيح البخاري حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَامٌ عَنْ ابْنِ

(١) «تاريخ مكة» ١٤١.

(٢) فتح الباري ٨/ ٦٦٩.

جُرَيْجٍ وَقَالَ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صَارَتْ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ[(١)]. وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال غير واحد من السلف: لما ماتوا؛ عكفوا على قبورهم، ثمّ صوّروا تماثيلهم، ثمّ طال عليهم الأمد، فعبدوهم»[(٢)].

ب- قال الحافظ في «الفتح» وأخرج الفاكهي من طريق عبيد الله بن عبيد بن عمير قال: أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح وكانت الأبناء تبر الآباء فمات رجل منهم فجزع عليه فجعل لا يصبر عنه فاتخذ مثالا على صورته فكلما أشتاق إليه نظره ثم مات ففعل به كما فعل حتى تتابعوا على ذلك فمات الآباء فقال الأبناء ما أتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم فعبدوها[(٣)].

ت- وفي تفسير الطبري بسنده عن محمد بن قيس ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾

---

(١) صحيح البخاري ٦/ ١٦٠ برقم: ٤٩٢٠.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ١٨٤.

(٣) فتح الباري ٨/ ٦٦٩ الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

[نوح: ٢٣] قال: كانوا قومًا صالحين من بنى آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوّروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر فعبدوهم (١).

ث- روى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: «أفرأيتم اللات والعزى قال: «كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره»، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كان يلت السويق للحاج» (٢).

٢- وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حرق الغالية من الرافضة، قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: أتي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقتلتهم لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» (٣) (٤).

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: «... وزعم أبو المظفر الإسفرايني في الملل والنحل إن الذين أحرقهم علي طائفة من الروافض

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٦٢٩.

(٢) المرجع السابق ٢٢/ ٥٢٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ١١٢ برقم: ٧٣٦٨.

(٤) صحيح البخاري بالفتح ١٢/ ٢٦٧.

ادعوا فيه الإلهية وهم السبائية وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهوديا ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة وهذا يمكن أن يكون أصله ما رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال قيل لعلي أن هنا قوما على باب المسجد يدعون أنك ربهم فدعاهم فقال لهم ويلكم ما تقولون؟ قالوا أنت ربنا وخالقنا ورازقنا فقال: ويلكم انما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون إن أطعت الله أثابني إن شاء وإن عصيته خشيت أن يعذبني فاتقوا الله وارجعوا فأبوا فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام فقال: ادخلهم فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة فأبوا إلا ذلك فقال يا قنبر ائتني بفعلة معهم مرروهم فخد لهم أخدودا بين باب المسجد والقصر وقال: أحفروا فابعدوا في الأرض وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود، وقال: اني طارحكم فيها أو ترجعوا فأبوا أن يرجعوا فقذف بهم فيها حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيــــت أمــــرا منكـــــرا وقـدت نـاري ودعـوت قنـبرا [1]

واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق، وهو قول أكثر العلماء[2].

---

(١) فتح الباري ١٢/ ٢٧٠ وهذا سند حسن.

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض الشيعة والقدرية ١/ ٢٨ ومجموع الفتاوى ٣/ ٣٧٠، ٣٩٤.

٣- وفي كتاب «السنة لعبد الله بن الإمام أحمد قال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ألا وإنه يهلك في اثنان: محب مفرط يقرظني بما ليس في، ومبغض مفتر يحمله شنآني على أن يبهتني، ألا إني لست بنبي، ولا يوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما استطعت، فما أمرتكم به من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم»[(١)]. ورواه الحاكم في «مستدركه» وزاد: «وما أمرتكم بمعصية أنا وغيري فلا طاعة لأحد في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، إنما الطاعة في المعروف».

وعن زاذان عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: «مثلي في هذه الأمة كمثل عيسى ابن مريم: أحبته طائفة فأفرطت في حبه فهلكت، وأبغضته طائفة فأفرطت في بغضه فهلكت، وأحبته طائفة فاقتصرت في حبه فنجت»[(٢)].

وعن أبي البختري أو عبد الله بن سلمة؛ قال: قال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «يهلك في رجلان: محب مفرط، ومبغض مفتر»[(٣)].

وعن أبي السوار؛ قال: قال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «ليحبني قوم حتى يدخلوا النار في حبي، وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي»[(٤)].

---

(١) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ٢/ ٥٤٤ برقم ١٣٦٣.

(٢) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب «السنة» ٢/ ٥٧٣.

(٣) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب «السنة» ٢/ ٥٤٤.

(٤) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ٢/ ٥٧٣.

٤- وخرج الطبري عن عمران قال: كتب رجل إلى عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فادع الله لي، فكتب إليه عمر: إني لست بنبي، ولكن إذا أقيمت الصلاة فاستغفر الله لذنبك. فكأنه فهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من السائل أمرا زائدا على الدعاء [(١)].

٥- وروي عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه لما قدم الشام أتاه رجل، فقال: استغفر لي، فقال: غفر الله لك، ثم أتاه آخر، فقال: استغفر لي، فقال: لا غفر الله لك، ولا لذاك، انبي أنا؟ فهذا أو ضح أنه فهم من السائل أمرا زائدا وهو أن يعتقد فيه أنه مثل النبي، أو أنه وسيلة إلى أن يعتقد ذلك، أو يعتقد أنه سنة تلزم، أو يجري في الناس مجرى السنن الملتزمة [(٢)].

من فقه السلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ لأن أول شرك في الأرض كان سببه محبة الصالحين.

رابعا: تحذيرهم من الغلو في القبور:

أجمع السلف على التحذير من الغلو في القبور وذلك من ستة عشر وجها:

الوجه الأول: ما جاء في مغازي ابن إسحاق من زيادات يونس بن بكير

عن أبي خلدة خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال: لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر فدعا له كعبا فنسخه بالعربية فأنا أول رجل قرأه

(١) ذكره الشاطبي في الاعتصام ٢/ ٢٤.

(٢) المرجع السابق.

من العرب قرأته مثل ما أقرأ القرآن فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد.

قلت: فماذا صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه عن الناس لا ينبشونه قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة.

قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا إلا شعيرات من قفاه إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض»(١).

قد يطعن البعض في هذه الرواية لقوله فيها: (منذ ثلاثمائة سنة) إذ من المعلوم أن آخر رسل وأنبياء بني إسرائيل هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنه لا نبي بينه وبين نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،وأنه من المتفق عليه أن ما بين عيسى ومحمد -عليهما الصلاة والسلام- أكثر من ثلاثمائة سنة بكثير، وكان ابن كثير قد أجاب عن هذا الإشكال فقال: «ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلاثمائة سنة فليس بنبي بل هو رجل صالح؛ لأن عيسى بن مريم ليس

---

(١) الفتن لنعيم بن حماد ١/ ٣٨ ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٨٢ وذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٥/ ١٥٤. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية) البداية والنهاية ٢/ ٣٧٦.

بينه وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي بنص الحديث الذي في البخاري، والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة، وقيل ستمائة، وقيل ستمائة وعشرون سنة، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة، وهو قريب من وقت دانيال، إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر، فإنه قد يكون رجلاً آخر، إما من الأنبياء، أو الصالحين، ولكن قربت الظنون أنه دانيال؛ لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجونًا كما تقدم.

كيفما كان الأمر فموضع الشاهد محفوظ لنا وهو أن الصحابة منهجهم الذي تلقَّوه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو طمس القبور، وإخفاؤها سواء كانت لأنبياء أو صالحين أو غيرهم، بل كلما كان العبد ذا منزلة أعظم كانت عنايتهم بإخفاء قبره أكبر لأن خوف الفتنة حينئذ أشد» [(١)].

تعليق الإمام ابن القيم على القصة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من تعمية قبره لئلا يفتتن به ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيف ولعبدوه من دون الله»[(٢)].

تعليق شيخ الإسلام ابن تيمية على القصة: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو إنكار منهم لذلك فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها - ولم يستحب

(١) انظر القبورية في اليمن ص٥٦.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٣.

الشارع قصدها - فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض سواء قصدها ليصلي عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله عندها أو لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به، لا نوعا، ولا عينا إلا أن ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها كمن يزورها ويسلم عليها ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة.

وأما تحرى الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره فهذا هو المنهى عنه انتهى ملخصا [(١)].

الوجه الثاني: عدم إبرازهم قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبور الصحابة.

١- عدم إبرازهم قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد صرحت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الصحابة لم يبرزوا قبره لئلا يتخذ مسجدا، وهذا الذي فهمته عائشة من أحاديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي لعن فيها اليهود والنصارى؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد- هو الفقه الصحيح والفهم الثاقب اللائق بها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وليس هو فهمها وحدها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وإنما فَهْمُ الصحابة جميعاً، والدليل على ذلك أنهم دفنوه كما يدفن سائر المسلمين لم يميّزوه بشيء عن سائر الموتى إلا وضع قطيفة في لحده حيث لا يخشى من ذلك أي تأثير على عقائد الناس؛ إذ لم تكن ظاهرة لهم ولا يمكن أن يفتتن بها أحد.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٣١٤.

وأما هيئة القبر فإنه كسائر القبور، فقد روى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سفيان التمار أنه رأى قبر النبي مسنمـًا.

قال الحافظ: (أي مرتفعـًا) يعني الارتفاع المشروع فقط، يفسره ما رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه عن القاسم بن محمد قال: دخلت على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فقلت: «يا أماه اكشفي لي قبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء»[(١)].

وزاد الأمر وضوحـًا ما رواه الآجُرّي في كتاب صفة قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طريق إسحاق بن عيسى بن بنت داود بن أبي هند عن غنيم بن بسطام المدني قال: «رأيت قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إمارة عمر بن عبدالعزيز فرأيته مرتفعـًا نحواً من أربع أصابع ورأيت قبر أبي بكر وراء قبره ورأيت قبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه»[(٢)]. كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

٢- عدم إظهار التابعين رحمهم الله قبور الصحابة وهي متفرقة في البلدان أيام الفتوحات. وإن جهلنا بقبورهم أعظم دليل على عدم التفات السلف لقبور الصالحين، وأن وضع القباب، والمشاهد، والبناء، والكتابة

---

(١) سنن أبي داوود ٣/ ٢٠٨ برقم ٣٢٢٢.

(٢) الفتح (٣/ ٢٥٥).

عليها، ورفعها ليس إلا من دين القبورية المشركين من الصوفية، والروافض بعد القرون المفضلة.

قال شيخ الإسلام ا بن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ وهو يتكلَّم عن مشهد رأس الحسين: «... دَعْ خلافة بني العباس في أوائلها وفي حال استقامتها فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد سواء منها ما كان صدقاً أو كذباً كما حدث فيما بعد؛ لأن الإسلام كان حينئذ في قوته وعنفوانه ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب ولم يكن قد أحْدِث مشهد لا على قبر نبي ولا صاحب ولا من أهل البيت ولا صالح أصلاً، بل عامة هذه المشاهد محدثه بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة وكثر فيهم الزنادقة والملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفي دولتهم قويَ بنو القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بناحية النجف، وإلاّ فقبل ذلك لم يكن أحد يقول: إن قبر علي هناك وإنما دفن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقصر الإمارة بالكوفة. وإنما ذكروا أن بعضهم حكى عن

الرشيد أنه جاء إلى بقعة هناك وجعل يعتذر إلى المدفون فيها، فقالوا: إنه علي، وإنه اعتذر إليه مما فعل بولده، فقالوا هذا قبر علي، وقد قال قوم إنه قبر المغيرة بن شعبة والكلام عليه مبسوط في غير هذا الموضع»[(١)].

وقال الذهبي في آخر ترجمة عضد الدولة البويهي الذي قال عنه قبل ذلك «وكان شيعياً جلداً أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي وبنى عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتَم عاشوراء والاعتزال» ثم قال: وبه ختم ترجمة عضد الدولة: «قلت: فنحمد الله على العافية فلقد جرى على الإسلام في المائة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البويهية بالمشرق وبالأعراب القرامطة فالأمر لله تعالى»[(٢)].

وقال ابن كثير في حوادث سنة (٣٤٧ هـ): «وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابة من بني بوية وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقاً وخرا سان وغير ذلك من البلاد كانوا رفضاً وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، وكثر السب والتكفير منهم للصحابة»[(٣)].

ويؤيده كذلك ما ذكره السمهودي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» وهو يتحدث عن قبر فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قال: «وإنما أوجب عدم

(١) مجموع الفتاوى٢٧/ ٤٦٥.

(٢) أعلام النبلاء ٣١/ ٢٩٦.

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٢٦٤ دار إحياء التراث.

العلم بعين قبر فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغيرها من السلف ما كانوا عليه من عدم البناء على القبور وتجصيصها»[(١)].

ثم قال تحت عنوان: «بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع وغيره من المدينة المشرفة»: اعلم أن أكثر الصحابة كما قال المطري ممن توفي في حياة النبي وبعد وفاته- مدفونون بالبقيع وكذلك سادات أهل بيت النبي وسادات التابعين.

وفي مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرقوا في البلدان.

وقال المجد: «لاشك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة غير أن اجتناب السلف الصالح المبالغة في تعظيم القبور وتجصيصها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم فلذلك لا يعرف قبر معين منهم إلاّ أفراداً معدودة»[(٢)].

الوجه الثالث تحذيرهم من اتخاذ القبور عيدا، ومنه الإتيان إلى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما دخل المسجد النبوي للصلاة فيه، ومنه تحري الدعاء عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٣ / ٩٠٦) لنور الدين محمد السمهودي توفي (٩١١هـ).

(٢) ذكره في القبورية في اليمن ١/ ٩٦.

١- روى ابن أبي شيبة في المصنف عن خالد بن الحارث قال سئل هشام أكان عروة يأتي قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيسلم عليه؟ قال: لا [١].

٢- وعن نوح بن يزيد قال: أخبرنا أبو إسحاق يعني إبراهيم بن سعد قال: ما رأيت أبي قط يأتي قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يكره إتيانه[٢].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣/ ٣٤١.

(٢) الرد على الأخنائي (ص ٢٦٨). وقال شيخ الإسلام بعد إيراده لهذا الأثر وعزوه الى أبي الحسن علي بن عمر القزويني في أماليه ما نصه: ونوح بن يزيد بن سيار المؤدب هذا الراوي عن ابراهيم ابن سعد هو ثقة معروف بصحبة ابراهيم وله اختصاص به روى عنه أحمد بن حنبل وأبو داود وغيرهما قال أبو بكر الأثرم: ذكر لي أبو عبد الله نوح بن يزيد المؤدب فقال هذا شيخ كبير أخرج أبي كتاب إبراهيم بن سعد فرأيت فيه ألفاظا وقال محمد بن المثنى: سألت أحمد بن حنبل عنه فقال: اكتب عنه فإنه ثقة حج مع إبراهيم بن سعد وكان يؤدب ولده. وذكره ابن حبان في الثقات. وأما إبراهيم بن سعد فهو من أكابر علماء المدينة وأكثرهم علما وأوثقهم وكان قد خرج الى بغداد روى عنه الناس: أحمد بن حنبل وطبقته، ومن سعة علمه روى عنه الليث بن سعد وهو أقدم وأجل منه. وأما أبوه سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري الذي ذكر عنه ابنه إبراهيم أنه قال: ما رأيت أبي قط أتى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان يكره إتيانه وهو من أفضل أهل المدينة في زمن التابعين ومن أصلحهم وأعبدهم، وكان قاضي المدينة في زمن التابعين في زمن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وأمثاله... توفي سنة ست وعشرين ومائة... وقد أدرك بالمدينة جابر ابن عبد الله وسهل بن سعد الساعدى وغيرهما من الصحابة، ورأى كبار التابعين مثل سعيد بن =

٣- وأما مَنْ قدم من سفر أو أراده من أهل المدينة فرخصوا له في إتيان القبر الشريف للسلام، لأن ابن عمر كان يفعله.

قال مالك: «لا بأس لمن قدم من سفر، أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيصلي عليه، ويدعو له، ولأبي بكر، وعمر، فقيل له: إن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر، ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر، وربما وقفوا في الجمعة، أو في الأيام المرة، أو المرتين أو أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون ساعة، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، وتركه واسع، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم يفعلون ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر، أو أراده»(١).

٤- قال ابن أخيه عبيد الله بن عمر بن عاصم: لم يفعله أحد من أصحاب

= المسيب وسائر الفقهاء السبعة، ومعلوم أنه لم يكن ليخالفهم فيما اتفقوا عليه، بل قد يخالف ابن عمر، فإن ما نقله عنه ابنه يقتضي أنه كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتيه لا عند السفر ولا غيره بل يكره إتيانه مطلقا كما كان جمهور الصحابة على ذلك لما فهموا من نهيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك وأنه أمر بالصلاة والسلام عليه في كل زمان ومكان... مع أن سعد بن إبراهيم هذا في دينه وعبادته وصيامه وتلاوته للقرآن بحيث كان يختم باليوم والليلة كثيرا.

(١) نقله القاضي عياض في «الشفا» ٢/ ٨٨ وابن الحاج في «المدخل» ١٦٣ وابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص٣٥٥.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا ابن عمر[(١)]. وعبيد الله المصغَّر من أفضل آل عمر، ومن أعيان وقته، ثقةً وزهداً وعلماً.

وأما دعاؤه، وطلب الشفاعة منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته، فهم مجمعون على المنع منه.

ولم ينقل عن أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة، ولا غيرهم، ما يقتضي الجواز والإباحة.

٥- وعن علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**»[(٢)].

---

(١) قال عبدالرزاق في «المصنف» ٣/ ٥٧٦: عن معمر عن أيوب عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه.

وأخبرنا عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر. قال معمر: فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر، فقال: ما نعلم أحداً من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل ذلك إلا ابن عمر.

(٢) رواه أبو يعلى (١/ ٣٦١)، والضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة) (٤٢٨). قال ابن عبدالهادي المقدسي في (الصارم المنكي) (٢٠٦): جيد. وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٤/ ٦): رواه أبو يعلى، وفيه حفص بن إبراهيم الجعفري ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً، وبقية رجاله ثقات. وقال السخاوي في (المقاصد الحسنة) =

تعليق شيخ الإسلام على أثر علي بن الحسين: قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدنية وأهل البيت الذين لهم من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرب النسب وقرب الدار؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط»[(١)] اهـ.

٦- وروى سعيد في «سننه»، حدثنا حبان بن علي، حدثني محمد بن عجلان، عن أبي سعيد مولى المهري قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تتخذوا بيتي عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**»[(٢)].

٧- وقال سعيد بن منصور في سننه حدثنا عبدالعزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهل قال: رآني الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا يتعشى فقال: هلم إلى العشاء فقلت: لا أريده فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إذا دخلت المسجد فسلم ثم قال: إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا

= (٣١٣)، والعجلوني في (كشف الخفاء) (٢/ ٣٣): حسن. وقال الألباني في (تحذير الساجد): وسنده مسلسل بأهل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، إلا أن أحدهم وهو علي بن عمر مستور، كما قال الحافظ في (التقريب) (١/ ٧٠٠).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ٢/ ١٧٦.

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه» مرسلاً كما في (اقتضاء الصراط المستقيم) لابن تيمية (ص: ٣٢٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٦٢).

تتخذوا قبري عيدا ولا تتخذوا بيوتكم مقابر وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ما أنتم وبني بالأندلس إلا سواء»[(١)].

التعليق: فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لاسيما وقد احتج من أرسله به وذلك يقتضي ثبوته عنده، ولو لم يكن روي من وجوه مسندة غير هذين. فكيف وقد تقدم مسندا؟ أين الخلف من السلف؟ قبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدا. فقبر غيره أولى بالنهي كائنًا من كان، ثم إنه قرن ذلك بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ولا تتخذوا بيوتكم قبورا**» أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم. وفي «الصحيحين» عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا**»[(٢)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما علمت أحدا رخص فيه لأن ذلك نوع من

---

(١) رواه سعيد بن منصور في (سننه) مرسلاً كما في (اقتضاء الصراط المستقيم) لابن تيمية (ص: ١٠٦)، ورواه عبدالرزاق في (المصنف) (٣/ ٧١). قال ابن القيم في (إغاثة اللهفان) (١/ ٣٠١)، وابن عبدالهادي الحنبلي في (الصارم المنكي) (ص: ٣٢٢): مرسل. قال الألباني في (أحكام الجنائز) (ص٢٢٠): مرسل بإسنادٍ قوي.

(٢) أخرجه البخاري ١/ ٢١٤ برقم: ٤٣٢ ومسلم ٢/ ١٨٧ برقم: ١٧٧٠.

اتخاذه عيدا ويدل أيضا على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهى عنه؛ لأن ذلك لم يشرع.

وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك قال: «ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها» وكان الصحابة والتابعون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يأتون إلى مسجد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيصلون فإذا قضوا الصلاة قعدوا، أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام؛ لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل.

وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم، بل نهاهم عنه في قوله: «**لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني**» فبين أن الصلاة تصل إليه من بعد، وكذلك السلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب إذا كانت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فيها وبعد ذلك إلى أن بنى الحائط الآخر وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون عليه، لا للسلام، ولا للصلاة، ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما أو سلاما فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث أو أنه قد رد عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويفتيهم ويحدثهم في الظاهر وأنه

يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليلة المعراج. والمقصود: أن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ لم يكونوا يعتادون السلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلوف وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر كما كان ابن عمر يفعله، قال عبيد الله بن عمر عن نافع كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه ثم ينصرف قال عبيد الله: ما نعلم أحدا من أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فعل ذلك إلا ابن عمر وهذا يدل على أنه لا يقف عند القبر للدعاء إذا سلم كما يفعله كثير»[(١)].

الوجه الرابع: تحذيرهم من مس قبر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عند زيارته.

أجمع السلف على أن التمسح بالقبر وتقبيله بدعة وممن نقل الإجماع:

١- الإمامُ النوويُّ (ت: ٦٧٦هـ): «قالوا: ويُكرَهُ مَسحُه باليدِ وتَقبيلُه، بل الأدبُ أن يُبعَدَ منه كما يُبعَدُ منه لو حَضَره في حياتِه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، هذا هو الصوابُ الذي قاله العلماءُ وأطبقوا عليه»[(٢)].

٢- وشيخ الإسلام ابن تيمية فقال رَحِمَهُٱللَّهُ: «وَأَمَّا التَّمَسُّحُ بِالْقَبْرِ - أَيَّ

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٣٦٦:

(٢) المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٧٥).

قَبْرٍ كَانَ - وَتَقْبِيلُهُ وَتَمْرِيغُ الْخَدِّ عَلَيْهِ فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَلَمْ يَفْعَلْ هَذَا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا بَلْ هَذَا مِنْ الشِّرْكِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٤] وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ صَالِحِينَ كَانُوا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَأَنَّهُمْ عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ مُدَّةً ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمْ الْأَمَدُ فَصَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ. لَا سِيَّمَا إذَا اقْتَرَنَ بِذَلِكَ دُعَاءُ الْمَيِّتِ وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِ»(١).

٣- وقال الشريفُ السَّمْهوديُّ الشافعيُّ (ت: ٩١١هـ): «قال الأَقْشَهْرِيُّ: قال الزَّعفرانيُّ في كتابه: وضعُ اليد على القَبرِ ومَسُّه وتقبيلُه: مِن البِدَعِ التي تُنكَرُ شرعًا، ورُوِيَ أنَّ أنسَ بنَ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأى رجُلًا وضع يدَه على قبرِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنهاه، وقال: ما كنَّا نَعرِف هذا على عَهدِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أنكره مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ أشدَّ الإنكار»(٢).

٤- وقال الشيخُ مرعي بن يوسف الحنبليُّ (ت: ١٠٣٣هـ): «أمَّا تَقبيلُ القبورِ والتمَسُّحُ بها، فهو بِدعةٌ باتِّفاق السَّلف؛ فيشَدَّدُ النكيرُ على مَن يفعل ذلك، ممَّن تَزيَّا بزيِّ أهل العِلم؛ خوفَ الافتِتان به، والاقتداءِ بفِعلِه»(٣).

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٩٢.

(٢) (وفاء الوفاء) (٤/ ٢١٥).

(٣) (شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور) ص ٤٢.

٥- وقال العَلَّامة المُعَلِّميُّ اليمانيُّ (ت:١٣٨٦هـ): عُلماءُ الأُمَّة سَلَفًا وخَلَفًا مُجمِعون على أنَّ التبرُّك بالقُبور، بالاستلامِ والتمسُّح والتقبيل ووضعِ العينينِ ونحوه؛ كلُّه مُحادَّةٌ للهِ ورسولِه، وخروجٌ عن سواءِ سَبيلِه؛ فالعلماء بين مُكفِّرٍ ومُفسِّق. ولا يصِحُّ قياسُ قبرِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على آثارِه؛ لأنَّ القبورَ -ولا سيَّما قُبورُ الأنبياء والصالحين- مَظِنَّةُ افتِتان الناسِ وضلالِهم[(١)].

- يَكفي للدَّلالةِ على بُطلان جواز هذا الفِعل: أنَّه لم يَرِدْ فيه حديثٌ واحدٌ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفاعِلُه إنَّما يتقرَّبُ به إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فهو مِن المُحدَثاتِ التي قال عنها رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما روَتْه عنه عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**مَن أَحْدَثَ في أمْرِنا هذا ما ليس فيه، فهو رَدٌّ**»[(٢)]، وفي رواية لمسلمٍ: «**مَن عَمِلَ عَمَلًا ليس عليه أَمْرُنا، فهو رَدٌّ**»[(٣)].

- لا شَكَّ أنَّ هذا الفِعلَ مِن تَعظيم القبور، وقد نَهى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، فقال: «**لَعْنةُ اللهِ على اليَهودِ والنَّصارى؛ اتَّخَذوا قُبورَ أنبيائِهم مَساجِدَ**»[(٤)]، وقال -كما في الحديثِ الحَسنِ-: «**لا تَجْعَلوا قَبري عِيدًا، وصَلُّوا عليَّ؛ فإنَّ صَلاتَكم تبلُغُني حيثُ ما كنتُم**»[(٥)].

---

(١) (آثار الشيخ المعلمي) (٤/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه البخاري ٣/ ١٢٦١ برقم ٢٦٧ ومسلم ٥/ ١٢٢ برقم ٤٥١٣.

(٣) أخرجه مسلم ٥/ ١٢٢ برقم: ٤٥١٤ .

(٤) أخرجه البخاري ١/ ٢١٢ برقم: ٤٢٦ ومسلم ٢/ ٦٧ برقم: ١١٢١.

(٥) أخرجه أبو داود ٣/ ٣٨٥ برقم: ٢٠٤٢ وقد صحح إسناده الحافظ.

• لم يثبُت عن صَحابيٍّ واحدٍ أنه كان يتبَرَّكُ بالتمسُّح بقبرِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو تَقبيلِه -رغمَ حُبِّهم الشديدِ له، وتبرُّكِهم به في حَياتِه بجَسَدِه، وما يخرُجُ منه مِن عَرَقٍ وغيرِه- وبآثارِه بعدَ مماتِه، وهذا كلُّه ثابتٌ في أحاديثَ وآثارٍ صحيحةٍ، ولو كان التبرُّك بالتَّمسُّحِ بالقَبرِ من جِنسِ هذا، لفَعلوه بعد مماتِه.

ومن الآثار التي وردت:

١- ثبَت عن ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بإسنادٍ صحيحٍ، أنه: «كان يَكرَهُ مَسَّ قَبرِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)].

٢- وقال مَالِكٌ فِي رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ ودعا، يقف ووجهه إلى القبر لَا إِلَى الْقِبْلَةِ، ويدنو ويسلم، ولا يمس القبر بيده[(٢)].

٣- وقال القاضي عياض: قال مالك في «المبسوط»: «لا أرى أن يقف

(١) أخرجه محمد بن عاصم في (جزء له) (٢٨) بإسناد متَّصل، رجاله كلُّهم ثقاتٌ أثبات، فقال: حدَّثَنا أبو أسامة -وهو حماد بن أسامة الكوفي- عن عُبَيد الله -وهو ابنُ عُمر بن حفص- عن نافع -مولى ابن عمر- عن ابن عمر، وهذا إسنادٌ كالشمس.
ورواه من طريقه الذهبي في (معجم الشيوخ) (١/ ٤٥).
وأخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) (٤١٥٠) عن عُبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر: أنه كان إذا قدِمَ من سفرٍ بدأ بقَبر النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصلَّى عليه وسلَّمَ، ودعا له، ولا يمَسُّ القبرَ، ثم يُسلِّم على أبي بكر.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٨٥ الناشر دار الفكر.

عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو، ولكن يسلم ويمضي»[(١)].

٤- وقال الشيخ خليل المالكيُّ ت: ٧٧٦هـ: «روى ابنُ وهبٍ في المختصَرِ قال: سُئِلَ مالكٌ: من أين يقِفُ من أراد التَّسليمَ؟ فقال: مِن عندِ الزاويةِ التي تلي القِبلةَ مِمَّا يلي المِنبرَ، ويَستقبِلُ القبلةَ، ولا أحِبُّ أن يمسَّ القبرَ بيَدِه»[(٢)].

٥- وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدثني أبي قال: سمعتُ أبا زيد حمَّاد بن دليل قال لسفيان - يعني ابن عيينة - قال: كان أحدٌ يتمسَّحُ بالقبرِ؟ قال: لا، ولا يلتزمُ القبر[(٣)].

٦- قال الأثرم: رأيتُ أهلَ العلم من أهل المدينة لا يمسُّون قبرَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٤)].

قلت: ذكر أبو حامد الغزالي أن مس القبور وتقبيلها عادة اليهود قال كما في الإحياء: «فإن المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود»[(٥)].

وذكر القرافي: «... وَرَابِعُهَا أَنَّ التَّقْبِيلَ وَالِاسْتِلَامَ نَوْعٌ مِنْ الِاحْتِرَامِ وَهُمَا خَاصَّانِ بِالْكَعْبَةِ»[(٦)].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) «التوضيح» ٢/ ١٠١.

(٣) الرد على الإخنائي ص٤١٥.

(٤) المغني ٥/ ٥٦٨.

(٥) إحياء علوم الدين للغزالي ٢/ ٢٦ ومعه تخريج حافظ العراقي.

(٦) (الذخيرة ٢/ ٢٨٢-٢٨٣) ط/ ١ الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت.

الوجه الخامس: تحذيرهم من الطواف حول القبر:

أجمع السلف على التحذير من الطواف حول القبر يدل عليه:

أولا: أجمع السلف على ترك الطواف حول القبور حيث لم ينقل عن أحد منهم وهو إجماع تركي ومن المعلوم أن الإجماع التركي حجة، وقد استدل الأئمة به كمالك كما في العتبية وغيره.

ثانيا: أجمعوا على تحريم الطواف حول القبور وممن نقل الإجماع:

ابن حجر الهيتيي، فقال: «لا يجوز أن يطاف بقيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما نقله النووي عن إطباق العلماء، ويوجه بأنهم كما أجمعوا على تحريم الصلاة لقبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إعظاما له كذلك أجمعوا على تحريم الطواف بقيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الطواف بمنزلة الصلاة»(١).

ثالثا: الطواف لا يشرع إلا بالبيت العتيق بالإجماع قال أبو العباس رَحِمَهُ اللَّهُ «الطواف لا يشرع إلا بالبيت العتيق باتفاق المسلمين ولهذا اتفقوا على تضليل من يطوف بغير ذلك مثل من يطوف بالصخرة أو بحجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بالمساجد المبنية بعرفة أو منى أو غير ذلك أو بقبر بعض المشايخ أو بعض أهل البيت كما يفعله كثير من جهال المسلمين فإن الطواف بغير البيت العتيق لا يجوز باتفاق المسلمين بل من اعتقد ذلك دينًا وقربة عرف أن ذلك ليس بدين باتفاق المسلمين وأن ذلك معلوم بالضرورة

---

(١) الجوهر المنظم ص٦٣.

من دين الإسلام فإن أصر على اتخاذه دينًا قتل»[(١)] ا.هـ.

رابعا: أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تحرجوا من الطواف بين الصفا والمروة وقالوا «إنما الطواف بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية وإنما أمرنا الله بالطواف بالبيت ولم نؤمر بالطواف بين الصفا والمروة» ففهموا من قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج: ٢٩] الحصر والقصر حتى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].

فقد فهموا من ظاهر القرآن أن الطواف لا يكون إلا بالبيت الحرام فقط لأنه عبادة وصلاة ونسك يجب فيه الإخلاص لله وحده ولهذا تركوا كل ما كانوا عليه في الجاهلية من إهلال وطواف وحج لأوثانهم التي كانوا يهلون لها ويطوفون بها وقد كان للمشركين أصنام على الصفا والمروة في الجاهلية حتى ظهر الإسلام وهدم الأصنام وأمرهم الله بالطواف بالصفا والمروة والسعي بينهما لكونهما أيضا من شعائر الله ومناسكه التي شرعها لعباده ليتقربوا إليه بأدائها وحده لا شريك له.

خامسا: صرح العلماء أن الطواف حول القبور بدعة أي لم يفعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا السلف الصالح ممن قال ذلك:

١- قال الشيخ خليل المالكيُّ في بيان مذهب إمامه مالك بن أنس (ت:

(١) مجموع الفتاوى ٢٦/ ٢٥٠.

٧٧٦هـ): «ولْيَحذرْ ممَّا يفعلُه بعضُهم من طوافِه بقبره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكذلك أيضًا: تمسُّحهم بالبِناء، ويُلقون عليه مناديلَهم وثيابهم، وذلك كلُّه من البِدَع؛ لأنَّ التبركَ إنما يكون بالاتِّباع له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وما كانتْ عِبادةُ الجاهلية الأصنامَ إلا مِن هذا الباب»[1].

٢- وقال ابن الحاج في بيان مذهب إمامه مالك بن أنس: «... فينبه العالم غيره على ذلك ويحذرهم من تلك البدع التي أحدثت هناك فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام ويتمسح به ويقبله ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم يقصدون به التبرك وذلك كله من البدع؛ لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب ولأجل ذلك كره علماؤنا رحمة الله عليهم التمسح بجدار الكعبة أو بجدران المسجد أو بالمصحف إلى غير ذلك مما يتبرك به سدا لهذا الباب ولمخالفة السنة لأن صفة التعظيم موقوفة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكل ما عظمه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعظمه ونتبعه فيه فتعظيم المصحف قراءته والعمل بما فيه لا تقبيله ولا القيام إليه كما يفعل بعضهم في هذا الزمان وكذلك المسجد تعظيمه الصلاة فيه لا التمسح بجدرانه وكذلك الورقة يجدها الإنسان في الطريق فيها اسم من أسمائه تعالى أو اسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ترفيعه إزالة الورقة من

(١) مناسك الحج للشيخ خليل بن خليل ص ١٦٤.

موضع المهانة إلى موضع ترفع فيه لا بتقبيلها وكذلك الخبز يجده الإنسان ملقى بين الأرجل تعظيمه أكله لا تقبيله وكذلك الولي تعظيمه اتباعه لا تقبيل يده وقدمه ولا التمسح به فكذلك ما نحن بسبيله تعظيمه باتباعه لا بالابتداع عنده...»[(١)].

٣- وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا يَجُوزُ أَنْ يُطَافَ بِقَبْرِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُكْرَهُ إِلْصَاقُ الظَّهْرِ وَالْبَطْنِ بِجِدَارِ الْقَبْرِ قَالَهُ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ الْحَلِيمِيُّ وَغَيْرُهُ قَالُوا وَيُكْرَهُ مَسْحُهُ بِالْيَدِ وَتَقْبِيلُهُ بَلْ الْأَدَبُ أَنْ يَبْعُدَ مِنْهُ كَمَا يَبْعُدُ مِنْهُ لَوْ حَضَرَهُ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي قَالَهُ الْعُلَمَاءُ وَأَطْبَقُوا عَلَيْهِ وَلَا يُغْتَرُّ بِمُخَالَفَةِ كَثِيرِينَ مِنْ الْعَوَامّ وَفِعْلِهِمْ ذَلِكَ.

فَإِنَّ الِاقْتِدَاءَ وَالْعَمَلَ إنَّمَا يَكُونُ بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَلَا يُلْتَفَتُ إلَى مُحْدَثَاتِ الْعَوَامّ وَغَيْرِهِمْ وَجَهَالَاتِهِمْ.

* وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ. «**مَنْ عَمِلَ عملا ليس عليه عملنا فَهُوَ رَدٌّ**» وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تجعلوا قبري عبدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث ما كُنْتُمْ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

* وَقَالَ الفضيل ابن عِيَاضٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا مَعْنَاهُ اتَّبِعْ طُرُقَ الْهُدَى وَلَا

(١) المدخل ١/ ٢٦٢.

يَضُرُّك قِلَّةُ السَّالِكِينَ وَإِيَّاكَ وَطُرُقَ الضَّلَالَةِ وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ وَمَنْ خَطَرَ بِبَالِهِ أَنَّ الْمَسْحَ بِالْيَدِ وَنَحْوَهُ أَبْلَغُ فِي الْبَرَكَةِ فَهُوَ مِنْ جَهَالَتِهِ وَغَفْلَتِهِ لِأَنَّ الْبَرَكَةَ إنما هي فيما وافق الشرع وكيف ينبغي الْفَضْلُ فِي مُخَالَفَةِ الصَّوَابِ»(١).

٤- وقال ابن حجر في الزواجر: الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها واتخاذها أوثانًا والطواف بها واستلامها والصلاة إليها ثم ساق الأحاديث في ذلك فانظره (٢).

٥- وقال صاحب الروض: «ويسلم عليه - أي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستقبلاً له ثم يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره ويدعوا بما أحب ويحرم الطواف بها ويكره التمسح بالحجرة ورفع الصوت عندها»(٣).

٦- وقال في شرح منتهى الإرادات «ويحرم الطواف بها أي الحجرة النبوية، بل يحرم الطواف بغير البيت العتيق اتفاقًا قاله الشيخ تقي الدين»(٤) اهـ.

الوجه السادس: أمرهم بهدم القبور المبنية، وتسوية المرتفعة:

يدل عليه:

أولا: إجماعهم على ترك البناء على القبور.

(١) المجموع شرح المهذب ٨/ ٢٧٥.
(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر / ١ دار الفكر.
(٣) الروض المربع ص٢٨٢ الناشر: دار المؤيد - مؤسسة الرسالة.
(٤) شرح منتهى الإرادات ١/ ٥٩٤ ط / ١ عالم الكتب.

ثانيا: اتفاق سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم على أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله لفاعلها:

- قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنه قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هذا الوقت أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله لفاعلها كما يأتي بيانه، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين لكنه للإمام يحيى بن حمزة مقالة تدل على أنه يرى أنه لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء ولم يقل بذلك غيره... فإذا عرفت هذا تقرر أن الخلاف واقع بين الإمام يحيى وبين سائر العلماء، من الصحابة والتابعين، ومن المتقدمين من أهل البيت والمتأخرين، ومن أهل المذاهب الأربعة وغيرهم ومن جميع المجتهدين أولهم وآخرهم»[(١)].

ثالثا: نماذج تدل على ذلك:

١- عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، قَالَ: «تَسْوِيَةُ الْقُبُورِ مِنَ السُّنَّةِ»[(٢)].

٢- عن أبي الهيّاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفـًا إلا سوّيته»[(٣)].

---

(١) شرح الصدور عن تحريم رفع القبور ص٥.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٢٨ برقم: ١١٧٩٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢/ ٦١ برقم: ٢٢٠٣.

٣- عَنْ حَنَشٍ الْكِنَانِيِّ، قَالَ: دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى صَاحِبِ شُرْطَةٍ فَقَالَ: «انْطَلَقَ فَلَا تَدَعْ زُخْرُفًا إِلَّا أَلْقَيْتَهُ، وَلَا قَبْرًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرِي إِلَى أَيْنَ بَعَثْتُكَ؟ إِلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)].

٤- عَنْ أَبِي فَزَارَةَ، عَنْ مَوْلًى لِابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِذَا رَأَيْتَ الْقَوْمَ قَدْ دَفَنُوا مَيِّتًا، فَأَحْدَثُوا فِي قَبْرِهِ مَا لَيْسَ فِي قُبُورِ الْمُسْلِمِينَ فَسَوِّهِ بِقُبُورِ الْمُسْلِمِينَ»[(٢)].

٥- عن ثمامة بن شفي قال: «كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بتسويتها»[(٣)].

٦- قال عبدالله بن شرحبيل بن حسنة رَحِمَهُ اللَّهُ: «رأيت عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأمر بتسوية القبور، فقيل له: هذا قبر أم عمرو بنت عثمان فأمر به فسوي»[(٤)].

٧- وعن عمرو بن شرحبيل قال: «لا ترفعوا جدثي -يعني القبر-؛ فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك»[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٨ برقم: ١١٧٩٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه مسلم ٣/ ٦١ برقم: ٢٢٨٦.

(٤) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف كتاب الجنائز باب في تسوية القبر وما جاء فيه ٣/ ٣٤١ وأبو زرعة في تاريخه بسند صحيح إلى عبدالله وانظر تحذير الساجد ص٩٨.

(٥) رواه بن سعد في الطبقات ٦/ ١٠٨ وصحح إسناده الألباني.

٨- في الجوهر النقي عن الطبري: «هيئة القبور سنة متبعة، ولم يزل المسلمون يسنمون قبورهم، ثم قال: حدثنا ابن بشار عن عبدالرحمن، حدثنا خالد بن أبي عثمان قال: «رأيت قبر ابن عمر مسنما»[(١)].

٩- قال محمد بن الحسن في «الآثار» عن أبي حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم، كان يقال: «ارفعوا القبر حتى يعرف أنه قبر فلان فلا يوطأ»[(٢)].

١٠- الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مذهبه حجية عمل أهل المدينة، وقد قرر التسنيم، وترك التجصيص والبناء، وقضيته أن عمل أهل المدينة كان على التسنيم وترك التجصيص والبناء.

١١- وفي النوادر والزيادات: في البناء على القبور، وتجصيصها، والكتاب عليها، وبناء الْمَسَاجِد عليها، والجلوس والمشي وزيارتها.

من الْعُتْبِيَّة، من سماع ابن القاسم: وكره مالك أن يرصص على القبور بالحجارة والطين، أو يبنى عليها بطوب أو حجارة. قال: وكره هذه الْمَسَاجِد المتخذة على القبور. فأما مقبرة داثرة يبنى فيها مسجد يُصَلَّى فيه، لم أر به بأسا.

وكره ابن القاسم: أن يجعل على القبر بلاطة، ويكتب فيها، ولم ير بالحجر والعود، والخشبة بأسا، يعرف الرجل به قبر وليه، ما لم يكتب فيه،

(١) الجوهر النقي ١/ ٢٦٦.

(٢) الآثار ٢/ ٩٠ وانظر أيضا فتح القدير ٢/ ٣٩والنيابة ٢/ ١٠٣.

ولا أرى قول عمر: ولا تجعلوا على قبري حجرا إلاَّ أنه أراد من فوقه على معنى البناء.

ومن (كتاب ابن حبيب): ونهى عن البناء عليها، والكتاب، والتجصيص، ورَوَى جابر عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن ترفع القبور، أو يبنى عليها، أو يكتب فيها، أو تقصص - ورَوَى: تجصص - وأمر بهدمها وتسويتها بالأرض. وفعله عمر. قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ: تقصص أو تجصص، يعني تبيض بالجير أو بالتراب الأَبْيَض، والْقَصَّة: الجير وهو الجص. ويَنْبَغِي أن تسوى تسوية تسنيم[(١)].

وأفتى ابن رشد بوجوب هدم ما بني في مقابر المسلمين من السقائف والقبب والروضات، وأن لا يبقى من جدارتها إلا قد ما يميز به الرجل قبر قريبه لئلا يأتي من يريد الدفن بذلك الموضع، وذلك قدر ما يمكن دخوله من كل ناحية دون باب، ونقض ذلك لربه. قال وإن كان بناؤها في ملك بانيها فحكمها حكم بناء الدور انتهى[(٢)].

وفي «معيار المعرب» البناء على القبور بدعة: ومن البدع البناء على القبور وتجصيصها وشد الرحال إلى زيارتها قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إذا طين القبر لم يسمع صاحبه الأذان ولا الدعاء ولا يعلم من يزوره فلا تطينوا فبور موتاكم دعوهم يسمعون الذكر ولا يزال تراب القبر يسبح الله ما لم يطين القبر كل يوم عشر

(١) النوادر والزيادات ٢/ ١٥٠-١٥١ ط/ ١ دار الغرب الإسلامي.

(٢) المعيار المعرب ١/ ٤١٤.

مرات حتى يغفر لصاحبه» وروى أبو داوود عن عبد الله بن عمر قال: «قبرنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميتاً فلما فرغنا انصرف وانصرفنا معه فلما حادى بابه لقي فاطمة في الطريق فقال لها ما أخرجك يا فاطمة؟ قالت أتيت يا رسول الله أهل هذا الميت فرحمت إليهم ميتهم وعزيتهم به فقال لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلعلك بلغت معهم الكَدَا» فذكر تشديداً في ذلك. قال ربيعة وغيره: الكدا القبور وكأنه مأخوذ من الكدية وهي القطعة الطيبة من الأرض[(١)].

١٢- قال الراوي عن طاووس: إن رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن تبنى القبور أو تجصص - قال الشافعي -: «وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك»[(٢)].

١٣- ابن الجوزي قال: حدثنا حصين، أن عمر بن عبدالعزيز نهى أن يبنى القبر بآجر وأوصى بذلك[(٣)].

الوجه السابع: تحذيرهم من تجصيص القبور:

أجمع السلف على التحذير من تجصيص القبور يدل عليه:

أولا: إجماعهم على ترك التجصيص.

---

(١) المرجع السابق.١/ ١٨٣.

(٢) الأم ١/ ٢٧٧.

(٣) ابن الجوزي سيرة عمر ص ٣٤٦، وابن القيم إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١/ ١٩٦. ط. دار المعرفة.

ثانيا: تصريحهم على كراهة ذلك:

١- قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون الآجر على قبورهم [(١)].

٢- وعَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: «كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ اللَّبِنَ، وَيَكْرَهُونَ الْآجُرَّ، وَيَسْتَحِبُّونَ الْقَصَبَ، وَيَكْرَهُونَ الْخَشَبَ» [(٢)].

٣- قال الإمام أبو بكر بن أبي شيبة: حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عبدالرحمن، عَنْ حَسَنِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِي عَزَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُهُ نَهَى عَنْ تَجْصِيصِ الْقَبْرِ، وَقَالَ: «لَا تُجَصِّصُوهُ» [(٣)].

٤- حَدَّثَنَا عبدالرحمن بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: «إِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تُؤْذِنُوا بِي أَحَدًا، وَلَا تُقَرِّبُونِي جِصًّا، وَلَا آجُرًّا، وَلَا عُودًا، وَلَا تَصْحَبُنَا امْرَأَةٌ» [(٤)].

٥- وقال مالك: أكره تجصيص القبور والبناء عليها وهذه الحجارة التي يبنى عليها. قال ابن وهب عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة قال: إن كانت القبور لتسوى بالأرض. قال ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي زمعة البلوي صاحب النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنه أمر أن يصنع ذلك بقبره إذا

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٢٥ برقم: ١١٧٦٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

مات، قال سحنون: فهذه آثار في تسويتها فكيف بمن يريد أن يبني عليها [١].

٦- ذكر الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الأم قال: «ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة» [٢].

٧- بوب الإمام الترمذي بقوله: كتاب الجنائز باب ما جاء في كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها [٣].

٨- بوب الإمام ابن ماجه: كتاب الجنائز باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها [٤].

الوجه الثامن: تحذيرهم من بناء المساجد على القبور:

أجمع السلف على التحذير من بناء المساجد على القبور:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو كان قبر نبي، أو رجل صالح لم يشرع أن يبنى عليه مسجد بإجماع المسلمين، وبسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المستفيضة عنه» [٥].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما بناء المساجد على القبور، فقد صَرَّح عامة الطوائف بالنهي عنه متابعةً للأحاديث الصحيحة، وصرح أصحابنا (يَعني: الحنابلة)

---

(١) المدونة الكبرى ١/ ٢٦٢ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(٢) الأم ١/ ٢٧٧ دار المعرفة.

(٣) جامع الترمذي ٣/ ٣٥٩ ح١٠٥٢.

(٤) سنن ابن ماجه ١/ ٤٩٨ ح١٥٦٢.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٦٢.

وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه، وقال: وهذه المساجد المَبنيَّة على قبور الأنبياء والصالحين أو المُلوك وغيرهم: يَتعيَّن إزالتُها بهَدْم أو غيره، هذا مما لا أَعلم فيه خلافًا بين العلماء المَعروفين»[(١)].

نماذج من تحذيرهم بناء المساجد على القبور:

١- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت بعد روايتها حديث «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» قالت: «فلولا ذاك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً»[(٢)].

٢- وعن أنس: كان يكره أن يبنى مسجد بين القبور[(٣)].

٣- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت أصلي قريبـًا من قبر، فرآني عمر بن الخطاب فقال: القبر القبر»[(٤)].

٤- وقال القرطبي: «وقال علماؤنا وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد»[(٥)].

---

(١) المرجع السابق ٢٤/ ٣١٨.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ١٠٢ برقم: ١٣٩٠ ومسلم ٢/ ٦٧ برقم: ١١٢١.

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٢/ ١٨٥) ورجاله ثقات رجال الشيخين، ورواه أبو بكر ابن الاثرم كما في «فتح الباري» لابن رجب (٦٥/ ٨١/ ١ من الكواكب).

(٤) الأثر رواه البخاري تعليقـًا ١/ ٤٣٧، ووصله عبدالرزاق في مصنفه ١/ ٤٠٤ كتاب الصلاة، باب الصلاة على القبور، وصحح إسناده الألباني في تحذير الساجد ص٣٦.

(٥) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٠.

٥- قال ابن رشد: مسألة: وكره ابن القاسم أن يجعل على القبر بلاطة ويكتب فيها، ولم ير بأساً بالحجر، والعود، والخشبة، ما لم يكتب في ذلك ما يعرف به الرجل قبر وليه.

قال محمد بن رشد: كره مالك البناء على القبر، وأن يجعل عليه البلاطة المكتوبة، لأن ذلك من البدع التي أحدثها أهل الطول - إرادة الفخر والمباهاة والسمعة، فذلك مما لا اختلاف في كراهته[(١)].

٦- وقال القرطبي: في شرح حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**»، أي لا تتخذوها قبلة، فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام، فحذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مثل ذلك، وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك.

إلى أن قال: «وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كان في الجاهلية تفعله تفخيمًا وتعظيمًا، فذلك يهدم ويزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة وتشبهًا بمن كان يعظم القبور ويعبدها»[(٢)].

٧- وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الأم» في كتاب الصلاة: «وأكره

---

(١) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ٢/ ٢٢٠ ط/ ٢ دار الغرب.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٨٠ .

أن يُبنى على القبر مسجد وأن يسوَّى أو يصلى عليه وهو غير مسوَّى أو يصلى إليه. قال وإن صلى إليه أجزأه وقد أساء، أخبرنا مالك أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقى دينان بأرض العرب**»»[(١)].

٨- عن إبراهيم أنه كان يكره أن يجعل على القبر مسجدا.

قال الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ: وإبراهيم هذا هو ابن يزيد النخعي الثقة الإمام وهو تابعي صغير فقد تلقى هذا الحكم بلا شك من بعض كبار التابعين من الصحابة ففيه دليل قاطع على أنهم كانوا يرون بقاء هذا الحكم واستمراره بعده صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فمتى نسخ؟[(٢)].

الوجه التاسع: تحذيرهم من دفن الميت في المسجد.

أولا: لا يجوز دفن الميت في المسجد؛ لنهي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن ذلك، وإخباره أن ذلك فعل اليهود والنصارى، ولعنه إياهم من أجل ذلك، يحذر ما صنعوا - وبناء على ذلك لا تجوز الصلاة في المساجد المقامة على القبور، ولنهيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن اتخاذ القبور مساجد؛ لأن ذلك وسيلة إلى الشرك.

ثانيا: أجمع السلف على التحذير من دفن الميت في المسجد ممن نقل الإجماع:

---

(١) الأم للإمام الشافعي ١/ ٢١٧ الناشر: دار المعرفة - بيروت.

(٢) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص٨١.

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد سئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما نصه: هل تصح الصلاة في المسجد إذا كان فيه قبر والناس تجتمع فيه لصلاتي الجماعة والجمعة أم لا؟ وهل يمهد القبر أو يعمل عليه حاجز أو حائط؟

فأجاب: الحمد لله اتفق الأئمة أنه لا يبنى مسجد على قبر لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك، وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غير إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديدا وإن كان المسجد بني بعد القبر فإما أن يزال المسجد وإما تزال صورة القبر فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل فإنه منهي عنه[١].

وقد تبنت دار الإفتاء في الديار المصرية فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية هذه فنقلتها عنه في فتوى لها أصدرتها تنص على عدم جواز الدفن في المسجد[٢].

ثالثا: مما نقل عن السلف في تحريم دفن الميت في المسجد بنقل أتباعهم عنهم:

١- قال ابن الحاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «روى أشهب عن مالك أنه يكره الدفن في المسجد، فيحتمل ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ إذَا دُفِنَ فِي الْمَسْجِدِ يؤدي إلى أن يعبد ذلك القبر»[٣].

---

(١) لفتاوى (١ / ١٠٧ / ٢ / ١٩٢).

(٢) «مجلة الأزهر» (ج ١١٢ ص ٥٠١ و ٥٠٣) (٥٢).

(٣) نوازل البرزلي ١/ ٥٠٣.

٢- وقال الحطاب عند قول الخليل: «وَإِدْخَالُهُ بِمَسْجِدٍ» تَصَوُّرُهُ وَاضِحٌ قَالَ الْبُرْزُلِيُّ قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ رَوَى أَشْهَبُ أَكْرَهُ الدَّفْنَ فِي الْمَسْجِدِ فَيُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ إذَا دُفِنَ فِي الْمَسْجِدِ رُبَّمَا اتَّخَذَ مَسْجِدًا فَيُؤَدِّي إلَى أَنْ يُعْبَدَ ذَلِكَ الْقَبْرُ (١).

٣- وقال الحافظ العراقي الشافعي كما في فيض القدير للمناوي: «لو بنى مسجداً بقصد أن يدفن في بعضه دخل في اللعنة، بل يحرم الدفن في المسجد، وإن شرط أن يدفن فيه لم يصح الشرط، لمخالفته لمقتضى وقفه مسجداً»(٢).

٤- وقال النووي في المجموع: وأما حفر القبر في المسجد فحرام شديد التحريم(٣) أهـ.

٥- وقال مرعي الحنبلي المقدسي «ويحرم إسراج المقابر، والدفن في المساجد، وفي ملك الغير، ويُنبش»(٤).

الوجه العاشر: تحذيرهم من الصلاة في المقبرة من وجوه:

أولا: فَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ فِي النَّهْيِ عَنْهَا مِنْهَا:

١- مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبي

---

(١) مواهب الجليل ٢/ ٢٣٩ ط/ ٣ دار الفكر.

(٢) نقلهُ عَنْهُ المنَاوِيُّ في «فيْض القدِيْر» (٥/ ٢٧٤).

(٣) المجموع شرح المهذب ٢/ ١٧٨ ط دار الفكر.

(٤) دليل الطالب ١/ ١٧٧.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا (١).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا نَحْوُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى**» وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ الِاقْتِصَارُ عَلَى الْيَهُودِ. والنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَلْعَنُ إِلَّا عَلَى فِعْلٍ حَرَامٍ شَدِيدِ الْحُرْمَةِ.

٢- وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُفْيَانَ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا. أَلَا وَإِن من كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ. أَلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**» (٢).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا**» (٣) وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ٩٥ برقم: ٤٣٦ ومسلم ٢/ ٦٧ برقم: ١١٢١.

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ٦٧ برقم: ١١٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ١/ ٩٤ برقم: ٤٣٢ ومسلم ٢/ ١٨٧ برقم: ١٧٧٠.

الْحَدِيثِ «**وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا**» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُبُورَ لَيْسَتْ مَحَلَّ صَلَاةٍ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْحَدِيثِ صَلُّوا وَلَا تَكُونُوا كَالْأَمْوَاتِ فِي قُبُورِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ.

٣- وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ شَرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»(١).

٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقْبَرَةِ**»(٢).

٥- أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَثْنَى مِنْ عُمُومِ كَوْنِ الْأَرْضِ مَسْجِدًا الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ، فَقَدْ أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَالشَّافِعِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَاهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَالْأَرْض كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمَقْبَرَةَ... وَالْحَمَّامَ**»(٣). وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ لَا مَطْعَنَ فِيهَا، وَهِيَ تَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى تَحْرِيمِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقْبَرَةِ. لِأَنَّ كُلَّ مَوْضِعٍ صُلِّيَ فِيهِ يُطْلَقُ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٩٤ برقم: ٣٨٤٤.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٦/ ٩٠ برقم: ٢٣١٩.

(٣) أخرجه أحمد ١٨/ ٣١٢برقم: ١١٧٨٨ والترمذي ٢/ ١٣١ برقم: ٣٣١٧ وابن ماجه ١/ ٢٤٦ برقم: ٧٤٥ قال الألباني صحيح.

اسْمُ الْمَسْجِدِ؛ لِأَنَّ الْمَسْجِدَ فِي اللُّغَةِ مَكَانُ السُّجُودِ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «**وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا**» الْحَدِيثَ أَيْ كُلُّ مَكَانٍ مِنْهَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ فِيهِ.

ثانيا: أن هذا فهم السلف الصالح:

١- رأى عمر رجلاً يصلي عند قبر فنهاه، وقال القبر القبر [(١)].

٢- وَذَكَرَ النَّوَوِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُنْذِرِ أَنَّهُ قَالَ: رُوِّينَا عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَعَطَاءٍ وَالنَّخَعِيِّ أَنَّهُمْ كَرِهُوا الصَّلَاةَ فِي الْمَقْبَرَةِ. قَالَ: وَلَمْ يَكْرَهْهَا أَبُو هُرَيْرَةَ وَوَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ [(٢)].

٣- وَذَكَرَ ابْنُ حَزْمٍ النَّهْيَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقْبَرَةِ عَنْ خَمْسَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: وَهُمْ عُمَرُ وَعَلِيٌّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَأَنَسٌ وَابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ: مَا نَعْلَمُ لَهُمْ مُخَالِفًا، وَحَكَاهُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَنَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَطَاوُسٍ وَعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ وَخَيْثَمَةَ وَغَيْرِهِمْ [(٣)].

٤- وَمِمَّنْ كَرِهَ الصَّلَاةَ فِي الْمَقْبَرَةِ أَبُو حَنِيفَةَ وَالثَّوْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ. وَاحْتَجَّ مَنْ قَالَ بِجَوَازِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقْبَرَةِ بِأَنَّ النَّبِي ﷺ صَلَّى عَلَى الْمِسْكِينَةِ السَّوْدَاءِ بِالْمَقْبَرَةِ.

---

(١) رواه البيهقي (٢/ ٤٣٥) وعلقه البخاري في صحيحه (١/ ٥٢٣ فتح) ووصله عبدالرزاق (١/ ٤٠٤ رقم ١٥٨١).

(٢) المجموع شرح المهذب ٢/ ١٥٨.

(٣) المحلى ٢/ ٤٨٩.

٥- قَالَ الْبُخَارِيِّ بَابُ «كَرَاهِيَةِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقَابِرِ».

قلت: ما نقل عن بعض السلف عدم كراهة الصلاة في المقبرة فمرادهم عدم كراهة صلاة الجنازة في المقبرة من وجوه:

١- من المستبعد جدا مخالفة السلف هذه الأحاديث الكثيرة الصحيحة الصريحة في النهي عن الصلاة في المقبرة.

٢- ومما يدل على صحة هذا الحمل ما جاء عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ قُلْتُ لِنَافِعٍ: أَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَكْرَهُ أَنْ يُصَلَّى وَسْطَ الْقُبُورِ قَالَ: لَقَدْ صَلَّيْنَا عَلَى عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَسْطَ الْبَقِيعِ وَالْإِمَامُ يَوْمَ صَلَّيْنَا عَلَى عَائِشَةَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحَضَرَ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ.

٣- قول ابن حزم لما نقل النهي عن خمسة من الصحابة - على سعة اطلاعه - ولم نعلم لهم مخالفا.

قول الإمام مالك:

روى عنه ابن القاسم بأنه أجاز الصلاة في المقبرة وقال: لا بأس بها واستدل الإمام بعمل السلف، وقال: لأن الصحابة كانوا يصلون في المقبرة.

واستدل لهذه الرواية بعض أصحابه بفعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى على المسكينة في المقبرة.

قال المازري: فدليلنا على الجواز قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورا**».

ولأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صلى على السوداء في قبرها بعد دفنها.

وقد قال نافع صلينا على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وسط البقيع والإمام يومئذٍ أبو هريرة وحضر ذلك ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ [(١)].

إذا تقرر هذا فمن المعلوم أن الصلاة التي كان الصحابة يصلونها في المقبرة هي صلاة الجنازة.

وقد صرح بهذا بعض أصحابه، فقال: لأن أبا هريرة صلى على عائشة في المقبرة.

وكما هو واضح أيضا أن الصلاة التي صلاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المسكينة هي صلاة الجنازة وبهذا يعلم أن التحقيق أن الصلاة التي أجازها الإمام في المقبرة هي صلاة الجنازة، لا الصلاة ذات الركوع والسجود.

أضف إلى ذلك أنني بحثت في كتب الأئمة المالكية ولم أجد أحدا منهم صرح بأن الإمام أجاز الصلاة ذات الركوع والسجود في المقبرة.

أضف إلى ذلك بأن من أصول الإمام سد الذرائع ولاسيما ذرائع الشرك وإليك بعض موافقه رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- حذر من الغلو في الصالحين وعلل بأنه سبب عبادة الأوثان وقال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما كان من التماثيل والصور في الطست، والإبريق، والأسرة، والقباب فإن كان خرطت خرطا فهي أشد. وبلغني أن أول ما تأخذت الصور في موت

(١) شرح التلقين ١/ ٢٢٣.

نبي فصور لهم ليأنسوا بصورته، فما زال ذلك حتى صار إلى أن عبدت»[(١)].

٢- منع تتبع آثار الأنبياء لما سئل عن الصلاة في المواضع التي صلى فيها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: لا يعجبني ذلك. قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «روى أشهب عن مالك أنه سئل عن الصلاة في المواضع التي صلى فيها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما يعجبني ذلك إلا مسجد قباء»[(٢)].

٣- كره إتيان المساجد التي في المدينة ما عدا مسجد قباء قال محمد بن وضاح: «وكان مالك بن أنس، وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما عدا قباء، وأحدا»[(٣)].

٤- وانكر على الذين يترددون على قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما دخلوا المسجد واستدل بترك السلف وقعد قاعدة عظيمة مهمة وقال: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

٥- كره طلب مكان الشجرة التي بويع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحتها بيعة الرضوان، قال الإمام ابن عبدالبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد كره مالك وغيره من أهل العلم طلب موضع الشجرة التي بويع تحتها بيعة الرضوان وذلك والله أعلم مخالفة لما سلكه اليهود والنصارى في مثل ذلك»[(٤)].

---

(١) الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ ص ٢٢٢ط/ ٢ مؤسسة الرسالة.

(٢) شرح البخاري ٣/ ١٥٩.

(٣) البدع والنهي عنها ص٢٦.

(٤) الاستذكار ٢/ ٣٦٠.

٦- وكره المجيء إلى بيت المقدس سدا للذريعة.

٧- وكان يكره مجيء قبور الشهداء نقل الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مالك كراهة المجيء إلى بيت المقدس خيفة أن يتخذ ذلك سنة، وكان يكره مجيء قبور الشهداء[(١)].

٨- وكره مس قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال فِي رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ ودعا، يقف ووجهه إلى القبر لَا إِلَى الْقِبْلَةِ، ويدنو ويسلم، ولا يمس القبر بيده[(٢)].

وقال الشيخ خليل المالكيُّ ت: ٧٧٦هـ: (روى ابنُ وهبٍ في المختصَرِ قال: سُئِلَ مالكٌ: من أين يقِفُ من أراد التَّسليمَ؟ فقال: مِن عندِ الزاويةِ التي تلي القِبلةَ مِمَّا يلي المِنبرَ، ويَستقبِلُ القبلةَ، ولا أحِبُّ أن يمسَّ القبرَ بيَدِه)[(٣)].

٩- وكره الوقوف عند قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال القاضي عياض: قال مالك في «المبسوط»: «لا أرى أن يقف عند قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو، ولكن يسلم ويمضي»[(٤)].

١٠- وكره التبرك برمانة منبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل تعجب لما رأى عطاء بن أبي رباح يتبرك برمانة المنبر وترك الرواية عنه لأجله رحمهم الله جميعا.

---

(١) ينظر: الاعتصام للشاطبي (ص: ٢٥٥).

(٢)(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٨٥ الناشر دار الفكر.

(٣) التوضيح ٢/ ١٠١.

(٤) المرجع السابق.

١١- وكره البناء على القبور.

١٢- وكره تجصيص القبور.

١٣- وكره الكتابة على القبور

١٤- وكره بناء المساجد على القبور. وفي النوادر والزيادات: في البناء على القبور، وتجصيصها، والكتاب عليها، وبناء الْمَسَاجِد عليها، والجلوس والمشي وزيارتها من الْعُتْبِيَّة، من سماع ابن القاسم: وكره مالك أن يرصص على القبور بالحجارة والطين، أو يبنى عليها بطوب أو حجارة. قال: وكره هذه الْمَسَاجِد المتخذة على القبور. فأما مقبرة داثرة يبنى فيها مسجد يُصَلَّى فيه، لم أر به بأسا [(١)].

١٥- أمر بهدم القبور المبنية: ومن (كتاب ابن حبيب): ونهى عن البناء عليها، والكتاب، والتجصيص، ورَوَى جابر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن ترفع القبور، أو يبنى عليها، أو يكتب فيها، أو تقصص - ورَوَى: تجصص - وأمر بهدمها وتسويتها بالأرض. وفعله عمر. قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ: تقصص أو تجصص، يعني تبيض بالجير أو بالتراب الأَبْيَض، والْقَصَّة: الجير وهو الجص. ويَنْبَغِي أن تسوى تسوية تسنيم [(٢)].

وأفتى ابن رشد بوجوب هدم ما بني في مقابر المسلمين من السقائف

---

(١) النوادر والزيادات ٢/ ١٥٠-١٥١ ط/ ١ دار الغرب الإسلامي.

(٢) النوادر والزيادات ٢/ ١٥٠-١٥١ ط/ ١ دار الغرب الإسلامي.

والقبب والروضات، وأن لا يبقى من جدارتها إلا قد ما يميز به الرجل قبر قريبه لئلا يأتي من يريد الدفن بذلك الموضع، وذلك قدر ما يمكن دخوله من كل ناحية دون باب، ونقض ذلك لربه. قال وإن كان بناؤها في ملك بانيها فحكمها حكم بناء الدور انتهى[(١)].

١٦- وكره دفن الميت في المسجد وعلل بأنه يؤدي إلى عبادة من فيها قال ابن الحاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «روى أشهب عن مالك أنه يكره الدفن في المسجد، فيحتمل ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ إِذَا دُفِنَ فِي الْمَسْجِدِ يؤدي إلى أن يعبد ذلك القبر»[(٢)].

١٧- وكان من مذهبه: منع التمسح بالكعبة كما قال ابن الحاج وغيره.

١٨- بل شدد فيها حتى إنه كره عبارة زرت قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كراهة شديدة وعلل القاضي عياض سبب كراهته وقال: لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللهم لا تجعل وثنا يعبد**».

١٩- صرح مالك بأن من نذر السفر إلى المدينة النبوية إن كان مقصوده الصلاة في مسجد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوفى بنذره وإن كان مقصوده مجرد زيارة القبر من غير صلاة في المسجد لم يف بنذره قال لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد ذكره إسماعيل ابن اسحق في المبسوط ومعناه في المدونة والجلاب وغيرهما من كتب أصحاب مالك[(٣)].

---

(١) المعيار المعرب ١/ ٤١٤.

(٢) نوازل البرزلي ١/ ٥٠٣.

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد ١/ ٢١٢.

وفي المدونة الكبرى: (وَقَالَ مَالِكٌ: مَنْ قَالَ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ آتِيَ الْمَدِينَةَ أَوْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ أَوْ الْمَشْيُ إلَى الْمَدِينَةِ أَوْ إلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ إلَّا أَنْ يَكُونَ نَوَى بِقَوْلِهِ ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّيَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ نِيَّتَهُ وَجَبَ عَلَيْهِ الذَّهَابُ إلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَوْ إلَى الْمَدِينَةِ رَاكِبًا وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْمَشْيُ، وَإِنْ كَانَ حَلَفَ بِالْمَشْيِ وَلَا دَمَ عَلَيْهِ»[(١)].

٢٠- كره أن يقول الداعي يا سيدي قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: «وَقَدْ كَرِهَ مَالِكٌ وَابْنُ أَبِي عِمْرَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمَا أَنْ يَقُولَ الدَّاعِي: يَا سَيِّدِي يَا سَيِّدِي، وَقَالُوا: قُلْ كَمَا قَالَتْ الْأَنْبِيَاءُ: رَبِّ، رَبِّ»[(٢)].

وفي «البيان والتحصيل» (... قيل: أفتكره أن يدعو الرجل فيقول يا سيدي؟ فقال: غير ذلك أحب إليَّ؛ أن يدعو بما في القرآن، وما دعت به الأنبياء. قيل: ذلك أحب إليك من أن يقول يا سيدي؟ فقال نعم، لا أحب أن يقول يا سيدي، وغير ذلك أحب إلي)[(٣)].

أضف إلى ذلك بأن أحاديث النهي عن الصلاة في المقبرة كثيرة، وصحيحة، وصريحة.

---

(١) المدونة الكبرى ١/ ٤٧٠.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٠٧)، وينظر «جامع العلوم والحكم ١/ ٢٩٢.

(٣) البيان والتحصيل ١٨/ ٤٣٠.

أضف إلى ذلك أن الصحابة نهوا عن الصلاة في المقبرة نقل ابن حزم عن خمسة من الصحابة، وقال: لا أعلم لهم مخالفا.

ومع هذا كله فكيف يخطر على بال أحد أن الإمام مالكا يجيز الصلاة ذات الركوع والسجود في المقبرة.

أضف إلى ذلك: روى عنه أبو مصعب بأنه كره الصلاة في المقبرة واستدل بعض أصحابه لهذه الرواية فقال: وأما وجه النهي عن ذلك فلأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن تتخذ القبور مساجد. وخرج مسلم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها.

وبهذا تبين أن الصلاة التي أجازها الإمام هي صلاة الجنازة، وأن الصلاة التي كرهها هي الصلاة ذات الركوع والسجود. وبهذا تجتمع أقوال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الوجه الحادي عشر: إجماعهم على ترك الكتابة على القبور يدل عليه:

١- تحرم الكتابة على القبور مطلقاً ولو غير القرآن فلا يكتب على القبور اسم الميت، ولا تاريخ وفاته، ولا مكانته، فلا يقال: هذا قبر العالم الفلاني الذي عمل كذا وكذا، كل هذا لا يجوز، لأنها وسائل إلى الشرك. ولعموم نهي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكتابة عليها [(١)].

قال الشوكاني في النيل: فيه تحريم الكتابة على القبور وظاهره عدم الفرق

(١) أخرجه الترمذي ٢/ ٢٥٩ برقم: ١٠٥٢ قال الألباني: صحيح.

بين كتابة اسم الميت على القبر وغيرها، وهذا صريح في التحريم، سواء كانت الكتابة على نصب القبر أو في لوحة توضع على القبر[(١)].

٢- والكتابة على القبور أو عند ها لَم تكن معهودة عندَ السلف الصالح من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وهو من فعل بعض الأُمم السابقة، قال الذهبيّ تعقيبا على الحاكمِ (ما قلت طائلاً، ولا نعلم صحابيا فعل ذلك، وإنما هو شيء أحدثه بعض التابعين فمن بعدهم، ولم يبلغهم النهي. انتهى)[(٢)]. قلت: هذا إجماع تركي والإجماع التركي حجة وقد استدل به أئمة السلف رحمهم الله كالإمام مالك وغيره.

٣- وقال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ في شرح المهذب: قال الشافعي والأصحاب: «يكره أن يجصص القبر وأن يكتب عليه اسم صاحبه أو غير ذلك، وأن يبنى عليه، وهذا لا خلاف فيه عندنا، وبه قال مالك وأحمد وداود وجماهير العلماء»[(٣)]. اهـ.

الوجه الثاني عشر: تصريحهم بأن الغلو في القبور سبب عبادة الأصنام.

١- في صحيح البخاري حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَامٌ عَنْ ابْنِ

(١) نيل الأوطار ٤/ ٢٠٤ ط / ١ الناشر: دار الحديث، مصر.

(٢) مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبدالله الحاكم ١/ ٢٩١ رقم ٨٥ لابن الملقن.

(٣) المجموع شرح المهذب ٥/ ٢٥٨.

جُرَيْجٍ وَقَالَ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صَارَتْ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ. وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال غير واحد من السلف: لما ماتوا؛ عكفوا على قبورهم، ثمّ صوّروا تماثيلهم، ثمّ طال عليهم الأمد، فعبدوهم»[(١)].

٢- روى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: (أفرأيتم اللات والعزى قال: «كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره»، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كان يلت السويق للحاج»)[(٢)].

٣- قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما كان من التماثيل والصور في الطست، والإبريق، والأسرة، والقباب فإن كان خرطت خرطا فهي أشد. وبلغني أن أول ما تأخذت الصور في موت نبي فصور لهم ليأنسوا بصورته، فما زال ذلك حتى صار إلى أن عبدت»[(٣)].

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٨٤.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٧٤.

(٣) الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ ص ٢٢٢ط/ ٢ مؤسسة الرسالة.

٤- قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان مذهب الإمام مالك «... عن أبي مرثد الغنوي قال سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها» لفظ مسلم أي لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى فيؤدي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام فحذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك فقال: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد» ...»(١).

الوجه الثالث عشر: وصيتهم بالمنع من إقامة الفسطاط على قبورهم:

وقد أوصى بعض الصحابة والتابعين بالمنع من إقامة الفسطاط على قبورهم أو رفعها،

١- عن أبي بردة قال: أوصى أبو موسى حين حضره الموت فقال: إذا انطلقتم بجنازتي فأسرعوا المشي ولا يتبعني مجمر ولا تجعلوا في لحدي شيئا يحول بيني وبين التراب ولا تجعلوا على قبري بناء وأشهدكم أنني بريئ من كل حالقة أو سالقة أو خارقة قالوا أو سمعت فيها شيئا؟ قال: نعم من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢).

٢- أوصى أبو هريرة (ألا يضربوا على قبره فسطاطًا)(٣).

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٢٨.

(٢) أخرجه أحمد (٤ / ٣٩٧) وإسناده قوي.

(٣) رواه عبدالرزاق (٣/ ٤١٨) كتاب الجنائز باب لا يتبع بالجمرة، وابن أبي شيبة في =

٣- وأوصى بمثل ذلك أبو سعيد الخدري [(١)].

٤- ورأى ابن عمر فسطاطا على قبر عبدالرحمن فقال: «انزعه يا غلام فإنما يظله عمله» [(٢)] وروى ابن أبي شيبة وابن عساكر مثله عن أبي سعيد الخدري [(٣)].

٥- وكذلك أوصى بمثل ذلك سعيد بن المسيب [(٤)].

٦- وقال محمد بن كعب القرظي: «هذه الفساطيط التي على القبور محدثة» [(٥)].

= كتاب الجنائز: في الفسطاط يضرب على القبر (٢/ ٣٣٥)، وزاد الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عزوه إلى الربعي في وصايا العلماء (٢/ ١٤١)، وابن سعد (٤/ ٣٣٨) قال: وإسناده صحيح تحذير الساجد ص (١٤٣).

(١) ابن أبي شيبة في نفس الباب السابق (٢/ ٣٣٥ - ٣٣٦)، وعمر بن شبَّه في أخبار المدينة الطبعة التي علّق عليها الشيخ عبدالله الدويش (ص٩٦- ٩٧) دار العليان بريدة الطبعة الأولى(١٤١١هـ-١٩٩٠م)، وعزاه الشيخ الألباني إلى ابن عساكر (٧ / ٩٦) وقال: إسناده ضعيف، لكن له طرق أخرى عند ابن عساكر فهو بها صحيح. انظر: تحذير الساجد ص (١٤٣).

(٢) رواه البخاري تعليقاً ٣/ ٢٢٢ كتاب الجنائز، باب الجريدة على القبر، قال ابن حجر في فتح الباري ٣/ ٢٢٣: (وورد موصولاً عن ابن سعد من طريق أيوب بن عبدالله بن يسار).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٥/ ٤١، ط- دار الفكر.

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (٥/ ١٤٢).

(٥) ابن أبي شيبة في مصنفه (٣ / ٣٣٦)، قال الشيخ الألباني في تحذير الساجد ص (١٤٣) =

٧- وقال عمر بن شرحبيل: «لا ترفعوا جدثي فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك»[(١)].

فهذه الآثار كافية لإثبات منهج الصحابة والتابعين في وضع القبور وتسويتها والمنع من عمل أي شيء يؤدي إلى تعظيمها والغلو في أصحابها.

الوجه الرابع عشر: تحذيرهم من شد الدحال إلى القبور.

تمهيد:

زيارة القبور مشروعة، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى عنها أولاً من باب سد الذرائع، لأن الأمم السابقة فتنت بقبور أنبيائها وصالحيها حتى أوقعهم الشيطان كرات ومرات في هوة الشرك واتخاذهم أنداداً مع الله.

فمن أجل صيانة جانب التوحيد، وقطعاً للتعلق بالأموات، وسداً لذريعة الشرك نهى رسول الله أولاً عن زيارة القبور، ولما رسخت عقيدة التوحيد في قلوب أصحابه الكرام وأمن عليهم الفتنة رخص لهم في زيارتها، وبين لهم الغاية من زيارتها وهي أنها تذكر الآخرة، هذه واحدة، والأخرى ليستفيد الأموات من دعاء إخوتهم الأحياء.

= ورجاله ثقات غير ثعلبة وهو ابن الفرات، قال أبو حاتم وأبو زرعة: (لا أعرفه) كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ٤٦٤ - ٤٦٥) طبع دار الفكر طبعة مصورة من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الهند سنة (١٣٧١هـ-١٩٥٢م).

(١) رواه ابن سعد (٦/ ١٠٨) وصحح إسناده الشيخ الألباني في تحذير الساجد (ص ١٣٤).

وإذا كان الأمر كذلك، والهدف الأول وهو تذكر الآخرة أمر يتحقق بزيارة القبور القريبة والمجاورة، اكتفى الشارع الحكيم بالحد الأدنى الذي يحقق الغرض الشرعي مع تحفظات كثيرة تسد ذرائع الفتنة والشرك: منها أن لا تتخذ مساجد، ومنها أن لا يبنى عليها، ولا تجصص، ولا يصلى عليها، ولا إليها، وغير ذلك.

ولم يشرع أبداً السفر إليها، لا بقوله ولا بفعله، وآية ذلك: أن هذا الأمر لم ينزل فيه قرآن، ولم يثبت فيه حديث من قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو فعله، فلو كان مشروعاً لتحقق فيه كل ذلك، ولسنَّ لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك برحلات ورحلات إلى الأنبياء والصالحين، ولملئت الدواوين برحلات الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، ونحن نجد دواوين الإسلام من صحاح وسنن ومسانيد وكتب فقه سجلت السلف الصالح فيها كل حقوق الأموات: من عيادتهم وهم مرضى، إلى غسلهم، وتشييعهم، ودفنهم، وزيارتهم، والدعاء لهم، والنهي عن الجلوس على قبورهم.

وأما تحريم شد الرحال إلى القبور فيتمثل في الآتي:

أولا: تحريم شد الرحال إلى القبور هو الذي تقتضيه أدلة الشرع، التي منها ما هو صريح أو كالصريح في الدلالة على المراد، كحديث: «**لا تشد الرحال**»، ومنها ما يتضمنه ويستلزمه، كحديث: «**لا تتخذوا قبري عيداً**» وأحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعيادًا، بل

من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها، كما وقع من عبَّاد القبور الذين يشدون إليها الرحال، وينفقون في ذلك الكثير من الأموال، وليس لهم مقصود إلاَّ مجرد الزيارة للقبور تبركًا بتلك القباب والجدران فوقعوا في الشرك.

ثانيا: تحريم شد الرحال إلى القبور هو فهم السلف وقد أجمعوا على تركه لأجل الأحاديث المذكورة. وهو بدعة محدثة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما السفر إلى مجرد زيارة قبر الخليل، أو غيره من مقابر الأنبياء والصالحين، ومشاهدهم، وآثارهم، فلم يستحبه أحد من أئمة المسلمين، لا الأربعة ولا غيرهم، بل لو نذر ذلك ناذر لم يجب عليه الوفاء بهذا النذر عند الأئمة الأربعة وغيرهم، بخلاف المساجد الثلاثة، فإنه إذا نذر الحج أو العمرة لزمه باتفاق المسلمين، وإذا نذر السفر إلى المسجدين الآخرين لزمه عند أكثرهم، كمالك وأحمد والشافعي في أظهر قوليه، لقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[(١)].

وإنما يجب الوفاء بنذر كل ما كان طاعة، مثل من نذر صلاة، أو صومـًا، أو اعتكافـًا، أو صدقة لله، أو حجـًا، ولهذا لا يجب بالنذر السفر إلى غير المساجد الثلاثة، لأنه ليس بطاعة، لقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد**»، فغير المساجد أولى بالمنع، مع أن قوله: «**لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد**»، يتناول السفر إلى كل بقعة مقصودة، بخلاف السفر

(١) أخرجه البخاري ٨/ ١٤٢ برقم: ٦٦٩٦.

للتجارة، وطلب العلم، ونحو ذلك، فإن السفر لطلب تلك الحاجة حيث كان، وكذلك لزيارة الأخ في الله، فإنه هو المقصود حيث كان[١].

ثالثا: قد صرح مالك وغيره بأن من نذر السفر إلى المدينة النبوية إن كان مقصوده الصلاة في مسجد النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أوفى بنذره وإن كان مقصوده مجرد زيارة القبر من غير صلاة في المسجد لم يف بنذره قال لأن النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد ذكره إسماعيل ابن اسحق في المبسوط ومعناه في المدونة والجلاب وغيرهما من كتب أصحاب مالك[٢].

وفي المدونة الكبرى: (وَقَالَ مَالِكٌ: مَنْ قَالَ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ آتِيَ الْمَدِينَةَ أَوْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ أَوْ الْمَشْيُ إلَى الْمَدِينَةِ أَوْ إلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ إلَّا أَنْ يَكُونَ نَوَى بِقَوْلِهِ ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّيَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ نِيَّتَهُ وَجَبَ عَلَيْهِ الذَّهَابُ إلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَوْ إلَى الْمَدِينَةِ رَاكِبًا وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْمَشْيُ، وَإِنْ كَانَ حَلَفَ بِالْمَشْيِ وَلَا دَمَ عَلَيْهِ)[٣].

وقال القاضي عياض رَحِمَهُٱللَّهُ: «وأن مقتضى شد الرحال إنما يكون فيما بَعُد لا فيما قرب؛ ولهذا فرق شيوخنا بين نذر ما قرب من ذلك وما بعد، فيما

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٢١.

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ١/ ٢١٢.

(٣) المدونة الكبرى ١/ ٤٧٠.

عدا هذه الثلاثة مساجد؛ لفضلها الزائد، ولكونها مساجد الأنبياء»[(١)].

خامسا وممن صرح بتحريمه ابن بطة قال: «ومن البدع البناء على القبور وتجصيصها وشد الرحال إلى زيارتها»[(٢)].

سادسا قال النووي: «واختلف العلماء في شدِّ الرِّحال وإعمال المطيِّ إلى غير المساجد الثَّلاثة كالذَّهاب إلى قبور الصَّالحين وإلى المواضع الفاضلة ونحو ذلك فقال الشَّيخ أبو محمَّد الجوينيُّ من أصحابنا: هو حرام، وهو الَّذي أشار القاضي عياض إلى اختياره»[(٣)].

«وبالجملة فقد تنازع العلماء في جواز شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة فالجمهور على المنع وطائفة من المتأخرين على الجواز فاستحباب شد الرحال إلى القبور والمشاهد والتقرب به إلى الله كما ظنه السبكي وغيره قول مبتدع مخالف للإجماع قبله والأحاديث التي احتج بها كحديث من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي ونحوها لا يصح منها شيء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن أحد من أصحابه البتة بل هي ما بين ضعيف وموضوع أو كلها موضوعة كما قد بين عللها شيخ الإسلام وغيره وكثير منها لا يدل على محل النزاع إذ ليس فيه إلا مطلق الزيارة».

---

(١) إكمال المعلم ٤/ ٢٦٧.

(٢) الشرح والإبانة (٢/ ٨٥٥) ط. دار عباد الرحمن مع شرح الراجحي.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٥/ ١١٠).

سابعا: ولمنع شد الرحال إلى القبور ذهب ابن عقيل [١].

الوجه الخامس عشر: إنكار فقهاء التابعين على إدخال بيوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد:

وإليك القصة:

كان الوليد بن عبد الملك من أشهر خلفاء بني أُميَّة، وهو أكثرهم عنايةً بالبناء والعمران حتى لقب مهندس بني أميَّة، وكان بين بني أمية وآل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عداء تاريخي كما هو معلوم، فلا يرضى خلفاء بني أمية أن يتميز عنهم آل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأي فضيلة، وكان بيت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ضمن أبيات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الواقعة على الحد الشرقي للمسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، فتوافقت رغبة الوليد في بناء المسجد، وتشييده بما يليق به وبعظمة الخلافة في عهده مع الرغبة في إلغاء تلك الميزة التي يتميز بها بنو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسكناهم في بيت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جوار المسجد، وبين أبيات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،فصمم على تنفيذ ذلك المشروع - وهو توسعة المسجد من جوانبه الأربعة، وإدخال حجر أمهات المؤمنين وحجرة فاطمة وحجرة عائشة رضي الله عنهن جميعًا في المسجد- إضافة إلى أن بعض المؤرخين قد ذكروا أن بعض جدران الحجرة قد بدأ فيه الخلل نتيجة القِدَم، وعند ما وصل خطابه بذلك إلى واليه على المدينة عمر بن

---

(١) انظر العقود الدرية ص ٢٣٣.

عبدالعزيز جمع الفقهاء العشرة، ووجوه الناس، وأخبرهم بما أمر به الوليد فأنكروا ذلك، وكرهوه، ورأوا أن بقاء بيوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حالها أدعى للعبرة، والاتعاظ، فكتب عمر بن عبدالعزيز للوليد فرد بإنفاذ الأمر وعزم على عمر بذلك فنفذ ما أمر به، وعارض في ذلك سعيد بن المسيب، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «كأنه خشيَ أن يُتَّخذَ القبر مسجداً والله أعلم»(١).

وأصرحُ من ذلك ما نقله السمهودي عن عروة بن الزبير أنه قال: «نازلت عمر بن عبدالعزيز في قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يجعل في المسجد أشد المنازلة فأبى وقال: كتاب أمير المؤمنين لابد من إنفاذه، قال قلت: فإن كان ولابد فاجعلوا له حوجواً قال السمهودي: «أي وهو الموضع المزور خلف الحجرة»»(٢).

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مدفن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصاحبيه أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنوا على القبر حيطانـاً مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني

(١) البداية والنهاية (٩/ ٧٤).

(٢) وفاء الوفاء (٢/ ٥٤٨).

القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. ولهذا قال في الحديث: «**ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً**» والله أعلم بالصواب»[(١)].

الوجه السادس عشر: كراهة الإمام مالك عبارة زرت قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- وفي المدونة الكبرى في كتاب الحج: «قال ابن القاسم: ... قال وقال مالك: وناس يقولون زرنا قبر النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال: فكان مالك يكره هذا ويعظمه أن يقال إن النبي يزار»[(٢)]. قال القاضي عياض: «... وَالْأَوْلَى عندي أَنّ مَنْعَه وَكَرَاهَة مَالِك له لإضَافَتِه إِلَى قَبْر النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّه لَو قَال زُرْنَا النبي لَم يَكْرَهْه لِقَوْلِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ لا تجعل قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ بَعْدِي، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» فَحَمَى إضَافَة هَذَا اللّفْظ إِلَى القَبْر وَالتَّشَبُّه بِفِعْل أولئِك قَطْعًا لِلذّرِيعَة وَحَسْمًا لِلْبَاب والله أَعْلَم»[(٣)].

- وفى القرى للطبري من أصحاب مالك عن مالك أنه كره أن يقول: زرت قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلل ذلك بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**»[(٤)]. الحديث كره إضافة هذا اللفظ إلى القبر لئلا يقع التشبه بفعل أولئك سدا للذريعة.

---

(١) شرح النووي لمسلم ٢/ ٢٩٢.

(٢) المدونة الكبرى ١/ ٤٠٠.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٨٥.

(٤) ذكره محب الطبري ٦٢٩.

- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد على الأخنائي: (ولو كان هذا اللفظ معروفا عندهم أو مشروعا أو مأثورا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يكرهه عالم المدينة) وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومالك قد أدرك التابعين وهم أعلم الناس بهذه المسألة فدل ذلك على أنه لم يكن معروفا عندهم ألفاظ زيارة قبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - إلى أن قال - وقد ذكروا أسباب كراهته لأن يقول: زرت قبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ لأن هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريد به الزيارة البدعية وهو قصد الميت لسؤاله ودعائه والرغبة إليه في قضاء الحوائج ونحو ذلك مما يفعله كثير من الناس فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا وهذا ليس بمشروع باتفاق الأئمة وكره مالك أن يتكلم بلفظ مجمل يدل على معنى فاسد بخلاف الصلاة والسلام عليه فإن ذلك مما أمر الله به.

أما لفظ الزيارة في عموم القبور فلا يفهم منها مثل هذا المعنى ألا ترى إلى قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**فزوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**» مع زيارته لقبر أمه فإن هذا يتناول قبور الكفار فلا يفهم من ذلك زيارة الميت لدعائه وسؤاله والاستغاثة به ونحو ذلك مما يفعله أهل الشرك والبدع بخلاف ما إذا كان المزور معظما في الدين كالأنبياء والصالحين فإنه كثيرا ما يعني بزيارة قبورهم هذه الزيارة البدعية الشركية فلهذا كره مالك ذلك في مثل هذا وإن لم يكره ذلك في موضع آخر ليس فيه هذه المفسدة»[(١)] اهـ.

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٥٨.

خامسا مما يدل على حمايتهم جناب التوحيد: تحذيرهم من التمسح بالكعبة:

أجمع السلف على التحذير من التمسح بالكعبة يدل عليه:

إن التمسح بجدران الكعبة في غير الركنين اليمانيين، لا يعرف عن أحد من الأئمة المتبوعين، ولا روي فيه شيء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا عن أحد من أصحابه، بل الثابت عنهم يفيد خلاف ذلك، وكذلك الحال في مقام إبراهيم، وغيره مما يُعظَّم في الحرم؛ وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم المنع من تقبيل جوانب الكعبة، غير الركنين اليمانيين، عن عامة السلف، وإجماع الأئمة الأربعة، فقال: قد ثبت باتفاق أهل العلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حج البيت، لم يستلم من الأركان، إلا الركنين اليمانيين، فلم يستلم الركنين الشاميين، ولا غيرهما من جوانب البيت، ولا مقام إبراهيم، ولا غيره من المشاعر، وأما التقبيل، فلم يقبل إلا الحجر الأسود.

وقد اختلف في الركن اليماني: فقيل: يقبله. وقيل: يستلمه ويقبّل يده، وقيل: لا يقبله ولا يقبل يده. والأقوال الثلاثة مشهورة في مذهب أحمد، وغيره.

والصواب: أنه لا يقبله، ولا يقبل يده، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعل هذا ولا هذا، كما تنطق به الأحاديث الصحيحة، ثم هذه مسألة نزاع.

وأما مسائل الإجماع فلا نزاع بين الأئمة الأربعة ونحوهم من أئمة العلم،

أنه لا يقبل الركنين الشاميين، ولا شيئا من جوانب البيت، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يستلم إلا الركنين اليمانيين، وعلى هذا عامة السلف، وقد روي: «أن ابن عباس ومعاوية طافا بالبيت، فاستلم معاوية الأركان الأربعة. فقال ابن عباس: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يستلم إلا الركنين اليمانيين، فقال معاوية: ليس من البيت شيء متروك، فقال ابن عباس: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، فرجع إليه معاوية».

وقد اتفق العلماء على ما مضت به السنة، من أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل لمقام إبراهيم الذي ذكره الله تعالى في القرآن، وقال: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

فإذا كان هذا بالسنة المتواترة وباتفاق الأئمة، لا يشرع تقبيله بالفم، ولا مسحه باليد، فغيره من مقامات الأنبياء أولى أن لا يشرع تقبيلها بالفم، ولا مسحها باليد[(١)].

ومما جاء من الآثار:

١- عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ طَافَ مَعَ مُعَاوِيَةَ بِالْبَيْتِ، فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ يَسْتَلِمُ الأَرْكَانَ كُلَّهَا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِمَ تَسْتَلِمُ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ؟ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَلِمُهُمَا، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْبَيْتِ مَهْجُورًا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٢/ ٢٢٦.

وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: صَدَقْتَ(١).

٢- وقال يعلى بن أمية كنت مع عمر فاستلم الركن، قال يعلى: وكنت مما يلي البيت، فقال: فلما بلغت الركن الغربي الذي يلي الأسود، وحدرت بين يديه لأستلم، فقال: ما شأنك؟ قلت: ألا أستلم هذين؟ قال: ألم تطف مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: بلى فال: أرأيته يستلم هذين الركنين؟ يعني الغربيين، قلت: لا قال: أليس لك فيه أسوة حسنة؟ قلت: بلى قال: فانفذ عنك(٢).

٣- روى الأزرقي في أخبار مكة بإسناده عن قتادة في قوله: ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٥] قال :إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ما تكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثره وأصابعه، فما زالت هذه الأمة تمسحه؛ حتى اخلولق، وانماح «واستدل ابن القيم في إغاثة اللهفان بأثر قتادة هذا على إنكار السلف للتمسح بالمقام الذي أمر الله أن يُتخذ منه مُصلى(٣).!!

(١) مسند أحمد في مسند ابن عباس ٣/ ٣٦٩ برقم ١٨٧٧ قال الشيخ شعيب الأناؤوط: حسن لغيره.

(٢) أخرجه أحمد في مسند عمر ١/ ٣٦٥ برقم:٢٥٣. قال المحقق شعيب الأرناؤوط: صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي (٢/ ٢٩-٣٠).

٤- قال إسحاقُ بن منصور الكوسج سائلًا الإمام أحمد: «قلتُ: يستلمُ الأركانَ كُلَّها؟ قال: لا، إلَّا اليماني والحَجَر»[(١)].

٥- وجاء في مسائل الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه: قلت: مس المقام؟ قال: لا يمسه. قال إسحاق: كما قال، إنما أمر بالصلاة إليه[(٢)]. اهـ.

٦- ابن الحاج يوضح ما عليه الإمام مالك والأئمة المالكية قائلا: «فينبه العالم غَيْرَهُ عَلَى ذَلِكَ وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ تِلْكَ الْبِدَعِ الَّتِي أُحْدِثَتْ هُنَاكَ فَتَرَى مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ يَطُوفُ بِالْقَبْرِ الشَّرِيفِ كَمَا يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ الْحَرَامِ وَيَتَمَسَّحُ بِهِ وَيُقَبِّلُهُ وَيُلْقُونَ عَلَيْهِ مَنَادِيلَهُمْ وَثِيَابَهُمْ يَقْصِدُونَ بِهِ التَّبَرُّكَ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ الْبِدَعِ؛ لِأَنَّ التَّبَرُّكَ إنَّمَا يَكُونُ بِالِاتِّبَاعِ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَا كَانَ سَبَبُ عِبَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ لِلْأَصْنَامِ إلَّا مِنْ هَذَا الْبَابِ وَلِأَجْلِ ذَلِكَ كَرِهَ عُلَمَاؤُنَا رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ التَّمَسُّحَ بِجِدَارِ الْكَعْبَةِ، أَوْ بِجُدْرَانِ الْمَسْجِدِ، أَوْ بِالْمُصْحَفِ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُتَبَرَّكُ بِهِ

(١) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه (٥/ ٢٣٢٨).

(٢) المرجع السابق ٥/ ٢٢٥٨ وذلك قوله تعالى (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) سورة البقرة آية ١٢٥. وجواب الإمامين دال على وقوف السلف عند النص، غير خارجين عنه، متمثلين بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»، أخرجه النسائي بهذا اللفظ ١٥٧٨/ ، باب ٢٢.

ويوضحه أكثر ما روي عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قبل الحجر ثم قال: «أما والله لقد علمت أنك حجر، ولولا أني رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبلك ما قبلتك». رواه مسلم في باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ١/ ٩٢٥.

سَدًّا لِهَذَا الْبَابِ وَلِمُخَالِفَةِ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّ صِفَةَ التَّعْظِيمِ مَوْقُوفَةٌ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُلُّ مَا عَظَّمَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُعَظِّمُهُ وَنَتَّبِعُهُ فِيهِ، فَتَعْظِيمُ الْمُصْحَفِ قِرَاءَتُهُ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ لَا تَقْبِيلُهُ وَلَا الْقِيَامُ إِلَيْهِ كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَكَذَلِكَ الْمَسْجِدُ تَعْظِيمُهُ الصَّلَاةُ فِيهِ لَا التَّمَسُّحُ بِجُدْرَانِهِ.

وَكَذَلِكَ الْوَرَقَةُ يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ فِي الطَّرِيقِ فِيهَا اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى، أَوْ اسْمُ نَبِيٍّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

تَرْفِيعُهُ إزَالَةُ الْوَرَقَةِ مِنْ مَوْضِعِ الْمَهَانَةِ إلَى مَوْضِعٍ تُرْفَعُ فِيهِ لَا بِتَقْبِيلِهَا، وَكَذَلِكَ الْخُبْزُ يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ مُلْقًى بَيْنَ الْأَرْجُلِ؛ تَعْظِيمُهُ أَكْلُهُ لَا تَقْبِيلُهُ، وَكَذَلِكَ الْوَلِيُّ تَعْظِيمُهُ اتِّبَاعُهُ لَا تَقْبِيلُ يَدِهِ وَقَدَمِهِ، وَلَا التَّمَسُّحُ بِهِ، فَكَذَلِكَ مَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ تَعْظِيمُهُ بِاتِّبَاعِهِ لَا بِالِابْتِدَاعِ عِنْدَهُ»[1].

٧- ونص النووي في مناسكه على بدعية ذلك، فقال: لا يقبل مقام إبراهيم، ولا يستلمه، فإنه بدعة، وقد روي عن ابن الزبير، ومجاهد كراهته، ولا يستلم أيضًا الركنين الشاميين .اهـ.

سادسا: مما يدل على حمايتهم جناب التوحيد كراهة الإمام مالك للدعاء بـ: «يا سيدي»، ووقوفه على ما ورد في القرآن من اسم الربّ، مع أن الحديث ورد بذلك؛ لكنَّ الإمام مالكا لمبالغته في سدّ الذريعة في العقيدة توقف عند المحكم؛ لأن الحديث لم يثبت عنده.

(١) المدخل لابن الحاج ١/ ٢٦٢ الناشر دار الفكر.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: «وَقَدْ كَرِهَ مَالِكٌ وَابْنُ أَبِي عِمْرَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمَا أَنْ يَقُولَ الدَّاعِي: يَا سَيِّدِي يَا سَيِّدِي، وَقَالُوا: قُلْ كَمَا قَالَتْ الْأَنْبِيَاءُ: رَبِّ، رَبِّ»[1].

وسياق الرواية بتمامها عن الإمام مالك ذكره ابن رشد في «البيان والتحصيل» فقال: سئل هل كان أحد بالمدينة يكره أن يقول العبد لسيده: يا سيدي؟

فقال: لا، ولم يُكره ذلك، وقال الله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ [يوسف: ٢٥]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾ [آل عمران: ٣٩] ، فلم يُكره ذلك .قيل: يقولون إن السيد هو الله.

قال: فأين في كتاب الله أن الله هو السيد؟ هو الرب، قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨]، وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤﴾ [الإسراء: ٢٤].

قيل: أفتكره أن يدعو الرجل فيقول يا سيدي؟ فقال: غير ذلك أحب إليَّ؛ أن يدعو بما في القرآن، وما دعت به الأنبياء. قيل: ذلك أحب إليك من أن يقول يا سيدي؟ فقال نعم، لا أحب أن يقول يا سيدي، وغير ذلك أحب إلي»[2].

سابعا مما يدل على حمايتهم جناب التوحيد: تحذيرهم من الصور:

١- عن أبي الهيّاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ ألا تدع تمثالاً إلا

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٠٧)، وينظر «جامع العلوم والحكم ١/ ٢٩٢.

(٢) البيان والتحصيل ١٨/ ٤٣٠.

طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته»[(١)].

٢- ورى مالك عن عبيد الله بن عبدالله أنه دخل على أبي طلحة الأنصاري يعوده، فوجد عنده سهل بن حنيف، فأمر أبو طلحة إنسانًا ينزع نَمَطًا تحته، فقال له سهل: لم نزعته؟ قال: لأن فيه تصاوير، وقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها ما قد علمت، قال سهل: أو لم يقل: «إلا ما كان رقمًا في ثوب»؟ قال: بلى، ولكنه أطيب لنفسي[(٢)].

٣- وقال الحافظ أبو عمر بن عبدالبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حديث مالك، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، أن رافع بن إسحاق مولى الشفاء، أخبره، قال: دخلت أنا وعبدالله بن أبي طلحة على أبي سعيد الخدري نعوده، فقال لنا أبو سعيد: «أخبرنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تماثيل، أو تصاوير» يشك إسحاق، لا يدري أيتهما قال أبو سعيد الخدري. قال أبو عمر: هذا أصح حديث في هذا الباب، وأحسنه إسناداً[(٣)].

حذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تصوير ذوات الأرواح. ولا سيما تصوير المعظمين من البشر كالعلماء والملوك والعباد والقادة والرؤساء. سواء كان

---

(١) أخرجه مسلم ٢/ ٦١ برقم: ٢٢٠٣.

(٢) الموطأ للإمام مالك ١/ ٢٠٥ برقم: ٤٢٧.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١/ ٢٠٠ الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.

هذا التصوير عن طريق رسم الصورة على لوحة أو ورقة أو جدار أو ثوب. أو عن طريق الالتقاط بالآلة الضوئية المعروفة في هذا الزمان. أو عن طريق النحت.

ونهى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تعليق الصور على الجدران ونحوها. وعن نصب التماثيل ومنها النصب التذكارية. لأن ذلك وسيلة إلى الشرك. فأول شرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير ونصب الصور. وذلك أنه كان في قوم نوح رجال صالحون فلما ماتوا حزن عليهم قومهم فأوحى إليهم الشيطان أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد. حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت رواه البخاري كما سبق ولما بعث الله نبيه نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ ينهي عن هذا الشرك الذي حصل بسبب تلك الصور التي نصبت امتنع قومه من قبول دعوته وأصروا على عبادة تلك الصور المنصوبة التي تحولت إلى أوثان: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] وهذه أسماء الرجال الذين صورت لهم تلك الصور على أشكالهم إحياء لذكرياتهم وتعظيما لهم. فانظر ما آل إليه الأمر بسبب هذه الأنصاب التذكارية من الشرك بالله ومعاندة رسله. مما سبب إهلاكهم بالطوفان ومقتهم عند الله وعند خلقه. مما يدلك على خطورة التصوير ونصب الصور.

ولهذا لعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصورين، وأخبر أنهم أشد الناس عذابا يوم القيامة. وأمر بطمس الصور. وأخبر أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه

صورة. كل ذلك لأجل مفاسدها وشدة مخاطرها على الأمة في عقيدتها. فان أول شرك حدث في الأرض كان بسبب نصب الصور، وسواء كان هذا النصب للصور والتماثيل في المجالس أو الميادين أو الحدائق، فإنه محرم شرعا لأنه وسيلة إلى الشرك وفساد العقيدة. وإذا كان الكفار اليوم يعملون هذا العمل لأنهم ليس لهم عقيدة يحافظون عليها. فإنه لا يجوز للمسلمين أن يتشبهوا بهم ويشاركوهم في هذا العمل حفاظا على عقيدتهم التي هي مصدر قوتهم وسعادتهم[(١)].

أدلة القاعدة (الأدلة التي تدل على وجوب حماية جناب التوحيد):

١- وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء: ١٧١].

٢- وفي الصحيح عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤﴾ [نوح: ٢٣- ٢٤] قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى

(١) انظر كتاب التوحيد للشيخ الفوزان ص٢٦.

مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابـًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونسي العلم، عبدت[١]. وقال ابن القيم قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم[٢].

٣- وعن عمر أن رسول الله قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»[٣].

ولمسلم عن ابن مسعود، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثا[٤].

٤- وعن قتيلة: أَنّ يَهُودِيًا أَتَى النّبِيّ، فَقَالَ: إِنّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللّهُ وَشِئْتَ وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ فَأَمَرَهُمُ النّبِيّ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ اللّهُ ثُمّ شِئْتَ[٥].

٥- وله أيضـًا عن ابن عباس، أن رجلاً قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما شاء الله وشئت**» فقال: «**أجعلتني لله نداً؟! بل ما شاء اللهُ وحده**»[٦].

---

(١) سبق توثيقه ص ٣٠٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦/ ١٦٠ برقم: ٤٩٢٠.

(٣) أخرجه البخاري ٤/ ١٦٧ برقم: ٣٤٤٥.

(٤) أخرجه مسلم ٨/ ٥٨ برقم: ٦٨٧٨.

(٥) سنن النسائي ٧/ ٦ برقم: ٣٧٧٣ وابن ماجه ٣/ ٢٥٢ برقم ٢١١٧. قال الألباني: صحيح.

(٦) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٦ برقم: ٢٤٦١ .

٦- ولابن ماجه: عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير بن الله قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحتُ، أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته، قال: «**هل أخبرتَ بها أحداً؟**». قلت نعم قال: فحمد الله، وأثني عليه، ثم قال: «**أما بعد، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**»(١).

٧- عن أبي هريرة، قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللّهُ تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقوا ذَرّةً. أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبّةً. أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**»(٢).

٨- ولهما عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَشَدّ النّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الّذِينَ يُضَاهِئونَ بِخَلْقِ اللّهِ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد ٣٤/ ٢٩٦ برقم: ٢٠٦٩٤ والطبراني في الكبير ٨/ ٢٢٤ برقم: ٨٢١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٧/ ١٦٧ برقم: ٥٩٥٣.

(٣) أخرجه البخاري ٧/ ١٦٨ برقم: ٥٩٥٤ومسلم ٦/ ١٥٩ برقم: ٥٥٧٩.

٩- ولهما عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سمعت رسول الله يقول: «**كُلّ مُصَوّرٍ فِي النّارِ. يُجْعَلُ لَهُ بِكُلّ صُورَةٍ صَوّرَهَا نَفْسٌ يُعَذّبُ بها فِي جَهَنّمَ**»(١).

١٠- ولهما عنه مرفوعا «**مَنْ صَوّرَ صُورَةً فِي الدّنْيَا كُلّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**»(٢).

ومن الأدلة التي جاءت في تحريم الغلو في الصالحين ومنه الغلو في القبور:

١١- ولمسلم عَنْ أَبِي الْهَيّاجِ، قال: قَالَ لِي عَلِيّ: «أَلاّ أَبْعَثُكَ عَلَىَ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ: أن لاَ تَدَعَ صُورَةً إِلاّ طَمَسْتَهَا، وَلاَ قَبْراً مُشْرِفاً إِلاّ سَوّيْتَهُ»(٣).

١٢- عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تشد الرحال إلا ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد الأقصى**»(٤).

١٣- وأخرجه مسلم من حديث سلمان الأغر عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيلياء**»(٥).

١٤- حدثني ثابت بن الضحاك قال: «نذر رجل على عهد رسول الله

---

(١) أخرجه مسلم ٦/ ١٦١ برقم: ٥٥٩١ .

(٢) أخرجه البخاري ٧/ ١٦٩ برقم: ٥٩٦٣ ومسلم ٦/ ١٦٢ برقم: ٥٥٩٢.

(٣) أخرجه مسلم ٣/ ٦١ برقم: ٢٢٠٣.

(٤) أخرجه البخاري ٢/ ٦٠ برقم: ١١٨٩ ومسلم ٤/ ١٢٦ برقم: ٣٣٦٤.

(٥) أخرجه مسلم ٤/ ١٢٦ برقم: ٣٣٦٦.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ان ينحر ببوانة فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قالوا: لا قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم**»(١).

١٥- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبْنَى عَلَى القَبْرِ أَوْ يُزَادَ عَلَيْهِ أَوْ يُجَصَّصَ، زَادَ سُلَيمَانُ بنُ مُوسَى: أَوْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ»(٢).

١٦- وعَنْه «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُلْحِدَ لَهُ لَحْدًا، وَنُصِبَ عَلَيْهِ اللَّبِنَ نَصْبًا»، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ: «**وَرُفِعَ قَبْرُهُ مِنَ الْأَرْضِ نَحْوًا مِنْ شِبْرٍ**». كَذَا وَجَدْتُهُ(٣).

١٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(٤).

١٨- وعن عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِاللهِ أَنَّ عَائِشَةَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ («**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا)(٥).

---

(١) أخرجه أبو داوود ٣/ ٢٣٦ برقم ٣٣١٥ قال الألباني: صحيح.

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ٦١ برقم: ٢٢٠٥.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٢٧٢ برقم: ٦٨ ١٧.

(٤) أخرجه البخاري ١/ ٩٥ برقم: ٤٣٧ ومسلم ٢/ ٦٧ برقم: ١١٢٢.

(٥) أخرجه البخاري ١/ ٦٥ برقم: ٤٣٥ ومسلم ٢/ ٦٧ برقم: ١١٢٤.

١٩- وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا كَانَ مَرِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تَذَاكَرَ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ وَقَدْ كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قَدْ أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ فَذَكَرْنَ مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرِهَا قَالَتْ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**»[(١)].

مخالفة الخلف للسلف:

من مظاهر الغلو عندهم:

١- دعاء الموتى والاستغاثة بهم.

٢- صرف أنواع العبادة لغير الله.

٣- اعتقاد تصرف الأنبياء والصالحين في الكون.

٤- اعتقاد علم الغيب في المخلوق.

٥- المدح والإطراء الموصل إلى وصف الربوبية والألوهية أو المشتمل على ما يخالف الأدلة.

٦- اعتقاد أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أول المخلوقات، وأنه خلق من نور الله تعالى، وأن الكائنات خلقت من نوره.

٧- دعوى رؤية النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقظة والاجتماع به وحضوره مجالسهم.

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٨٨.

٨- تعظيم المشاهد والبناء على القبور وزخرفتها.

٩- الاحتفال بالمواسيم المبتدعة.

١٠- ادعاء فضائل محدثة وترتيب الأجور الكبيرة عليها.

هذا وقد بين الإمام ابن القيم مخالفة الخلف للسلف في القبور:

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن جمع بين سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القبور وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم. رأى أحدهما مضادا للآخر، مناقضا له بحيث لا يجتمعان أبدا.

١- فنهى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها وإليها.

٢- ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله.

٣- ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها. ونهى عن أن تتخذ عيدا، وهؤلاء يتخذونها أعيادا ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعاتهم للعيد أو أكثر.

٤- وأمر بتسويتها كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي -فذكر حديث الباب- وحديث ثمامة بن شُفَي وهو عند مسلم أيضا قال: «كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم بدردس، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بتسويتها».

وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت؛ ويعقدون عليها القباب.

٥- ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه. كما روى مسلم في صحيحه عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: نهى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبني عليه ونهى عن الكتابة عليها كما روى أبو داود في سننه عن جابر أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نهى عن تجصيص القبور وأن يكتب عليها قال الترمذي: حديث حسن صحيح وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره.

٦- ونهى أن يزاد عليها غير ترابها كما روى أبو داود عن جابر أيضا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن يجصص القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والجص والأحجار قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون الآجر على قبورهم...

وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجا ووضعوا لها مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا وسماه مناسك حج المشاهد مضاهاة منه القبور بالبيت الحرام ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعوه وقصدوه ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز عن حصره:

١- فمنها: تعظيمها الموقع في الافتتان بها.

٢- ومنها: اتخاذها أعيادا.

٣- ومنها السفر إليها.

٤- ومنها: مشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدانتها وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد والويل عندهم لقيمها ليلة يطفىء القنديل المعلق عليها.

٥- ومنها: النذر لها ولسدنتها.

٦- ومنها: اعتقاد المشركين فيها أن بها يكشف البلاء وينصر على الأعداء ويستنزل غيث السماء وتفرج الكروب وتقضي الحوائج وينصر المظلوم ويجار الخائف إلى غير ذلك ومنها: الدخول في لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها وإيقاد السرج عليها.

٧- ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها.

٨- ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم فإنهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهية...

٩- ومنها: إماتة السنن وإحياء البدع.

١٠- ومنها تفضيلها على خير البقاع وأحبها إلى الله فإن عباد القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة على

الموتى بما لا يفعلونه في المساجد ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريبا منه.

١١- ومنها: أن الذي شرعه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة والإحسان إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له فيكون الزائر محسنا إلى نفسه وإلى الميت فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به وسؤالهم حوائجهم واستنزال البركة منه ونصره لهم على الأعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى الرجال عن زيادة القبور سدا للذريعة فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ونهاهم أن يقولوا هجرا ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولا وفعلا وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوروا القبور فإنها تذكر الموت وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: مر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: السلام عليكم يأهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر رواه أحمد والترمذي وحسنه.

فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته وعلمهم إياها هل تجد فيها شيئا مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟ وما أحسن ما قال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم

ونقص إيمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك.

ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا ونص على ذلك الأئمة الأربعة: أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر فإن الدعاء عبادة وفي الترمذي وغيره: الدعاء هو العبادة فجرد السلف العبادة لله ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدعاء لأصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم وأخرج أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم وإسناده جيد ورواته ثقات مشير قوله: لا تجعلوا بيوتكم قبورا أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فأمر بتحري النافلة في البيوت ونهى عن تحري النافلة عند القبور وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم[1].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

أولا: حماية السلف جناب التوحيد أعظم حماية ومن نماذجه كما سبق:

١- تحذيرهم من تتبع آثار الأنبياء.

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٩٥ وما بعده الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢- قطعهم الشجرة التي بايع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحتها بيعة الرضوان؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخافوا أن يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير.

٣- قول عمر للحجر الأسود: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبلك ما قبلتك».

٤- كراهتهم التمسح بحجر المقام.

٥- عدم إبرازهم قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٦- تحذيرهم من تحري الدعاء عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٧- كراهتهم لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد للصلاة أن يأتي قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للسلام عليه.

٨- ما فعله المهاجرون والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من تعمية قبر دنيال لئلا يفتتن به ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به لأنهم تعلموا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن سبب حدوث الشرك في العالم هو الغلوّ في الصالحين، وفهموا من نهيه المكثف آخر حياته وفي مرض موته، أن قبور الأنبياء والصالحين لا يجوز تعظيمه، وأن اليهود والنصارى استحقوا اللعن حينما بنوا المساجد على قبورهم، وصوَّروا فيها صورهم، لذلك تعاملوا مع قبر دنيال بالشكل المذكور.

٩- عدم إظهار التابعين رحمهم الله قبور الصحابة وهي متفرقة في البلدان أيام الفتوحات.

١٠- تحذيرهم من مس قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند زيارته.

١١- كراهة الإمام مالك عبارة: زرت قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلل ذلك بقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**».

١٢- أمرهم بهدم القبور المبنية وتسوية المرتفعة.

١٣- اتفاقهم على قتل الغالية من الرافضة. وغيرها من الوجوه الكثيرة.

ثانيا: فهم السلف عصمة لمن اعتصم به.

ثالثا: بالغ الخلف في مخالفة السلف في هذا الباب فضلوا وأضلوا.

رابعا: كل القواعد الآتية تدل على حماية السلف جناب التوحيد.

❊ ❊ ❊

القاعدة الثانية:
السلف والتوسل والوسيلة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من توسل السلف وأدلته.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف للتوسل.

٢- بيان التوسل المشروع والممنوع.

٣- بيان مخالفة الخلف للسلف في التوسل.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أن فهم السلف للتوسل هو التوسل المشروع وهو التوسل بأسماء الله، وصفاته، وبإيمان المؤمن، وبأعمالهم الصالحة، وبذكر حالهم، وبدعاء رجل صالح.

وأما التوسل الممنوع فأجمعوا على تركه.

المبحث الثالث: نماذج من فهم السلف للتوسل:

أولا: أنهم فسروا معنى الوسيلة:

نقل الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨]. عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن: معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائل والحسن وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد، ونقل عن قتادة قوله فيها: «أي تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه» ثم قال ابن كثير: «وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه.. والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود»[(١)].

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٠٢ ط/ ٢ الناشر دار طيبة.

كما بين الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مناسبة نزول قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

التي توضح معناها فقال: «نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون»(١).

ثانيا: توسلوا بأسماء الله وصفاته من نماذج ذلك:

١- أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلاً يقول في تشهده: «**اللهم إني أسألك يا الله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم**» فقال: «**قد غفر له قد غفر له**»(٢).

٢- ومنها أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سمع رجلاً آخر يقول في تشهده: «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار**» فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**تدرون بما دعا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم وفي رواية: الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»(٣).

(١) المرجع السابق ٥/ ٨٨.

(٢) أخرجه أبو داوود ٢/ ٢٣٠ برقم: ٩٨٥ والترمذي ٥/ ٥١٥ برقم: ٣٤٧٥ والنسائي ٣/ ٦٠ برقم: ١٣٠٠ وابن ماجه ٥/ ٢٦ برقم: ٣٨٥٧ قال الألباني: صحيح.

(٣) أخرجه أحمد ٢١/ ١٩٢ برقم: ١٣٥٧٠ وهو حديث صحيح.

ثالثا: توسلوا بعملهم الصالح ومن نماذجه:

ما رواه بريدة بن الحصَيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً يقول: «**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحداً**»، فقال: «**قد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب**»[١].

رابعا: توسلوا بدعاء رجل صالح:

١- توسل عمر بدعاء عباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومعه المهاجرون والأنصار في المدينة النبوية. روى البخاري في صحيحه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون[٢]. قال الحافظ في «الفتح»: قد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث، قال: فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داوود ٢/ ٦١٢ برقم: ١٤٩٣ الترمذي ٥/ ٥١٥ برقم: ٣٤٧٥ والنسائي ٢/ ٦٠ برقم: ١٣٠٠ وابن ماجه ٥/ ٣٧٣ برقم: ٣٨٥٧ قال الألباني: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري ٢/ ٢٧ برقم: ١٠١٠.

(٣) قال الألباني: هذه الروايات صحيحة.

ويؤيده قول عمر: «إنا كنا نستسقي إليك بنبينا» فتوسلهم بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توسل دعاء كما قال الأعرابي: «يا رسول الله هلكت الأموال وانقطت السبل فادع الله أن يغيثنا فقال: اللهم أغثنا».

٢- وفعل ذلك معاوية حيث توسل بدعاء يزيد بن الأسود الحرشي وقد روى ابن عساكر في تاريخه بسند صحيح عن التابعي الجليل سليم بن عامر الحبائري: «أن السماء قحطت فخرج معاوية بن أبي سفيان وآل دمشق يستسقون فلما قعد معاوية على المنبر قال: أين يزيد بن الأسود الحرشي؟ فناداه الناس فأقبل يتخطى الناس فأمره معاوية فصعد على المنبر فقعد عند رجليه، فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد بن الأسود الحرشي يا يزيد ارفع يديك إلى الله فرفع يديه ورفع الناس أيديهم فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس وهبت لنا ريح فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم»(١).

٣- وروى ابن عساكر أيضا بسند صحيح أن الضحاك بن قيس خرج يستسقي بالناس فقال ليزيد بن الأسود أيضا قم يا بكاء زاد في رواية فما دعا إلا ثلاثا حتى أمطروا مطرا كادوا يغرقون منه(٢).

خامسًا: عدلوا عن التوسل الممنوع؛ حيث لم يتوسلوا بالنبي

---

(١) تاريخ دمشق ٦٥/ ١١٢.

(٢) المرجع السابق.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته، لا بدعائه، ولا بطلب الدعاء منه، ولا بالدعاء عند قبره، ولا بقبره، لا بذاته، ولا بجاهه - وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الخلق عند الله جاها.

سادسا: صرحوا بعدم مشروعية التوسل الممنوع:

١- قال أبوحنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠][(١)]».

٢- وقال أبوحنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «يكره أن يقول الداعي أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام»[(٢)].

٣- وقال أبوحنيفة: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك»[(٣)].

---

(١) الدر المختار ٥/ ٣١٢ ط / ١ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) العقيدة الطحاوية ص٢٣٤؛ وإتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٨٥؛ وشرح الفقه الأكبر للقاري ص١٩٨.

(٣) كره الإمام أبو حنيفة ومحمد بن الحسن أن يقول الرجل في دعائه «اللهم إني أسألك بمعقد العز من عرشك».

لعدم وجود النص في الإذن به، وأما أبو يوسف فقد جوز لوقوفه على نص من السنة وفيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان من دعائه: «اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدِّك الأعلى وكلماتك التامة». =

أدلة القاعدة:

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٢- وقال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص: ٢٤].

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾ [مريم: ٤].

ومن السنة:

١- قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك،**

= وهذا الحديث أخرجه البيهقي في كتاب الدعوات الكبير كما في البناية ٩/ ٣٨٢، ونصب الراية ٤/ ٢٧٢، ٢٧٣. وفي إسناده ثلاثة أمور قادحة:

١- عدم سماع داود بن أبي عاصم من ابن مسعود.

٢- عبد الملك بن جريج مدلس ويرسل.

٣- عمر بن هارون متهم بالكذب.

من أجل هذا قال ابن الجوزي كما في البناية ٩/ ٣٨٢ «هذا حديث موضوع بلا شك وإسناده محبط كما ترى».

انظر تهذيب التهذيب ٣/ ١٨٩، ٦/ ٤٠٥، ٧/ ٥٠١؛ وتقريب التهذيب ١/ ٥٢٠.

أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي...»[(١)].

٢- وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»[(٢)].

٣- قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي**»[(٣)].

٤- وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم الحديث»[(٤)].

مخالفة الخلف للسلف:

١- تعتقد الشيعة بأن التوسل بالنبي والأئمة، باب من أبواب التوجه لله سبحانه، وقد يكون لأجل كون الشخص محبوباً لديه سبحانه وتعالى والمتوسل به، لا يؤثر في المسائل على نحو الاستقلال. بحار الأنوار.

---

(١) رواه أحمد ٦/ ٢٤٧ برق: ٣٧١٢.

(٢) أخرجه البخاري ١/ ٢٤٦ برقم: ٧٩٩ ومسلم ٨/ ٧٤ برقم: ٧٠٤٤.

(٣) أخرجه أحمد ٣٠/ ٢٦٥ برقم: ١٨٣٢٥ والنسائي ٣/ ٥٤ برقم: ١٣٠٥ وقال الألباني: صحيح.

(٤) أخرجه البخاري ٢/ ٧٣٩ ٢١٥٢ ومسلم ٨/ ٩١ برقم: ٧١٢٧.

٢- تعتقد بعض الطوائف ومن بينهم الصوفية أن التوسل بالنبي في حياته وبعد وفاته هو أمر متفق عليه بين المسلمين طيلة فترة السلف ولم يكن محل نقاش إلا بعد مضي ستة قرون على وفاة النبي محمد فكان أن أثير الخلاف في التوسل بالنبي بعد مماته والتوسل بغيره كالأئمة والأولياء، ويستشهدون بنصوص من الكتاب والسنة وفعل السلف الصالح من بينها الحديث الذي رواه عثمان بن حنيف وقصة الرجل مع عثمان بن عفان والتي صححها الطبراني وغيره، والذي ورد فيه النص التالي بجواز التوسل بالنبي محمد في حياته وبعد وفاته: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمـد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي»[(١)].

أوجه التوسل الممنوع:

وللتوسل غير المشروع (البدعي) صور متعددة، ومنها:

١- التوسل إلى الله بدعاء الموتى أو الغائبين، والاستغاثة بهم ونحو ذلك، فهذا شرك أكبر مخرج عن ملة الإسلام مناف للتوحيد.

٢- التوسل إلى الله بفعل الطاعات عند قبور الموتى ومشاهدهم، والبناء عليهم، وسترها، والدعاء عندها، فهذا شرك أصغر مناف لكمال التوحيد الواجب ووسيلة إلى الشرك الأكبر.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٣٨ والترمذي ٥/ ٥٦٩ وابن ماجه ١/ ٤٤١ والحاكم في المستدرك ١/ ٣١٣.

٣- التوسل إلى الله بمنزلة الصالحين، ومكانتهم عند الله؛ وهو محرم؛ لأن عملهم ينفعهم هم، كما قَالَتَعَالَىٰ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم: ٣٩].

وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[(١)].

٤- التوسل بذوات الصالحين كقول بعضهم (أسألك بمحمد) وهذا اللفظ بدعي محرم، وهو محتمل لمعان كلها فاسدة غير مشروعة وهي:

أ- أن يقصد التوسل بالمكانة والمنزلة.

ب- أن يريد الإقسام به على الله، والحلف بغير الله محرم وهو من الشرك الأصغر.

ت- أن يريد أن يكون واسطة بين الله وعبده في جلب منفعة أو دفع ضر، وهذا شرك المشركين، وهو شرك أكبر مخرج عن ملة الإسلام. قال تعالى عن المشركين: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣].

ث- أن يقصد التبرك بذكر هذا اللفظ وهو أيضاً محرم لاحتماله المقاصد المتقدمة من جهة، ولكونه ليس مأخوذاً به شرعاً فيفعل، بل إن الصحابة لم يفعلوه، وهكذا من بعدهم من التابعين وتابعيهم، مما يدل على أنه بدعة محدثة، والرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**من أحدث في أمرنا هذا ما**

(١) رواه أحمد ٢/ ٣٣٢ والبخاري في الأدب المفرد ص ٣٨ ومسلم ٣/ ١٢٥٥.

ليس منه فهو رد». وقال: «**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

ومما يدل على بدعيته أيضا: أن الأدعية الواردة في القرآن الكريم وهي كثيرة، لا نجد في شيء منها التوسل بالجاه أو الحرمة أو الحق أو المكانة لشيء من المخلوقات، وهاك بعض الأدعية الكريمة على سبيل المثال: يقول ربنا جل شأنه معلماً إيانا ما ندعو به ومرشداً: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ويقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠] ويقول: ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونس: ٨٥] إلى آخر ما هنالك من الأدعية القرآنية الكريمة، وبعضها مما يعلمنا الله تعالى أن ندعو به ابتداء، وبعضها مما يحكيه سبحانه عن بعض أنبيائه ورسله، أو بعض عباده وأوليائه، وواضح أنه ليس في شيء منها ذاك التوسل المبتدع الذي يدندن حوله المتعصبون، ويخاصم فيه المخالفون.

وإذا انتقلنا إلى السنة الشريفة لنطلع منها على أدعية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي ارتضاها الله تعالى له، وعلمه إياها، وأرشدنا إلى فضلها وحسنها، نراها مطابقة لما في أدعية القرآن السالفة من حيث خلوها من التوسل المبتدع المشار إليه، وهاك بعض تلك الأدعية النبوية المختارة:

فمنها دعاء الاستخارة المشهور الذي كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمه أصحابه إذا هموا بأمر كما كان يعلمهم القرآن، وهو: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، وعاجله وآجله، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، وعاجله وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به**».

ومنها: «**اللهم أصلح لي ديني، الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر**» و«**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي...**» و«**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**» و«**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك**» و«**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد نعوذ بك من النار**». ومثل هذه الأدعية في السنة كثير، ولا نجد فيها دعاء واحداً ثابتاً فيه شيء من التوسل المبتدع الذي يستعمله المخالفون.

شبهات المبتدعة في التوسل:

الشبهة الأولى: حديث استسقاء عمر بالعباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

يحتجون على جواز التوسل بجاه الأشخاص وحرمتهم وحقهم بحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا قَحِطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون» فيفهمون من هذا الحديث أن توسل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنما كان بجاه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومكانته عند الله سبحانه، وأن توسله كأنه مجرد ذكر منه للعباس في دعائه، وطلب منه لله أن يسقيهم من أجله، وقد أقره الصحابة على ذلك، فأفاد بزعمهم ما يدعون.

وأما سبب عدول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن التوسل بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزعمهم، وتوسله بدلاً منه بالعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنما كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ليس غير.

التفنيد: وفهمهم هذا خاطئ، وتفسيرهم هذا مردود من وجوه كثيرة أهمها:

١- إن القواعد المهمة في الشريعة الإسلامية أن النصوص الشرعية يفسر بعضها بعضـاً، ولا يفهم شيء منها في موضوع ما بمعزل عن بقية النصوص الواردة فيه. وبناء على ذلك فحديث توسل عمر السابق إنما يفهم على ضوء ما ثبت من الروايات والأحاديث الواردة في التوسل بعد جمعها وتحقيقها، ونحن والمخالفون متفقون على أن في كلام عمر: (كنا نتوسل إليك بنبينا.. وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) شيئاً محذوفاً، لا بد له من تقدير، وهذا التقدير إما أن يكون: كنا نتوسل بـ «جاه» نبينا، وإنا نتوسل إليك بـ «جاه» عم نبينا على رأيهم هم.

أو يكون: كنا نتوسل إليك بـ«دعاء» نبينا، وإنا نتوسل إليك بـ «دعاء» عم نبينا على رأينا نحن.

ولا بد من الأخذ بواحد من هذين التقديرين ليفهم الكلام بوضوح وجلاء.

ولنعرف أي التقديرين صواب لا بد من اللجوء إلى فهم السلف، ليبين لنا طريقة توسل الصحابة الكرام بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ترى هل كانوا إذا أجدبوا وقحَطوا قبع كل منهم في داره، أو مكان آخر، أو اجتمعوا دون أن يكون معهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم دعوا ربهم قائلين: «**اللهم بنبيك محمد، وحرمته عندك، ومكانته لديك اسقنا الغيث**». مثلاً أم كانوا يأتون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاته فعلاً، ويطلبون منه أن يدعو الله تعالى لهم، فيحقق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلْبتهم، ويدعو ربه سبحانه، ويتضرع إليه حتى يسقوا؟.

أما الأمر الأول فلا وجود له إطلاقاً في السنة النبوية الشريفة، وفي عمل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ولا يستطيع أحد من الخلفيين أو الطُّرُقيين أن يأتي بدليل يثبت أن طريقة توسلهم كانت بأن يذكروا في أدعيتهم اسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويطلبوا من الله بحقه وقدره عنده ما يريدون. بل الذي نجده بكثرة، وتطفح به كتب السنة هو الأمر الثاني، إذ تبين أن طريقة توسل الأصحاب الكرام بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما كانت إذا رغبوا في قضاء

حاجة، أو كشف نازلة أن يذهبوا إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويطلبوا منه مباشرة أن يدعو لهم ربه، أي أنهم كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس غير.

ويرشد إلى ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝٦٤﴾ [النساء: ٦٤].

ومن أمثلة ذلك حديث أنس الذي ذكر فيه مجيء الأعرابي إلى المسجد يوم الجمعة حيث كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب، وعرضه له ضنك حالهم، وجدب أرضهم، وهلاك ماشيتهم، وطلبه منه أن يدعو الله سبحانه لينقذهم مما هم فيه، فاستجاب له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي وصفه ربه بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

فدعا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم ربه، واستجاب سبحانه دعاء نبيه، ورحم عباده ونشر رحمته، وأحيا بلدهم الميت.

ومن ذلك أيضـًا مجيء الأعرابي السابق نفسه أو غيره إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يخطب الجمعة الثانية، وشكواه له انقطاع الطرقات وتهدم البنيان، وهلاك المواشي، وطلبه منه أن يدعو لهم ربه، ليمسك عنهم الأمطار، وفعل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستجاب له ربه جل شأنه أيضـًا.

ومن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حيث قالت: (شكا الناس

إلى رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوماً يخرجون فيه. قالت: فخرج رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين بدا حاجب الشمس، فقعد على المنبر، فكبر وحمد الله، ثم قال: إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم الحديث، وفيه أنه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دعا الله سبحانه، وصلى بالناس، فأغاثهم الله تعالى حتى سالت السيول، وانطلقوا إلى بيوتهم مسرعين، فضحك الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه، وقال: «**أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله**».

فهذه الأحاديث وأمثالها مما وقع زمن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وزمن أصحابه الكرام رضوان الله عليهم تُبين بما لا يقبل الجدال أو المماراة أن التوسل بالنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أو بالصالحين الذي كان عليه السلف الصالح هو مجيء المتوسل إلى المتوسل به، وعرضه حاله له، وطلبه منه أن يدعو له الله سبحانه، ليحقق طلبه، فيستجيب هذا له، ويستجيب من ثم الله سبحانه وتعالى.

٢- فالتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالرجل الصالح ليس معناه التوسل بذاته وبجاهه وبحقه، بل هو التوسل بدعائه وتضرعه واستغاثته به سبحانه وتعالى، وهذا هو معنى قول عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا**» أي: كنا إذا قل المطر مثلاً نذهب إلى النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونطلب منه أن يدعو لنا الله جل شأنه.

٣- ويؤكد هذا ويوضحه تمام قول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : «وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»، أي إننا بعد وفاة نبينا جئنا بالعباس عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطلبنا منه أن يدعو لنا ربنا سبحانه ليغيثنا.

٤- إننا نلاحظ في حديث استسقاء عمر بالعباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أمراً جديراً بالانتباه، وهو قوله: «إن عمر بن الخطاب كان إذا قَحطوا، استسقى بالعباس بن عبدالمطلب، ففي هذا إشارة إلى تكرار استسقاء عمر بدعاء العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ففيه حجة بالغة على الذين يتأولون فعل عمر ذلك أنه إنما ترك التوسل به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى التوسل بعمه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل، فإننا نقول: لو كان الأمر كذلك لفعل عمر ذلك مرة واحدة، ولما استمر عليه كلما استسقى، وهذا بيّن لا يخفى إن شاء الله تعالى على أهل العلم والإنصاف».

٥- لقد فسرت بعض روايات الحديث الصحيحة كلام عمر المذكور وقصده، إذ نقلت دعاء العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ استجابة لطلب عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فمن ذلك ما نقله الحافظ العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الفتح) (٣/ ١٥٠) حيث قال: «قد بين الزبير بن بكار في (الأنساب) صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة، والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجّه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك

بالتوبة، فاسقنا الغيث، قال: فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس».

وفي هذا الحديث: أولاً: التوسل بدعاء العباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لا بذاته كما بينه الزبير بن بكار وغيره، وفي هذا رد واضح على الذين يزعمون أن توسل عمر كان بذات العباس لا بدعائه، إذ لو كان الأمر كذلك لما كان ثمة حاجة ليقوم العباس، فيدعو بعد عمر دعاءً جديداً.

ثانيًا: أن عمر صرح بأنهم كانوا يتوسلون بنبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حياته، وأنه في هذه الحادثة توسل بعمه العباس، ومما لا شك فيه أن التوسلَيْن من نوع واحد: توسلهم بالرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وتوسلهم بالعباس، وإذا تبين للقارئ: أن توسلهم به صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنما كان توسلاً بدعائه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فتكون النتيجة أن توسلهم بالعباس إنما هو توسل بدعائه أيضًا، بضرورة أن التوسلَيْن من نوع واحد.

أما أن توسلهم به صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنما كان توسلاً بدعائه، فالدليل على ذلك صريح رواية الإسماعيلي في «مستخرجه على الصحيح» لهذا الحديث بلفظ: «كانوا إذ قحطوا على عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ استسقوا به، فيستسقي لهم، فيسقون، فلما كان في إمارة عمر»، فقوله: فيستسقي لهم صريح في أنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يطلب لهم السقيا من الله تعالى ففي «النهاية» لابن الأثير: الاستسقاء، استفعال من طلب السقيا أي إنزال الغيث على البلاد والعباد،

يقال: سقى الله عباده الغيث وأسقاهم، والاسم السقيا بالضم، واستقيت فلانـًا إذا طلبت منه أن يسقيك.

إذا تبين هذا، فقوله في هذه الرواية (استسقوا به) أي بدعائه، وكذلك قوله في الرواية الأولى: (كنا نتوسل إليك بنبينا)، أي بدعائه، لا يمكن أن يفهم من مجموع رواية الحديث إلا هذا. ويؤيده:

ثالثـًا: لو كان توسل عمر إنما هو بذات العباس أو جاهه عند الله تعالى، لما ترك التوسل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا المعنى، لأن هذا ممكن لو كان مشروعـًا، فعدول عمر عن هذه إلى التوسل بدعاء العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أكبر دليل على أن عمر والصحابة الذين كانوا معه كانوا لا يرون التوسل بذاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى هذا جرى عمل السلف من بعدهم، كما رأيت في توسل معاوية بن أبي سفيان والضحاك ابن قيس بيزيد بن الأسود الجرشي، وفيهما بيان دعائه بصراحة وجلاء.

فهل يجوز أن يجمع هؤلاء كلهم على ترك التوسل بذاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو كان جائزاً، سيّما والمخالفون يزعمون أنه أفضل من التوسل بدعاء العباس وغيره؟! اللهم إن ذلك غير جائز ولا معقول، بل إن هذا الإجماع منهم من أكبر الأدلة على أن التوسل المذكور غير مشروع عندهم، فإنهم أسمى من أن يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير!

اعتراض ورده:

وأما جواب صاحب «مصباح الزجاجة في فوائد قضاء الحاجة» (ص٢٥)

عن ترك عمر التوسل بذاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «إن عمر لم يبلغه حديث توسل الضرير، ولو بلغه لتوسل به».

فهو جواب باطل من وجوه:

الأول: أن حديث الضرير إنما يدل على ما دل عليه توسل عمر هذا من التوسل بالدعاء، لا بالذات.

الثاني: أن توسل عمر لم يكن سراً، بل كان جهراً على رؤوس الأشهاد، وفيهم كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فإذا جاز أن يخفى الحديث على عمر، فهل يجوز أن يخفى على جميع الموجودين مع عمر من الصحابة؟!.

الثالث: أن عمر كان يكرر هذا التوسل كلما نزل بأهل المدينة خطر، أو كلما دعي للاستسقاء كما يدل على ذلك لفظ (كان) في حديث أنس السابق «**أن عمر كان إذا قحطوا استسقى بالعباس**» (وكذلك روى ابن عباس عن عمر كما ذكره ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٣/ ٩٨)، فإذا جاز أن يخفى ذلك عليه أول مرة، أفيجوز أن يستمر على الجهل به كلما استسقى بالعباس، وعنده المهاجرون والأنصار، وهم سكوت لا يقدمون إليه ما عندهم من العلم بحديث الضرير؟! اللهم إن هذا الجواب ليتضمن رمي الصحابة جميعهم بالجهل بحديث الضرير مطلقاً، أو على الأقل بدلالته على جواز التوسل بالذات، والأول باطل لا يخفى بطلانه، والثاني حق فإن الصحابة لو

كانوا يعلمون أن حديث الضرير يدل على التوسل المزعوم لما عدلوا عن التوسل بذاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى التوسل بدعاء العباس كما سبق.

رابعـًا: أن عمر ليس هو وحده الذي عدل عن التوسل بذاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى التوسل بالدعاء، بل تابعه على ذلك معاوية بن أبي سفيان فإنه أيضـًا عدل إلى التوسل بدعاء يزيد بن الأسود، ولم يتوسل به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده جماعة من الصحابة وأجلاء التابعين، فهل يقال أيضـًا إن معاوية ومن معه لم يكونوا يعلمون بحديث الضرير؟ وقل نحو ذلك في توسل الضحاك بن قيس بيزيد هذا أيضـًا.

ثم أجاب صاحب (المصباح) بجواب آخر، وتبعه من لم يوفق من المتعصبين المخالفين فقال:إن عمر أراد بالتوسل بالعباس الاقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إكرام العباس وإجلاله، وقد جاء هذا صريحـًا عن عمر، فروى الزبير بن بكار في «الأنساب» من طريق داود بن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: «استسقى عمر ابن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبدالمطلب، فخطب عمر فقال: إن رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا أيها الناس برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتخذوه وسيلة إلى الله...» ورواه البلاذري من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه به.

والجواب من وجوه أيضـًا:

الأول: عدم التسليم بصحة هذه الرواية، فإنها من طريق داود ابن عطاء

وهو المدني، وهو ضعيف كما في «التقريب»، ومن طريق الزبير بن بكار عنه رواه الحاكم (٣/ ٣٣٤) وسكت عنه، وتعقبه الذهبي بقوله: (داود متروك) والراوي عنه ساعدة بن عبيدالله المزني لم أجد من ترجم له، ثم إن في السند اضطراباً، فقد رواه -كما رأيت- هشام بن سعد عن زيد بن أسلم فقال: (عن أبيه) بدل ابن عمر، لكن هشاماً أوثق من داود، إلا أننا لم نقف على سياقه، لننظر هل فيه مخالفة لسياق داود هذا أم لا؟ ولا تغتر بقولهم في (المصباح) عقب هذا الإسناد: (به) المفيد أن السياق واحد، فإن عمدته فيما نقله عن البلاذري إنما هو (فتح الباري) وهو لم يقل: (به). انظر (الفتح) (٢/ ٣٩٩).

الثاني: لو صحت هذه الرواية، فهي إنما تدل على السبب الذي من أجله توسل عمر بالعباس دون غيره من الصحابة الحاضرين حينذاك، وأما أن تدل على جواز الرغبة عن التوسل بذاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لو كان جائزاً عندهم- إلى التوسل بالعباس أي بذاته فكلا، ثم كلا، لأننا نعلم بالبداهة والضرورة -كما قال بعضهم- أنه لو أصاب جماعة من الناس قحط شديد، وأرادوا أن يتوسلوا بأحدهم لما أمكن أن يعدلوا عمن دعاؤه أقرب إلى الإجابة، وإلى رحمة الله سبحانه وتعالى، ولو أن إنساناً أصيب بمكروه فادح، وكان أمامه نبي، وآخر غير نبي، وأراد أن يطلب الدعاء من أحدهما لما طلبه إلا من النبي، ولو طلبه من غير النبي، وترك النبي لعد من الآثمين الجاهلين، فكيف يظن بعمر ومن معه من الصحابة أن يعدلوا عن التوسل به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى

التوسل بغيره، لو كان التوسل بذاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جائزاً، فكيف وهو أفضل عند المخالفين من التوسل بدعاء العباس وغيره من الصالحين؟! لا سيما وقد تكرر ذلك منهم مراراً كما سبق، وهم لا يتوسلون به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا مرة واحدة، واستمر الأمر كذلك، فلم ينقل عن أحد منهم خلاف ما صنع عمر، بل صح عن معاوية ومن معه ما يوافق صنيعه حيث توسلوا بدعاء يزيد بن الأسود، وهو تابعي جليل، فهل يصح أن يقال: إن التوسل به كان اقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

الحق أقول: إن جريان عمل الصحابة على ترك التوسل بذاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند نزول الشدائد بهم - بعد أن كانوا لا يتوسلون بغيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته- لهو أكبر الأدلة الواضحة على أن التوسل بذاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير مشروع، وإلا لنقل ذلك عنهم من طرق كثيرة في حوادث متعددة، ألا ترى إلى هؤلاء المخالفين كيف يلهجون بالتوسل بذاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأدنى مناسبة لظنهم أنه مشروع، فلو كان الأمر كذلك لنُقِل مثله عن الصحابة، مع العلم أنهم أشد تعظيماً ومحبة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هؤلاء، فكيف ولم يُنقل عنهم ذلك ولا مرة واحدة، بل صح عنهم الرغبة عنه إلى التوسل بدعاء الصالحين؟!

الشبهة الثانية: حديث الضرير:

بعد أن فرغنا من تحقيق الكلام في حديث توسل عمر بالعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

وبينا أنه ليس حجة للمخالفين بل هو عليهم، نشرع الآن في تحقيق القول في حديث الضرير، والنظر في معناه: هل هو حجة لهم أم عليهم أيضـًا؟ فنقول: أخرج أحمد وغيره بسند صحيح عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: «إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخّرتُ ذاك، فهو خير»، وفي رواية: - وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك -، فقال: ادعهُ. فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، فيصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه، فتقضى لي، اللهم فشفّعه فيَّ (وشفّعني فيه). قال: ففعل الرجل فبرأ.

يرى المخالفون: أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل في الدعاء بجاه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو غيره من الصالحين، إذ فيه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم الأعمى أن يتوسل به في دعائه، وقد فعل الأعمى ذلك فعاد بصيراً.

والحقيقة: أن هذا الحديث لا حجة لهم فيه على التوسل المختلف فيه، وهو التوسل بالذات، بل هو دليل آخر على النوع الثالث من أنواع التوسل المشروع...، لأن توسل الأعمى إنما كان بدعائه.

والأدلة على ذلك من الحديث نفسه كثيرة، وأهمها:

١- أولاً: أن الأعمى إنما جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدعو له، وذلك قوله: «**ادعُ الله أن يعافيني**» فهو توسل إلى الله تعالى بدعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنه

يعلم أن دعاءه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه بأن يقول مثلاً: اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن يشفيني، وتجعلني بصيراً. ولكنه لم يفعل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة، يذكر فيها اسم الموسَّل به، بل لابد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة، وطلب الدعاء منه له.

٢- ثانياً: أن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرت فهو خير لك**» وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه - أي عينيه - فصبر، عوضته منهما الجنة».

٣- ثالثاً: إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله: (فادع) فهذا يقتضي أن الرسول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دعا له، لأنه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خير من وفى بما وعد، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق، فقد شاء الدعاء وأصر عليه، فإذن لا بد أنه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دعا له، فثبت المراد، وقد وجه النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الأعمى بدافع من رحمته، وبحرص منه أن يستجيب الله تعالى دعاءه فيه، وجهه إلى

النوع الثاني من التوسل المشروع، وهو التوسل بالعمل الصالح، ليجمع له الخير من أطرافه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالى يقدمها بين يدي دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، وهي تدخل في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ ﴾ [المائدة: ٣٥] وهكذا فلم يكتف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعائه للأعمى الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله سبحانه وتعالى وقربة إليه، ليكون الأمر مكتملاً من جميع نواحيه، وأقرب إلى القبول والرضا من الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا، فالحادثة كلها تدور حول الدعاء - كما هو ظاهر - وليس فيها ذكر شيء مما يزعمون.

وقد غفل عن هذا الشيخ الغماري أو تغافل، فقال في «المصباح» (٢٤): «وإن شئتَ دعوتُ أي وإن شئت علمتك دعاء تدعو به، ولقنتك إياه، وهذا التأويل واجب ليتفق أول الحديث مع آخره» بل هذا التأويل باطل لوجوه كثيرة منها:

أن الأعمى إنما طلب منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو له، لا أن يعلمه دعاء، فإذا كان قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «وإن شئت دعوت» جواباً على طلبه تعين أنه الدعاء له، ولابد، وهذا المعنى هو الذي يتفق مع آخر الحديث، ولذلك رأينا الغماري لم يتعرض لتفسير قوله في آخره: «اللهم فشفعه في، وشفعني فيه» لأنه صريح في أن التوسل كان بدعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .... ثم قال: «ثم لو

سلمنا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا للضرير فذلك لا يمنع من تعميم الحديث في غيره». وهذه مغالطة مكشوفة، لأنه لا أحد ينكر تعميم الحديث في غير الأعمى في حالة دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لغيره، ولكن لما كان الدعاء منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى غير معلوم بالنسبة للمتوسلين في شتى الحوائج والرغبات، وكانوا هم أنفسهم لا يتوسلون بدعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته، لذلك اختلف الحكم، وكان هذا التسليم من الغماري حجة عليه.

٤- رابعـًا: أن في الدعاء الذي علمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياه أن يقول: «**اللهم فشفعه في**» وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو جاهه، أو حقه، إذ أن المعنى: اللهم اقبل شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في، أي اقبل دعاءه في أن ترد عليَّ بصري، والشفاعة لغة الدعاء، وهو المراد بالشفاعة الثابتة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة، وهذا يبين أن الشفاعة أخص من الدعاء، إذ لا تكون إلا إذا كان هناك اثنان يطلبان أمراً، فيكون أحدهما شفيعـًا للآخر، بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره، قال في «لسان العرب»: «الشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره، والشافع الطالب لغيره، يتشفع به إلى المطلوب، يقال: تشفعت بفلان إلى فلان، فشفعني فيه».

فثبت بهذا الوجه أيضـًا أن توسل الأعمى إنما كان بدعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بذاته.

٥- خامساً: إن مما علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأعمى أن يقوله: «وشفعني فيه أي اقبل شفاعتي، أي دعائي في أن تقبل شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي دعاءه في أن ترد علي بصري. هذا الذي لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه. ولهذا ترى المخالفين يتجاهلونها ولا يتعرضون لها من قريب أو من بعيد، لأنها تنسف بنيانهم من القواعد، وتجتثه من الجذور، وإذا سمعوها رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشي عليه. ذلك أن شفاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأعمى مفهومة، ولكن شفاعة الأعمى في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف تكون؟ لا جواب لذلك عندهم البتة. ومما يدل على شعورهم بأن هذه الجملة تبطل تأويلاتهم أنك لا ترى واحداً منهم يستعملها، فيقول في دعائه مثلاً: اللهم شفع فيَّ نبيك، وشفعني فيه.

٦- سادساً: إن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعائه المستجاب، وما أظهره الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنه بدعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره، ولذلك رواه المصنفون في «دلائل النبوة» كالبيهقي وغيره، فهذا يدل على أن السر في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويؤيده كل من دعا به من العميان مخلصاً إليه تعالى، منيباً إليه قد عوفي، بل على الأقل لعوفي واحد منهم، وهذا ما لم يكن ولعله لا يكون أبداً.

كما أنه لو كان السر في شفاء الأعمى أنه توسل بجاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وقدره وحقه، كما يفهم عامة المتأخرين، لكان من المفروض أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين يتوسلون بجاهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل ويضمون إليه أحياناً جاه جميع الأنبياء المرسلين، وكل الأولياء والشهداء والصالحين، وجاه كل من له جاه عند الله من الملائكة، والإنس والجن أجمعين! ولم نعلم ولا نظن أحداً قد علم حصول مثل هذا خلال القرون الطويلة بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليوم.

إذا تبين للقارئ الكريم ما أوردناه من الوجوه الدالة على أن حديث الأعمى إنما يدور حول التوسل بدعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه لا علاقة له بالتوسل بالذات، فحينئذ يتبين له أن قول الأعمى في دعائه: «اللهم إني أسألك، وأتوسل إليك بنبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» إنما المراد به: أتوسل إليك بدعاء نبيك، أي على حذف المضاف، وهذا أمر معروف في اللغة، كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية وأصحاب العير. ونحن والمخالفون متفقون على ذلك، أي على تقدير مضاف محذوف، وهو مثل ما رأينا في دعاء عمر وتوسله بالعباس، فإما أن يكون التقدير: إني أتوجه إليك بجاه نبيك، ويا محمد إني توجهت بذاتك أو مكانتك إلى ربي كما يزعمون، وإما أن يكون التقدير: إني أتوجه إليك بدعاء نبيك، ويا محمد إني توجهت بدعائك إلى ربي كما هو قولنا. ولا بد لترجيح أحد التقديرين من دليل يدل عليه. فأما

تقديرهم (بجاهه) فليس لهم عليه دليل لا من هذا الحديث ولا من غيره، إذ ليس في سياق الكلام ولا سباقه تصريح أو إشارة لذكر الجاه أو ما يدل عليه إطلاقـًا، كما أنه ليس عندهم شيء من القرآن أو من السنة أو من فعل الصحابة يدل على التوسل بالجاه، فيبقى تقديرهم من غير مرجح، فسقط من الاعتبار، والحمد لله.

٧- وثمة أمر آخر جدير بالذكر، وهو أنه لو حمل حديث الضرير على ظاهره، وهو التوسل بالذات لكان معطلاً لقوله فيما بعد: «اللهم فشفعه في، وشفعني فيه» وهذا لا يجوز كما لا يخفى، فوجب التوفيق بين هذه الجملة والتي قبلها. وليس ذلك إلا على ما حملناه من أن التوسل كان بالدعاء، فثبت المراد، وبطل الاستدلال به على التوسل بالذات، والحمد لله.

تنبيه: واعلم أنه وقع في بعض الطرق الأخرى لحديث الضرير زيادتان لا بد من بيان شذوذهما وضعفهما، حتى يكون القارئ على بينة من أمرهما، فلا يغتر بقول من احتج بهما على خلاف الحق والصواب.

الزيادة الأولى: زيادة حماد بن سلمة قال: حدثنا أبو جعفر الخطمي.. فساق إسناده مثل رواية شعبة، وكذلك المتن إلا أنه اختصره بعض الشيء، وزاد في آخره بعد قوله: «وشفع نبيي في رد بصري: وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك» رواه أبو بكر بن أبي خيثمة في (تاريخه)، فقال: حدثنا مسلم بن إبراهيم: حدثنا حماد بن سلمه به.

وقد أعلَّ هذه الزيادة شيخ الإسلام ابن تيمية في «القاعدة الجليلة» (ص١٠٢) بتفرد حماد بن سلمة بها، ومخالفته لرواية شعبة، وهو أجل من روى هذا الحديث وهذا إعلال يتفق مع القواعد الحديثية، ولا يخالفها البتة، وقول الغماري في «المصباح» (ص٣٠) بأن حماداً ثقة من رجال الصحيح، وزيادة الثقة مقبولة، غفلة منه أو تغافل عما تقرر في المصطلح، أن القبول مشروط بما إذا لم يخالف الراوي من هو أوثق منه، قال الحافظ في «نخبة الفكر»: والزيادة مقبولة ما لم تقع منافية لمن هو أوثق، فإن خولف بأرجح، فالراجح المحفوظ، ومقابله الشاذ.

وهذا الشرط مفقود هنا، فإن حماد بن سلمة، وإن كان من رجال مسلم، فهو بلا شك دون شعبة في الحفظ، ويتبين لك ذلك بمراجعة ترجمة الرجلين في كتب القوم، فالأول أورده الذهبي في «الميزان» وهو إنما يورد فيه من تُكُلِّم فيه، ووصفه بأنه (ثقة له أوهام) بينما لم يورد فيه شعبة مطلقاً، ويظهر لك الفرق بينهما بالتأمل في ترجمة الحافظ لهما، فقد قال في «التقريب»: (حماد بن سلمة ثقة عابد أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بآخره) ثم قال: (شعبة بن الحجاج ثقة حافظ متقن، كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال، وذب عن السنة، وكان عابداً).

وإذا تبين لك هذا عرفت أن مخالفة حماد لشعبة في هذا الحديث وزيادته

عليه تلك الزيادة غير مقبولة، لأنها منافية لمن هو أوثق منه فهي زيادة شاذة كما يشير إليه كلام الحافظ السابق في (النخبة) ولعل حماداً روى هذا الحديث حين تغير حفظه، فوقع في الخطأ، وكأن الإمام أحمد أشار إلى شذوذ هذه الزيادة، فإنه أخرج الحديث من طريق مؤمَّل (وهو ابن إسماعيل) عن حماد - عقب رواية شعبة المتقدمة - إلا أنه لم يسق لفظ الحديث، بل أحال به على لفظ حديث شعبة، فقال: (فذكر الحديث) ويحتمل أن الزيادة لم تقع في رواية مؤمل عن حماد، لذلك لم يشر إليها الإمام أحمد كما هي عادة الحفاظ إذا أحالوا في رواية على أخرى بينوا ما في الرواية المحالة من الزيادة على الأولى.

وخلاصة القول: إن الزيادة لا تصح لشذوذها، ولو صحت لم تكن دليلاً على جواز التوسل بذاته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لاحتمال أن يكون معنى قوله: (فافعل مثل ذلك)يعني من إتيانه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في حال حياته، وطلب الدعاء منه والتوسل به، والتوضؤ والصلاة، والدعاء الذي علمه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يدعو به. والله أعلم.

الزيادة الثانية: قصة الرجل مع عثمان بن عفان، وتوسله به صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حتى قضى له حاجته، وأخرجها الطبراني في «المعجم الصغير» (ص١٠٣-١٠٤) وفي «الكبير» (٣/ ٢/ ١/ ١-٢) من طريق عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي

أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف، فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان: ائت الميضأة، فتوضأ، ثم ائت المسجد، فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك عَزَّوَجَلَّ، فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إليَّ حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال، ثم أتى باب عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله عليه، فأجلسه معه على الطنفسة، وقال: حاجتك؟ فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فأتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي، ولا يلتفت إلي حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأتاه ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: فتصبر، فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد، وقد شق علي، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ائت الميضأة، فتوضأ ثم صلِّ ركعتين، ثم ادعُ بهذه الدعوات**» قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا، وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط.

قال الطبراني: «لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد

المكي وهو ثقة، وهو الذي يحدث عنه أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلي، وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي - واسمه عمير بن يزيد - وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة، والحديث صحيح».

لا شك في صحة الحديث، وإنما البحث الآن في هذه القصة التي تفرد بها شبيب بن سعيد كما قال الطبراني، وشبيب هذا متكلم فيه، وخاصة في رواية ابن وهب عنه، لكن تابعه عنه إسماعيل وأحمد ابنا شبيب بن سعيد هذا، أما إسماعيل فلا أعرفه، ولم أجد من ذكره، ولقد أغفلوه حتى لم يذكروه في الرواة عن أبيه، بخلاف أخيه أحمد فإنه صدوق، وأما أبوه شبيب فملخص كلامهم فيه: أنه ثقة في حفظه ضعف، إلا في رواية ابنه أحمد هذا عنه عن يونس خاصة فهو حجة، فقال الذهبي في «الميزان»: (صدوق يغرب، ذكره ابن عدي في «كامله» فقال: له نسخة عن يونس بن يزيد مستقيمة، حدث عنه ابن وهب بمناكير، قال ابن المديني: كان يختلف في تجارة إلى مصر، وكتابه صحيح قد كتبته عن ابنه أحمد. قال ابن عدي: كان شبيب لعله يغلط ويهم إذا حدث من حفظه، وأرجو أنه لا يتعمد، فإذا حدث عنه ابنه أحمد بأحاديث يونس فكأنه يونس آخر. يعني يجوِّد).

فهذا الكلام يفيد أن شبيباً هذا لا بأس بحديثه بشرطين اثنين:

الأول: أن يكون من رواية ابنه أحمد عنه.

والثاني: أن يكون من رواية شبيب عن يونس، والسبب في ذلك أنه كان عنده كتب يونس بن يزيد، كما قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» عن أبيه، فهو إذا حدث من كتبه هذه أجاد، وإذا حدث من حفظه وهم كما قال ابن عدي، وعلى هذا فقول الحافظ في ترجمته من «التقريب»: (لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه، لا من رواية ابن وهب) فيه نظر، لأنه أوهم أنه لا بأس بحديثه من رواية أحمد مطلقـًا، وليس كذلك، بل هذا مقيد بأن يكون من روايته هو عن يونس لما سبق، ويؤيده أن الحافظ نفسه أشار لهذا القيد، فإنه أورد شبيبـًا هذا في (من طعن فيه من رجال البخاري) من «مقدمة فتح الباري» (ص١٣٣) ثم دفع الطعن عنه - بعد أن ذكر من وثقه وقول ابن عدي فيه - بقوله: (قلت: أخرج البخاري من رواية ابنه عنه عن يونس أحاديث، ولم يخرج من روايته عن غير يونس، ولا من رواية ابن وهب عنه شيئـًا).

فقد أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الكلام إلى أن الطعن قائم في شبيب إذا كانت روايته عن غير يونس، ولو من رواية ابنه أحمد عنه، وهذا هو الصواب كما بينته آنفـًا، وعليه يجب أن يحمل كلامه في «التقريب» توفيقـًا بين كلاميه، ودفعـًا للتعارض بينهما.

إذا تبين هذا يظهر لك ضعف هذه القصة، وعدم صلاحية الاحتجاج بها.

ثم ظهر لي فيها علة أخرى وهي الاختلاف على أحمد فيها، فقد أخرج الحديث ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص٢٠٢) والحاكم (١/ ٥٢٦)

من ثلاثة طرق عن أحمد بن شبيب بدون القصة، وكذلك رواه عون بن عمارة البصري ثنا روح ابن القاسم به، أخرجه الحاكم، وعون هذا وإن كان ضعيفًا، فروايته أولى من رواية شبيب، لموافقتها لرواية شعبة وحماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي.

وخلاصة القول: إن هذه القصة ضعيفة منكرة، لأمور ثلاثة:

١- ضعف حفظ المتفرد بها.

٢- والاختلاف عليه فيها.

٣- ومخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث، وأمر واحد من هذه الأمور كاف لإسقاط هذه القصة، فكيف بها مجتمعة؟ ومن عجائب التعصب واتباع الهوى أن الشيخ الغماري أورد روايات هذه القصة في «المصباح» (ص١٢و١٧) من طريق البيهقي في «الدلائل» والطبراني، ثم لم يتكلم عليها مطلقًا لا تصحيحًا ولا تضعيفًا، والسبب واضح، أما التصحيح فغير ممكن صناعة، وأما التضعيف فهو الحق ولكن، ونحو ذلك فعل من لم يوفق في «الإصابة»، فإنهم أوردوا (ص٢١-٢٢) الحديث بهذه القصة، ثم قالوا: وهذا الحديث صححه الطبراني في «الصغير» و«الكبير» وفي هذا القول على صغره جهالات:

أولاً: أن الطبراني لم يصحح الحديث في «الكبير» بل في «الصغير» فقط، وأنا نقلت الحديث عنه للقارئين مباشرة، لا بالواسطة كما يفعل أولئك،

لقصر باعهم في هذا العلم الشريف (ومن ورد البحر استقل السواقيا).

ثانيًا: أن الطبراني إنما صحح الحديث فقط دون القصة، بدليل قوله: ... (قد روى الحديث شعبة... والحديث صحيح) فهذا نص على أنه أراد حديث شعبة، وشعبة لم يرو هذه القصة، فلم يصححها إذن الطبراني، فلا حجة لهم في كلامه.

ثالثًا: أن عثمان بن حنيف لو ثبتت عنه القصة لم يُعَلِّم ذلك الرجل فيها دعاء الضرير بتمامه، فإنه أسقط منه جملة (اللهم شفعه في وشفعني فيه) لأنه يفهم بسليقته العربية أن هذا القول يستلزم أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داعيًا لذلك الرجل، كما كان داعيًا للأعمى، ولما كان هذا منفيًا بالنسبة للرجل، لم يذكر هذه الجملة؟

قال شيخ الإسلام (ص١٠٤): «ومعلوم أن الواحد بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قال: اللهم فشفعه في وشفعني فيه - مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يدعُ له - كان هذا كلامًا باطلاً، مع أن عثمان بن حنيف لم يأمره أن يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا، ولا أن يقول: (فشفعه في)، ولم يأمره بالدعاء المأثور على وجهه، وإنما أمره ببعضه، وليس هناك من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعة، ولا ما يظن أنه شفاعة، فلو قال بعد موته: (فشفعه في) لكان كلامًا لا معنى له، ولهذا لم يأمر به عثمان، والدعاء المأثور عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأمر به، والذي أمر به ليس مأثوراً عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومثل هذا لا تثبت به

شريعة، كسائر ما ينقل عن آحاد الصحابة في حسن العبادات أو الإباحات أو الإيجابات أو التحريمات، إذا لم يوافقه غيره من الصحابة عليه، وكان ما يثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخالفه ولا يوافقه، لم يكن فعله سنة يجب على المسلمين اتباعها، بل غايته أن يكون ذلك مما يسوغ فيه الاجتهاد، ومما تنازعت فيه الأمة، فيجب رده إلى الله والرسول.

ثم ذكر أمثلة كثيرة مما تفرد به بعض الصحابة، ولم يتبع عليه مثل إدخال ابن عمر الماء في عينيه في الوضوء، ونحو ذلك فراجعه.

ثم قال: وإذا كان في ذلك كذلك، فمعلوم أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أنه جعل من المشروع المستحب أن يتوسل بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته من غير أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داعيًا له، ولا شافعًا فيه فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعًا بعد مماته كما كان يشرع في حياته، بل كانوا في الاستسقاء في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوسلون فلما مات لم يتوسلوا به، بل قال عمر في دعائه الصحيح المشهور الثابت باتفاق أهل العلم بمحضر من المهاجرين والأنصار في عام الرمادة المشهور، لما اشتد بهم الجدب حتى حلف عمر: لا يأكل سمينًا حتى يخصب الناس، ثم لما استسقى بالناس قال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. فيسقون. وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة، ولم ينكره أحد مع شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية،

ودعا بمثله معاوية بن أبي سفيان في خلافته، فلو كان توسلهم بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مماته كتوسلهم في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما، ونعدل عن التوسل بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هو أفضل الخلائق، وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟ فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره، وشفاعة غيره، علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل به، لا بذاته».

هذا، وفي القصة جملة إذا تأمل فيها العاقل العارف بفضائل الصحابة وجدها من الأدلة الأخرى على نكارتها وضعفها، وهي أن الخليفة الراشد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان لا ينظر في حاجة ذلك الرجل، ولا يلتفت إليه! فكيف يتفق هذا مع ما صح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الملائكة تستحي من عثمان، ومع ما عرف به رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من رفقه بالناس، وبره بهم، ولينه معهم؟ هذا كله يجعلنا نستبعد وقوع ذلك منه، لأنه ظلم يتنافى مع كماله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

الشبهة الثالثة: قياس الخالق على المخلوقين:

يقول المخالفون، إن التوسل بذوات الصالحين وأقدارهم أمر مطلوب وجائز، لأنه مبني على منطق الواقع ومتطلباته، ذلك أن أحدنا إذا كانت له حاجة عند ملك أو وزير أو مسؤول كبير فهو لا يذهب إليه مباشرة، لأنه يشعر أنه ربما لا يلتفت إليه، هذا إذا لم يرده أصلاً، ولذلك كان من الطبيعي

إذا أردنا حاجة من كبير فإننا نبحث عمن يعرفه، ويكون مقرباً إليه أثيراً عنده، ونجعله واسطة بيننا وبينه، فإذا فعلنا ذلك استجاب لنا، وقضيت حاجتنا، وهكذا الأمر نفسه في علاقتنا بالله سبحانه - بزعمهم - فالله عَزَّوَجَلَّ عظيم العظماء، وكبير الكبراء، ونحن مذنبون عصاة، وبعيدون لذلك عن جناب الله، ليس من اللائق بنا أن ندعوه مباشرة، لأننا إن فعلنا ذلك خفنا أن يردنا على أعقابنا خائبين، أو لا يلتفت إلينا فنرجع بخفي حنين، وهناك ناس صالحون كالأنبياء والرسل والشهداء قريبون إليه سبحانه، يستجيب لهم إذا دعوه، ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا لديه، أفلا يكون الأولى بنا والأحرى أن نتوسل إليه بجاههم، ونقدم بين يدي دعائنا ذكرهم، عسى أن ينظر الله تعالى إلينا إكراماً لهم، ويجيب دعاءنا مراعاة لخاطرهم، فلماذا تمنعون هذا النوع من التوسل، والبشر يستعملونه فيما بينهم، فلم لا يستعملونه مع ربهم ومعبودهم؟

ونقول جواباً على هذه الشبهة: إنكم يا هؤلاء إذاً تقيسون الخالق على المخلوق، وتشبهون قيوم السماوات والأرض، أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، الرؤوف الرحيم بأولئك الحكام الظالمين، والمتسلطين المتجبرين الذين لا يأبهون لمصالح الرعية، ويجعلون بينهم وبين الرعية حجباً وأستاراً، فلا يمكنها أن تصل إليهم إلا بوسائط ووسائل، ترضي هذه الوسائط بالرشاوي والهبات، وتخضع لها وتتذلل، وتترضاها وتتقرب إليها،

فهل خطر ببالكم أيها المساكين أنكم حين تفعلون ذلك تذمون ربكم، وتطعنون به، وتؤذونه، وتصفونه بما يمقته وما يكرهه؟ هل خطر ببالكم أنكم تصفون الله تعالى بأبشع الصفات حين تقيسونه على الحكام الظلمة، والمتسلطين الفجرة، فكيف يسوِّغ هذا لكم دينكم، وكيف يتفق هذا مع ما يجب عليكم من تعظيمكم لربكم، وتمجيدكم لخالقكم؟

ترى لو كان يمكن لأحد الناس أن يخاطب الحاكم وجهاً لوجه، ويكلمه دون واسطة أو حجاب أيكون ذلك أكمل وأمدح له، أم حين لا يتمكن من مخاطبته إلا من خلال وسائط قد تطول وقد تقصر؟

يا هؤلاء إنكم تفخرون في أحاديثكم بعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتمجدونه وتشيدون به وتبينون للناس أنه كان متواضعاً لا يتكبر ولا يتجبر، وكان قريباً من الناس، يتمكن أضعفهم من لقائه ومخاطبته، وأنه كان يأتيه الأعرابي الجاهل الفظ من البادية، فيكلمه دون واسطة أو حجاب، فينظر في حاجته ويقضيها له إن كانت حقاً. ترى هل هذا النوع من الحكام خير وأفضل، أم ذاك النوع الذي تضربون لربكم به الأمثال؟

فما لكم كيف تحكمون؟ وما لعقولكم أين ذهبت، وما لتفكيركم أين غاب، وكيف ساغ لكم تشبيه الله تعالى بالملك الظالم، أم كيف غطى عنكم الشيطان بشاعة قياس الله سبحانه على الأمير الغاشم؟

يا هؤلاء إنكم لو شبهتم الله تعالى بأعدل الناس وأتقى الناس، وأصلح الناس

لكفرتم، فكيف وقد شبهتموه بأظلم الناس، وأفجر الناس، وأخبث الناس؟

يا هؤلاء إنكم لو قستم ربكم الجليل على عمر بن الخطاب التقي العادل لوقعتم في الشرك، فكيف تردى بكم الشيطان، فلم ترضوا بذلك حتى أوقعكم في قياس ربكم على أهل الجور والفساد من الملوك والأمراء والوزراء؟

إن تشبيه الله تعالى بخلقه كفر كله حذر منه سبحانه حيث قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [النحل: ٧٣].

كما نفى سبحانه أي مشابهة بينه وبين أي خلق من مخلوقاته قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] ولكن شر تشبيه أن يشبهه المرء بالأشرار والفجار والفساق من الولاة، وهو يظن أنه يحسن صنعـًا! إن هذا هو الذي يحمل بعض العلماء والمحققين على المبالغة في إنكار التوسل بذوات الأنبياء، واعتباره شركـًا، وإن كان هو نفسه ليس شركـًا عندنا، بل يخشى أن يؤدي إلى الشرك، وقد أدى فعلاً بأولئك الذين يعتذرون لتوسلهم بذلك التشبيه السابق الذي هو الكفر بعينه لو كانوا يعلمون.

ومن هنا يتبين أن قول بعض الدعاة الإسلاميين اليوم في الأصل الخامس عشر من أصوله العشرين: (والدعاء إذا قُرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة) ليس صحيحـًا على

إطلاقه لما علمت أن في الواقع ما يشهد بأنه خلاف جوهري، إذ فيه شرك صريح... ولعل مثل هذا القول الذي يهوِّن من أمر هذا الانحراف هو أحد الأسباب التي تدفع الكثيرين إلى عدم البحث فيه، وتحقيق الصواب في أمره، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى استمرار المبتدعين في بدعهم، واستفحال خطرها بينهم، ولذلك قال الإمام العز بن عبدالسلام في رسالة «الواسطة» (ص٥): «ومن أثبت الأنبياء وسواهم من مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وبين خلقه كالحجَّاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله تعالى حوائج خلقه، وأن الله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألونهم، وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملك حوائج الناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، ولأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب إلى الملك من الطلب، فمن أثبتهم وسائط على هذ الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبَّهون لله، شبهوا الخالق بالمخلوق، وجعلوا لله أنداداً».

الشبهة الرابعة: هل هناك مانع من التوسل المبتدع على وجه الإباحة لا استحباب؟

قد يقول القائل: صحيح أنه لم يثبت في السنة ما يدل على استحباب

التوسل بذوات الأنبياء والصالحين، ولكن ما المانع منه إذا فعلناه على طريق الإباحة، لأنه لم يأتِ نهي عنه؟

فأقول: هذه شبهة طالما سمعناها ممن يريد أن يتخذ موقفاً وسطاً بين الفريقين لكي يرضي كلاً منهما، وينجو من حملاتهما عليه!

والجواب: يجب أن لا ننسى في هذا المقام معنى الوسيلة إذ هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود.

ولا يخفى أن الذي يراد التوصل إليه إما أن يكون دينياً، أو دنيوياً، وعلى الأول لا يمكن معرفة الوسيلة التي توصل إلى الأمر الديني إلا من طريق شرعي، فلو ادعى رجل أن توسله إلى الله تعالى بآية من آياته الكونية العظيمة كالليل والنهار مثلاً سبب لاستجابة الدعاء لرد عليه ذلك إلا أن يأتي بدليل، ولا يمكن أن يقال حينئذ بإباحة هذا التوسل، لأنه كلام ينقض بعضه بعضاً، أنك تسميه توسلاً، وهذا لم يثبت شرعاً، وليس له طريق آخر في إثباته، وهذا بخلاف القسم الثاني من القسمين المذكورين وهو الدنيوي، فإن أسبابه يمكن أن تعرف بالعقل أو بالعلم أو بالتجربة ونحو ذلك، مثل الرجل يتاجر ببيع الخمر، فهذا سبب معروف للحصول على المال، فهو وسيلة لتحقيق المقصود وهو المال، ولكن هذه الوسيلة نهى الله عنها، فلا يجوز اتباعها بخلاف ما لو تاجر بسبب لم يحرمه الله عَزَّوَجَلَّ، فهو مباح، أما السبب المدعى أن يقرب إلى الله وأنه أرجى في قبوله الدعاء، فهذا سبب لا يعرف إلا بطريق

الشرع، فحين يقال: بأن الشرع لم يرد بذلك، لم يجز تسميته وسيلة حتى يمكن أن يقال إنه مباح التوسل به.

وشيء ثان: وهو أن التوسل الذي سلمنا بعدم وروده قد جاء في الشرع ما يغني عنه، وهو التوسلات الثلاثة التي سبق ذكرها في أول البحث، فما الذي يحمل المسلم على اختيار هذا التوسل الذي لم يرد، والإعراض عن التوسل الذي ورد؟ وقد اتفق العلماء على أن البدعة إذا صادمت سنة فهي بدعة ضلالة اتفاقـًا، وهذا التوسل من هذا القبيل، فلم يجز التوسل به، ولو على طريق الإباحة دون الاستحباب.!

وأمر ثالث: وهو أن هذا التوسل بالذوات يشبه توسل الناس ببعض المقربين إلى الملوك والحكام، والله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء باعتراف المتوسلين بذلك، فإذا توسل المسلم إليه تعالى بالأشخاص فقد شبهه عملاً بأولئك الملوك والحكام كما سبق بيانه، وهذا غير جائز.

الشبهة الخامسة: قياس التوسل بالذات على التوسل بالعمل الصالح:

هذه شبهة أخرى يثيرها بعض أولئك المبتدعين زينها لهم الشيطان، ولقنهم إياها حيث يقولون: قد قدمتم أن من التوسل المشروع اتفاقـًا التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح، فإذا كان التوسل بهذا جائزاً فالتوسل بالرجل الصالح الذي صدر منه هذا العمل أولى بالجواز، وأحرى بالمشروعية، فلا ينبغي إنكاره.

والجواب من وجهين:

الوجه الأول: أن هذا قياس، والقياس في العبادات باطل كما تقدم، وما مثل من يقول هذا القول إلا كمثل من يقول: إذا جاز توسل المتوسل بعمله الصالح - وهو بلا شك دون عمل الولي والنبي - جاز أن يتوسل بعمل النبي والولي، وهذا وما لزم منه باطل فهو باطل.

الوجه الثاني: أن هذه مغالطة مكشوفة، لأننا لم نقل - كما لم يقل أحد من السلف قبلنا - أنه يجوز للمسلم أن يتوسل بعمل غيره الصالح، وإنما التوسل المشار إليه إنما هو التوسل بعمل المتوسل الصالح نفسه، فإذا تبين هذا قلبنا عليهم كلامهم السابق فقلنا: إذا كان لا يجوز التوسل بالعمل الصالح الذي صدر من غير الداعي فأولى ثم أولى ألا يجوز التوسل بذاته، وهذا بين لا يخفى والحمد لله.

توجيه بعض ما استدل به المبتدعون من جواز التوسل بالرسول ﷺ مع بيان خطئهم في الاستدلال:

حديث الأعمى الذي صححه الترمذي: «أنه جاء إلى النبي ﷺ فسأله أن يدعو الله أن يرد بصره عليه، فأمره أن يتوضأ فيصلي ركعتين ويقول: اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد، يا نبي الله، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضيها، اللهم فشفعه في فدعا الله، فرد الله عليه بصره».

والجواب عن هذا أن يقال:

أولاً: لا ريب أن الله جعل على نفسه حقاً لعباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم: ٤٧] وكما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۝٥٤﴾ [الأنعام: ٥].

وفي (الصحيحين) أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لمعاذ بن جبل وهو رديفه: يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: حقهم عليه أن لا يعذبهم) فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق.

وقد اتفق العلماء على وجوب ما يجب بوعده الصادق، وتنازعوا: هل يوجب بنفسه على نفسه؟ على قولين. ومن جوز ذلك احتج بقوله سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۝٥٤﴾ [الأنعام: ٥] وبقوله في الحديث الصحيح: «**إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً**» والكلام على هذا مبسوط في موضع آخر.

حديث أبي سعيد: «**أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا**» فهذا الحديث رواه عطية العوفي، وفيه ضعف. لكن بتقدير ثبوته هو من هذا الباب، فإن حق السائلين عليه سبحانه، أن يجيبهم، وحق المطيعين له أن يثيبهم، فالسؤال له، والطاعة سبب لحصول إجابته وإثابته فهو من التوسل

به، والتوجه به، والتسبب به، ولو قدر أنه قسم لكان قسما بما هو من صفاته لأن إجابته وإثابته من أفعاله وأقواله. فصار هذا كقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «**أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**».

ومن هذا الباب: ما يروى عن عبد الله بن جعفر أنه قال: «كنت إذا سألت عليا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ شيئا فلم يعطنيه قلت له: بحق جعفر إلا ما أعطيتنيه فيعطينيه أو كما قال. فإن بعض الناس ظن أن هذا من باب الإقسام عليه بجعفر، أو من باب قولهم: أسألك بحق أنبيائك، ونحو ذلك. وليس كذلك، بل جعفر هو أخو علي، وعبد الله هو ابنه، وله عليه حق الصلة، فصلة عبد الله صلة لأبيه جعفر، كما في الحديث: إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي» ولو كان هذا من الباب الذي ظنوه لكان سؤاله لعلي بحق النبي وإبراهيم الخليل ونحوهما، أولى من سؤاله بحق جعفر، فكان علي إلى تعظيم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحبته وإجابة السائل به أسرع منه إلى إجابة السائل بغيره، لكن بين المعنيين فرق. فإن السائل بالنبي، طالب به متسبب به، فإن لم يكن في ذلك السبب ما يقتضي حصول مطلوبه، ولا كان مما يقسم به لكان باطلا.

وحديث الأعمى لا حجة لهم فيه، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشفاعته، وهو طلب من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء، وقد

أمره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول: «**اللهم شَفِّعْه فيَّ**» ولهذا رد الله عليه بصره لما دعا له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان ذلك مما يعد من آيات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدْعُ لهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله.

ما روي عن مالك في هذا وجوابه:

ثم ذكر حكاية بإسناد غريب منقطع رواها عن غير واحد إجازة، قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهات قال: حدثنا أبو الحسن علي بن فهر، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج، ثنا أبو الحسن عبدالله بن المنتاب، ثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، ثنا ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكـًا في مسجد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله أدب قومـًا فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ٢].

ومدح قومـًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحجرات: ٣].

وذم قومـًا فقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجرات: ٤].

وإن حرمته ميتـًا كحرمته حيـًا. فاستكان لها أبو جعفر، فقال: يا أبا عبد

الله، أستقبل القبلة وأدعو؟ أم أستقبل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [النساء: ٦٤].

وهذه الحكاية منقطعة؛ فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكـًا لا سيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة، وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ثمان وأربعين ومائتين ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه. وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث، كذَّبه أبو زرعة وابن وارة. وقال صالح بن محمد الأسدي: ما رأيت أحدًا أجرأ على الله منه وأحذق بالكذب منه. وقال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بالمقلوبات.

وآخر من روى «الموطأ» عن مالك هو أبو مصعب وتوفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين. وآخر من روى عن مالك على الإطلاق هو أبو حذيفة أحمد ابن إسماعيل السهمي توفي سنة تسع وخمسين ومائتين.

وفي الإسناد أيضـًا من لا يعرف حاله. وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من

أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه، ومحمد بن حميد ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند، فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته!. هذا إن ثبتت عنه، وأصحاب مالك متفقون على أنه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة في الفقه، بل إذا روى عنه الشاميون كالوليد بن مسلم ومروان بن محمد الطاطري ضعفوا رواية هؤلاء، وإنما يعتمدون على رواية المدنيين والمصريين، فكيف بحكاية تناقض مذهبه المعروف عنه من وجوه رواها واحد من الخراسانيين لم يدركه وهو ضعيف عند أهل الحديث.! مع أن قوله: «وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الله يوم القيامة». إنما يدل على توسل آدم وذريته به يوم القيامة.

كما جاءت به الأحاديث الصحيحة حين يأتي الناس يوم القيامة آدم ليشفع لهم، فيردّهم آدم إلى نوح، ثم يردهم نوح إلى إبراهيم، وإبراهيم إلى موسى، وموسى إلى عيسى، ويردهم عيسى إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه كما قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر**».

ولكنها مناقضة لمذهب مالك المعروف من وجوه:

١- أحدها، قوله: «أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله وأدعو!» فقال: «ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم»؛ فإن المعروف عن مالك وغيره من الأئمة وسائر السلف من الصحابة والتابعين

أن الداعي إذا سلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة ويدعو في مسجده، ولا يستقبل القبر ويدعو لنفسه، بل إنما يستقبل القبر عند السلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدعاء له. هذا قول أكثر العلماء كمالك في إحدى الروايتين والشافعي وأحمد وغيرهم.

٢- ومما يوهن هذه الحكاية أنه قال فيها: «ولم تصرفْ وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة». إنما يدل على أنه يوم القيامة يتوسل الناس بشفاعته، وهذا حق كما تواترت به الأحاديث، لكن إذا كان الناس يتوسلون بدعائه وشفاعته يوم القيامة، كما كان أصحابه يتوسلون بدعائه وشفاعته في حياته، فإنما ذاك طلب لدعائه وشفاعته، فنظير هذا - لو كانت الحكاية صحيحة - أن يطلب منه الدعاء والشفاعة في الدنيا عند قبره. ومعلوم أن هذا لم يأمر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا سَنَّهُ لأمته، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين لا مالك ولا غيره من الأئمة، فكيف يجوز أن ينسب إلى مالك مثل هذا الكلام الذي لا يقوله إلا جاهل لا يعرف الأدلة الشرعية ولا الأحكام المعلومة بأدلتها الشرعية، مع علو قدر مالك وعظم فضيلته وإمامته، وتمام رغبته في اتباع السنة وذم البدع وأهلها؟ وهل يأمر بهذا أو يشرعه إلا مبتدع؟ فلو لم يكن عن مالك قول يناقض هذا لعلم أنه لا يقول مثل هذا.

٣- ثم قال في الحكاية: «استقبله واستشفع به فيشفعك الله». والاستشفاع

به معناه في اللغة؛ أن يطلب منه الشفاعة كما يستشفع الناس به يوم القيامة، وكما كان أصحابه يستشفعون به.

ومنه الحديث الذي في «السنن» «أن أعرابياً قال: يا رسول الله! جهدت الأنفس وجاع العيال، وهلك المال، فادْعُ الله لنا فإنا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله». فسبح رسول الله حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، وقال: «**ويحك أتدري ما تقول؟ شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه**».

وذكر تمام الحديث فأنكر قوله: «نستشفع بالله عليك». ومعلوم أنه لا ينكر أن يُسأل المخلوق بالله أو يقسم عليه بالله، وإنما أن يكون الله شافعاً إلى المخلوق، ولهذا لم ينكر قوله: «نستشفع بك على الله»؛ فإنه هو الشافع المشفع.

وهم - لو كانت الحكاية صحيحة - إنما يجيئون إليه لأجل طلب شفاعته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ولهذا قال في تمام الحكاية﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ ﴾ [النساء: ٦٤].

٤- وهؤلاء إذا شرع لهم أن يطلبوا منه الشفاعة والاستغفار بعد موته فإذا أجابهم فإنه يستغفر لهم، واستغفاره لهم دعاء منه وشفاعة أن يغفر الله لهم.

وإذا كان الاستشفاع منه طلب شفاعته، فإنما يقال في ذلك: «استشفعْ به فيشفعه الله فيك» لا يقال: فيشفعك الله فيه وهذا معروف الكلام، ولغة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه وسائر العلماء، يقال: شفع فلان في فلان فشفع فيه.

فالمشفع الذي يشفعه المشفوع إليه هو الشفيع المستشفع به، لا السائل الطالب من غيره أن يشفع له، فإن هذا ليس هو الذي يشفع، فمحمد صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو الشفيع المشفع، ليس المشفع الذي يستشفع به. ولهذا يقول في دعائه: يا رب شفعني، فيشفعه الله فيطلب من الله سبحانه أن يشفعه لا أن يشفع طالبي شفاعته، فكيف يقول: واستشفع به فيشفعك الله؟.

وأيضًا فإنَّ طلب شفاعته ودعائه واستغفاره بعد موته وعند قبره ليس مشروعًا عند أحد من أئمة المسلمين، ولا ذكر هذا أحد من الأئمة الأربعة وأصحابهم القدماء، وإنما ذكر هذا بعض المتأخرين[(١)].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- عمق علم السلف ودقة فهمهم حيث توسلوا التوسل المشروع وعدلوا عن التوسل الممنوع.

٢- أن من مظاهر إجماع السلف على العقيدة: إجماعهم على التوسل المشروع، وعدولهم عن التوسل الممنوع.

٣- فهم السلف الصالح عصمة لمن اعتصم به.

٤- للمبتدعة شبهات حول التوسل البدعي وقد تم تفنيدها ولله الحمد.

❁ ❁ ❁

---

(١) شبهات حول التوسل وردها موقع الدرر السنية على الشبكة.

القاعدة الثالثة:
السلف والتبرك

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: من أهداف القاعدة.

المطلب الثاني: معنى القاعدة.

المطلب الثالث: نماذج من تبرك السلف وادلته

المطلب الرابع: من فوائد القاعدة.

المطلب الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان أن الأصل في هذا الباب أمران:

أ- أن العبادة مبناها على التوقيف، فلا بد من الدليل على أصلها ووصفها.

ب- أصل سد الذريعة فيما قد يفضي إلى المحرم

٢- بيان فهم السلف للتبرك.

٣- بيان التبرك الشرعي والبدعي.

٤- بيان مخالفة الخلف للسلف في باب التبرك.

المطلب الثاني: معنى القاعدة:

أن السلف طبقوا التبرك الشرعي وعدلوا عن التبرك البدعي وهذا فهمهم.

المطلب الثالث: نماذج من فهم السلف للتبرك:

أولا تبركهم التبرك المشروع وهو أنواع:

النوع الأول: فهم السلف للتبرك بالأشخاص:

والكلام عليه من جانبين:

الجانب الأول: فهمهم التبرك بآثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتبرك به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون بأمرين:

الأمر الأول: التبرك المعنوي أي فهمهم التبرك بآثاره المروية أي بطاعته واتباع سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهرا وباطنا هو؛ وجوب التبرك بهذه الآثار؛ إذ أن ذلك هو سبب السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة وقد حث السلف الصالح على اتباع سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما لا مزيد عليه.

الأمر الثاني: التبرك الحسي الذاتي أي فهمهم التبرك بآثاره الجسدية هو: التفريق بين آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي هي جزءٌ منه كنخامته، وشعره، أو ما لامس جسده الشريف الطاهر كماء وضوئه، وملابسه، وبين الأماكن التي جلس عليها أو صلى فيها، أو مرَّ بها:

أما الأول، فقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتبركون بها دون توسع، وربما استمر الأمر على ذلك سنوات معدودات ممن أتى بعدهم، ثم انقرضت الآثار وانقرض تبعًا لذلك هذا التبرك.

ففي صحيح البخاري بسنده عن ابن سيرين قال: «قلت: لعبيدة عندنا من شعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصبناه من قبل أنس، أو من قبل أهل أنس، فقال: لأن أكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها»(١).

وقال البخاري: حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن عثمان بن عبد الله بن وهب قال: «أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء - وقبض إسرائيل ثلاث أصابع - من فضة فيه شعر من شعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان إذا أصاب الإنسان عين، أو شيء بعث إليها مخضبه فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمرا»(٢).

ولما حلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعره في حجة الوداع اقتسموا شعره.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٣٥ برقم: ١٦٨.

(٢) صحيح البخاري ٥/ ٢٢١٠.

وكان إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه[(١)].

فالخلاصة جواز التبرك بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآثاره، كشعره، وملا بسه، ولكن هذا في الوقت الذي توجد فيه آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،أما الآن، فلا يوجد شيء من آثاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما الثاني، فالذي قَصَدَه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصلاة أو الدعاء عنده من الأماكن كمسجد قباء، ومقام إبراهيم، فقصده للصلاة أو الدعاء اقتداءً به، سنةٌ مستحبة، أمَّا التبرك بها فبدعةٌ منكرة.

وأمَّا ما لم يقصده من الأماكن فالصحيح عدم قصد الصلاة عنده إلا إذا وافق ذلك وقت صلاة، أمَّا وجوب المحافظة على الآثار النبوية المكانية لغرض التبرك عندها فلم يقل به أحدٌ من العلماء لا من السلف ولا من الخلف، وفتحه فتح باب شرٍ وفتنة.

الجانب الثاني: **فهمهم التبرك بالصالحين**: أن التبرك بالصالحين غير الأنبياء لا يخلو من أحد حالتين:

الأولى: التبرك المعنوي أي التبرك بمجالستهم، ودعائهم، والاستفادة من علمهم، ودلالتهم على الخير، فهذا مشروع وجائز، وهو الذي تدل عليه الأحاديث وهو ما يسمى تبرك عمل. قال أسيد بن الحصير: «ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري ١/ ٨١ برقم: ١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري ١/ ٦٤ برقم: ٣٣٣ ومسلم ١/ ١٩٢ برقم: ٧٤٤.

والثانية: التبرك الحسي الذاتي أي التبرك بما سوى ذلك، من ذواتهم، وآثارهم، كملابسهم، وفضل طهورهم، وسؤرهم، ومواطنهم، فهذا كله ليس بمشروع وغير جائز. ومما يدل على ذلك:

إجماع الصحابة على ترك التبرك الحسي بأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم.

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بعد موته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه؛ إذ لم يترك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهو أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم علي، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركا تبرك به على أحد تلك الوجوه، أو نحوها، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو إذن إجماع منهم على ترك تلك الأشياء كلها»[(١)].

وهذا ابن بطال من المالكية يعلق على التبرك بشعر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونعله، ويبين الخصوصية فيه، وعدم جواز ذلك من غيره، فيقول: «وأما الشعر فإنما استعمله الناس على سبيل التبرك به من النبي خاصة، وليس

(١) الاعتصام ١/ ٤٨٢.

ذلك من غيره بتلك المنزلة، وكذلك النعلان من باب التبرك أيضا، ليس لأحد في ذلك مزية رسول الله، ولا يتبرك من غيره بمثل ذلك»[(١)].

النوع الثاني: فهم السلف بالتبرك بالأقوال والأفعال وهو تبرك عمل ومعنى:

ومن ذلك: قراءة القرآن، والذكر المشروع من تسبيح وتهليل وغيرهما، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وسائر الطاعات والقرب التي شرعها الله تعالى، وكما شرعها الله تعالى فبها تتنزل البركات، وتطيب الحياة في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وأدلة هذا النوع لا تكاد تحصى كثرة إذ إنها جامعة للدين كله.

النوع الثالث: فهمهم التبرك بالأماكن وهو تبرك عمل ومعنى:

فهم السلف للتبرك بمكة هو: الطواف حولها، والصلاة فيها، واستلام الركن، وتقبيل الحجر الأسود.

والتبرك بالمساجد الأخرى بالصلاة فيها.

النوع الرابع: فهمهم التبرك بالأزمنة وهو تبرك عمل ومعنى:

والأزمنة المباركة:

---

(١) شرح صحيح البخاري (٥/ ٢٦٥).

١- قد تكون في اليوم كالثلث الأخير من الليل قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير الحديث**»[(١)].

٢- وقد تكون في الأسبوع، كيوم الجمعة قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة الحديث**»[(٢)] وفيه ساعة الإجابة.

٣- وقد تكون في الشهر كأيام البيض الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

٤- وقد تكون في السنة كشهر رمضان، وليلة القدر، وعشر ذي الحجة.

النوع الخامس: فهمهم التبرك بالمطعومات.

١- فهمهم التبرك بماء زمزم وهو تبرك عمل وحس:

البركة في ماء زمزم بركة أودعها الله عَزَّوَجَلَّ في الماء ذاته أينما كان، وليست متعلقة فقط في مكان زمزم أو زمان شربه أيام الحج والعمرة، فقد وصفها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسها بقوله: «**إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ**» وفي رواية البزار والطبراني والبيهقي وغيرهم زيادة: «**وشفاء سقم**»[(٣)].

وظاهر الأدلة، إن شاء الله، أن هذه البركة عامة لكل ماء زمزم، سواء

---

(١) أخرجه البخاري ٢/ ٥١٨ برقم: ١١٤٥ ومسلم ٢/ ١٧٥ برقم ١٧٢١.

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ٦ برقم ١٩٢٩.

(٣) انظر: «السنن الكبرى» (٥/ ١٤٧).

الموجود منه في مكة، أو المحمول منه إلى غيرها من البلدان، ولذلك نص غير واحد من أهل العلم على مشروعية نقل ماء زمزم خارج مكة، وبقاء بركته وخاصيته حتى بعد نقله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمَنْ حَمَلَ شَيْئًا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ جَاز فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَحْمِلُونَهُ». وقال السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يذكر على بعض الألسنة أن فضيلته مادام في محله، فإذا نقل يتغير. وهو شيء لا أصل له؛ فقد كتب صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى سهيل بن عمرو: «إن وصل كتابي ليلا: فلا تصبحن، أو نهارا: فلا تمسين، حتى تبعث إلي بماء زمزم». وفيه أنه بعث له مزادتين وكان حينئذ بالمدينة قبل أن يفتح مكة. وهو حديث حسن لشواهده، وكذا كانت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا تحمل وتخبر أنه كان يفعله، وأنه كان يحمله في الأداوي والقرب، فيصب منه على المرضى ويسقيهم، وكان ابن عباس إذا نزل به ضيف أتحفه بماء زمزم. وسئل عطاء عن حمله فقال قد حمله النبي والحسن والحسين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ»(١).

يشهد لعدم اختصاص ما في زمزم من البركة، والشفاء بشربه ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي جمرة الضبعي قال: كنت أجالس ابن عباس بمكة، فأخذتني الحمى، فقال :أبردها عنك بماء زمزم؛ فإن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء**» أو قال: «**بماء زمزم**» شك همام(٢).

---

(١) المقاصد الحسنة، للسخاوي (١/ ٥٦٩).

(٢) أخرجه البخاري ٣/ ١١٩٠ برقم: ٣٠٨٨ ومسلم ٧/ ٢٣ برقم: ٥٨٨١.

كما يشهد له ما أخرجه الفاكهاني من رواية ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: لما حج معاوية، فحججنا معه، فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين، ثم مر بزمزم، وهو خارج إلى الصفا، فقال: انزع لي منها دلوا يا غلام قال: فنزع له منه دلوا، فأتى به فشرب، وصب على وجهه ورأسه وهو يقول: زمزم شفاء، وهي لما شرب له[(١)].

وجاء في حديث ابن عباس؛ رواه الطبراني وغيره بلفظ: خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم؛ فيه طعام من الطعم، وشفاء من السقم[(٢)].

فتبين أنه يشرع الاستشفاء بماء زمزم شربا، واغتسالا، ولا سيما للحمى.

وقد جاء عن الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله قال: ورأيته غير مرة يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه.[(٣)].

وأما ما يفعله بعض الناس من غسل ما يقصد بتكفين الموتى بماء زمزم فلا أصل له. والواجب الاقتصار على ما ورد عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وعن السلف الصالح في هذه المسألة وغيرها. والله أعلم.

٢- فهمهم التبرك بالزيتون بزيته وشجرته قال الله تعالى: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ ﴾ [النور: ٣٥].

(١) أخبار مكة للفاكهاني ٢/ ٣٥.

(٢) رواه عبدالرزاق ٥/ ١١٦ برقم: ٩١١٩ والطبراني في الكبير ١١/ ٩٨ برقم: ١١١٦٦

(٣) رواه الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله ص٤٤٧.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلوا الزيت وادهنوا به لأنها من شجرة مباركة**»[(١)].

٣- فهمهم التبرك بالتمر قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

٤- فهمهم التبرك بالحبة السوداء قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام**»[(٢)]. على غير ذلك من الأعيان المباركة التي جاء في الشرع بيان البركة فيها بأكلها أو بشربها، أو بالأدهان والاستشفاء بها.

ثانيا: إنكارهم التبرك البدعي:

١- قال الأثرم: «رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقومون من ناحية فيسلّمون»[(٣)].

٢- قال ابن قدامة في المغني: «ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تقبيله قال أحمد: ما أعرف هذا»[(٤)].

قال الحافظ «وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح لهذه الأصنام،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٩٧ والترمذي برقم: ١٧٥٢ والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٢.

(٢) أخرجه البخاري برقم: ٥٦٨٨ ومسلم برقم ٢٢١٥.

(٣) المغني ٣/ ٥٥٩ الفروع ٢/ ٥٧٣ وفاء الوفا ٤/ ١٤٠٣.

(٤) المغني ٢/ ٢٩٩.

ثم تبعهم من بعدهم على ذلك». وذكر أنهم كانوا يتبركون بدعاء سواع وغيره من الصالحين ويتمسحون بصورته[١].

٣- وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدثني أبي قال: سمعتُ أبا زيد حمَّاد بن دليل قال لسفيان -يعني ابن عيينة- قال :كان أحدٌ يتمسَّحُ بالقبرِ؟ قال: لا، ولا يلتزمُ القبر[٢].

٤- وقال الشيخ خليل المالكيُّ ت: «روى ابنُ وهبٍ في المختصَرِ قال: سُئِلَ مالكٌ: من أين يقِفُ من أراد التَّسليمَ؟ فقال: مِن عندِ الزاويةِ التي تلي القِبلةَ مِمَّا يلي المِنبرَ، ويَستقبِلُ القبلةَ، ولا أحِبُّ أن يمسَّ القبرَ بيَدِه»[٣].

٥- قال الشيخ خليل المالكيُّ (ت: ٧٧٦هـ) -وهو يوضح ما عليه الإمام مالك-: «ولْيَحذرْ ممَّا يفعلُه بعضُهم من طوافِه بقبره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكذلك أيضًا: تمسُّحهم بالبِناء، ويُلقون عليه مناديلَهم وثيابهم، وذلك كلُّه من البِدَع؛ لأنَّ التبركَ إنما يكون بالاتِّباع له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وما كانتْ عِبادةُ الجاهلية الأصنامَ إلا مِن هذا الباب»[٤].

٦- وقال ابن الحاج مبينا قول مالك: «... فينبه العالم غيره على ذلك ويحذرهم من تلك البدع التي أحدثت هناك فترى من لا علم عنده يطوف

(١) فتح الباري ٨: ٦٦٨ - ٦٦٩.

(٢) الرد على الإخنائي ص٤١٥.

(٣) التوضيح ٢/ ١٠١.

(٤) مناسك الحج للشيخ خليل بن خليل ص١٦٤.

بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام ويتمسح به ويقبله ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم يقصدون به التبرك وذلك كله من البدع؛ لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب ولأجل ذلك كره علماؤنا رحمة الله عليهم التمسح بجدار الكعبة أو بجدران المسجد أو بالمصحف إلى غير ذلك مما يتبرك به سدا لهذا الباب ولمخالفة السنة لأن صفة التعظيم موقوفة عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكل ما عظمه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعظمه ونتبعه فيه فتعظيم المصحف قراءته والعمل بما فيه لا تقبيله ولا القيام إليه كما يفعل بعضهم في هذا الزمان وكذلك المسجد تعظيمه الصلاة فيه لا التمسح بجدرانه وكذلك الورقة يجدها الإنسان في الطريق فيها اسم من أسمائه تعالى أو اسم نبي من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ترفيعه إزالة الورقة من موضع المهانة إلى موضع ترفع فيه لا بتقبيلها وكذلك الخبز يجده الإنسان ملقى بين الأرجل تعظيمه أكله لا تقبيله وكذلك الولي تعظيمه اتباعه لا تقبيل يده وقدمه ولا التمسح به فكذلك ما نحن بسبيله تعظيمه باتباعه لا بالابتداع عنده...»[(١)].

من أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الصافات: ١١٣].

(١)

وقال تعالى حكاية عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [مريم: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١].

وقال تعالى عن المسجد الحرام: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [فصلت: ١٠].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه مسلم قال: «**إنها مباركة، إنها طعام طعم**»(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تسحروا فإن في السحور بركة**»(٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من الشجر لما بركتها كبركة مسلم**»(٣). والحاصل أن الله جعل بركة في كثير من مخلوقاته ولكن التبرك يختلف باختلاف

---

(١) أخرجه مسلم ٧/ ١٥٢ برقم: ٦٥١٣.

(٢) أخرجه البخاري ١/ ٢١٠ برقم: ٥٥٠ ومسلم ٣/ ١٣٠ برقم: ٢٦٠٣.

(٣) أخرجه البخاري ٥/ ٢٠٧٥ برقم: ٥١٢٩.

المتبرك به، ونوع التبرك، فطلب بركة السحور مثلا تكون بالتسحر، وطلب بركة المسجد الحرام، والمسجد الأقصى تكون بالصلاة والعبادة، ... وهكذا. والدليل على أن التبرك بالأشجار والأحجار وبقبور الأولياء والنذر والذبح لها لقضاء الحاجات وتفريج الكربات والتبرك بالعكوف والتعبد عندها والتبرك بأستارها وأترابها شرك قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم: ١٩- ٢٠].

ثالثا: مخالفة الخلف للسلف (التبرك البدعي) ولها صور:

منها:

التبرك بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وله صور:

١- التبرك بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته عند القبر والتمسح بالقبر.

٢- والتبرك بالمواضع التي جلس أو صلى فيها..

٣- التبرك بليلة مولده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- التبرك بليلة الإسراء والمعراج.

٥- التبرك بذكرى الهجرة.

التبرك بالصالحين في حياتهم، وبعد مماتهم ولها صور:

١- التبرك بذوات الصالحين.

٢- التبرك بآثارهم.

٣- التبرك بمواضع عبادتهم، وإقامتهم.

٤- التبرك بقبورهم ولها مظاهر:

أ- دعاء أصحاب القبور، وطلب الحوائج منهم.

ب- أداء بعض العبادات عند قبورهم.

ت- التمسح بالقبور، وتقبيلها.

ث- العكوف عند القبور.

ج- بناء المساجد، والقباب عليها.

ح- التبرك بمواليدهم.

التبرك ببعض الجبال والمواضع ولها صور:

ما يوجد بمكة. ولها مظاهر:

١- منها: التبرك بالتمسح بالكعبة، وما حولها.

٢- ومنها: التبرك بالمساجد.

٣- ومنها: التبرك بالجبال ذكر بعض المؤلفين، ولا سيما المؤرخون أن جبال مكة مباركة يستجاب الدعاء بها.

٤- ومنها: التبرك بالدور: من الناس من يعتقد في بعض الدور الأثرية بمكة شيئا من البركة كدار خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ودار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥- ومنها: التبرك بالمقابر: في مكة مقابر أثرية عديدة أشهرها مقبرة المعلاة (الحجون).

٦- ومنها: المواليد: من المواضيع التي يتبرك بها بعض الناس في مكة ما يعرف بالمواليد مواليد الولادة وأشهرها: موضع مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومولد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ما يوجد بالمدينة: ولها مظاهر:

١- منها: التمسح بالمسجد النبوي وهو من المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها يشرع فيه من العبادات ما يشرع في غيره من المساجد، لا تقبيل شيء منه، ولا استلامه، ولا الطواف به.

٢- ومنها: التمسح بمسجد قباء، فلا يجوز تقبيله، ولا استلامه.

٣- ومنها: المساجد السبعة، فلا يشرع زيارتها فضلا عن تقبيلها، واستلامها والتمسح بها.

٤- ومسجد القبلتين فلا يشرع زيارته فضلا عن التبرك به.

٥- ومنها: الجبال من أشهر جبال المدينة جبل أحد، فلا يجوز التبرك به، ولا التمسح به، ولا تقبيله، ولا الطواف به لأن كل ذلك محدث لم ينقل عن السلف الصالح مع توافر الدواعي على نقله.

٦- ومنها: الآبار لقد استحب بعض العلماء أن يأتي الزائر الآبار التي شرب منه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتبرك بها.

أما قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيشرع زيارته، والدعاء له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يشرع التبرك به بالتقبيل، والاستلام، والتمسح، والدعاء عنده.

وكذلك قبري صاحبيه أبي بكر، وعمر، يشرع زيارتهما، لكن لا يشرع التبرك بهما، والدعاء عندهما، وتقبيلهما، واستلامهما.

٧- ومنها: المقابر كمقبرة البقيع فلا يتبرك بها.

٨- ومنها: مقبرة شهداء أحد، فلا يتبرك بتلك القبور بأي وجه.

ما يوجد بالشام: ولها مظاهر:

١- منها: المسجد الأقصى وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد لها الرحال ولكن لا يشرع التمسح بجدرانه، ولا تقبيله، ولا الطواف به.

٢- ومنها: الصخرة: ولقد كانت الصخرة قبلة اليهود، وكانوا يعظمونه، فجعلها النصارى مزبلة مكافئة لليهود.

٣- ومنها: قصد زيارة مغارة الخليل.

٤- ومنها: التبرك بجامع الأموي بدمشق لا يجوز.

٥- ومنها: التبرك بمسجد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ببرزة.

٦- ومنها: مسجد الطور فلا يشرع زيارة هذه المساجد سوى الأقصى فضلا عن التبرك بها.

٧- ومنها: التبرك بجبل الطور، لا يجوز.

٨- ومنها: التبرك بجبل قاسيون لا يجوز.

٩- ومنها: التبرك بجبل لبنان.

١٠- ومنها: التبرك بالقبور لا شك أن بلاد الشام موطن كثير من الأنبياء

عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ومع كثرة قبور الأنبياء إلا انه لا يقطع بتعيين قبر نبي سوى قبر نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة بالإجماع، وقبر إبراهيم بالشام على قول الجمهور.

١١- ومنها: التبرك بالأشجار لا يجوز.

١٢- ومنها: التبرك بالأحجار، ونحوها.

١٣- ومنها: عدم مشروعية ما يفعله بعض الناس من التمسح بالخطيب بعد الصلاة.

والتزام الكعبة ليس فيه التمسح بحال إنَّما هو إِلْصَاقُ الخَدِّ والصدر واليدين؛ اشتياقًا وأَسَفًا على الفراق تَارَةً، وذُلا لله وخَشْيَةً تارة أخرى.

المطلب الرابع: من فوائد القاعدة:

١- فهم السلف للتبرك المشروع وتطبيقهم لها عمليا.

٢- عدولهم عن التبرك البدعي وإجماعهم على تركه.

٣- مخالفة الخلف للسلف وخرقهم إجماع السلف.

٤- الغلو في الصالحين والتبرك بهم سبب عبادة الأصنام.

٥- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به.

٦- التبرك البدعي على أحوال:

أ- فإذا طلب بركتها وهو يعتقد أنها بتمسحه بها أو تمرغه عليها، أو التصاقه بها تنفعه وتدفع عنه الضر بذاتها فهذا شرك أكبر.

ب- وإن كان يعتقد أنها بتمسحه بها، أو تمرغه عليها، أو التصاقه بها يتوسط له عند الله فهذا اتخاذ إله مع الله.

ت- وإن كان يعتقد أنه سبب لحصول البركة بدون اعتقاد أنها توصل وتقرب إلى الله فهذا محرم بالاتفاق كما حكاه شيخ الإسلام وهو شرك أصغر؛ لأنه ذريعة على الشرك الأكبر.

❋ ❋ ❋

القاعدة الرابعة:
السلف والتفريق بين آثار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف للتفريق بين لآثار النبوية.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- بيان خلط المبتدعة بين الآثار النبوية.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أن السلف الصالح كانوا يفرقون في التبرك بين الآثار التي هي جزء منه أو ما لامس جسده الشريف وبين الآثار التي صلى فيها أو جلس فيها أو مر عليها فيتبركون بالأولى دون الثانية.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة:

الآثار التي تبرك بها السلف:

أولا: يجب أن نعلم أن العلم بها أصبح الآن نظريًا فقط، وليس عمليًا، لأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات، وآثاره قد انتهت ولم يبق منها شيء، فلا نصدق من جاء ببعض الأشياء وقال: هذه من آثار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كالذي يقول إن معه نعال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الذي أتى بعصا وعمامة وقال: هذه عصا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنى لهم ذلك! فآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد انتهت، ولكن هذا من باب بيان جواز التبرك بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما كانت موجودة.

ثانيا: يجوز التبرك بالأمور التي هي جزء منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كشعره، ونخامته، ومخاطه، وبصاقه، وعرقه، وأظفاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما يجوز التبرك بما لامس جسده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كماء وضوئه، وثيابه، وحذائه، وموضع وضع فمه من الإناء، وموضع وضع أصابه من الطعام.

من الأدلة الدالة على جواز التبرك بهذه الأمور:

١- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها»[(١)].

٢- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه في الغداة الباردة، فيغمس يده فيها»[(٢)].

٣- عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وُلِدَ لِي غُلَامٌ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ فَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ وَدَفَعَهُ إِلَيَّ وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِ أَبِي مُوسَى[(٣)].

٤- عن أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين (وفيه) وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم (قال): فأخذت بيده فوضعتها

---

(١) رواه البخاري (٥٠١٦)، ومسلم.(2192) .

(٢) رواه البخاري (٥٠١٦)، ومسلم.(2192) .

(٣) أخرجه البخاري ٧/ ٨١ برقم: ٥٤٦٧.

على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك»[(١)].

٥- وأيضـًا: أبو موسى الأشعري وبلال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا جاءا إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يطلبان البشرى، فبشرهما النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثم دعا بقدح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه، ثم مج في الماء ودعا، ثم قال لهما: اشربا منه واغسلا وجهيكما به، تبركا به صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. وكان إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه[(٢)].

٦- لما حلق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شعره في حجة الوداع اقتسموا شعره.

وأيضـًا: فعله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في غزوة الحديبية، وذلك حين ردوه عن البيت، وكان الموقف موقف إحصار، فإنه دعا الحلاق، فحلق الجانب الأيمن ثم الجانب الأيسر، ثم فرق هذا الشعر على أصحابه أبي طلحة وغيره من أصحابه يتبركون به، وقد بقيت شعرة واحدة مع الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُٱللَّهُ، وكان دائمـًا يتبرك بها، ويجعلها تحت عينيه، ويجعلها على لسانه، ويجعلها على بطنه؛ لأنه يعلم أنها شعرة من شعر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ تبركـًا بأثر من آثار رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وفي صحيح البخاري بسنده عن ابن سيرين قال: «قلت: لعبيدة عندنا من شعر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أصبناه من قبل أنس، أو من قبل أهل أنس، فقال:

---

(١) رواه البخاري (٣٥٥٣).

(٢) أخرجه البخاري ١/ ٨١ برقم: ١٨٦.

لأن أكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها»[(١)].

٧- وفي حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما نزل عنده النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في رحلة الهجرة قال: «فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ طَعَامًا فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ، فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ»[(٢)].

٨- وعن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ، فَلَمَّا قُبِضَت قَبَضْتُهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَلْبَسُهَا، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا»[(٣)]. وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: «أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا كِسَاءً مُلَبَّدًا، وَقَالَتْ: فِي هَذَا نُزِعَ رُوحُ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»[(٤)].

٩- وروى فيه عن عيسى بن طهمان، قال: «أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسٌ نَعْلَيْنِ جَرْدَاوَيْنِ لَهُمَا قِبالانِ، فَحَدَّثَنِي ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ بَعْدُ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُمَا نَعْلاَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»[(٥)].

١٠- وعَنْ عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَنَّ قَدَحَ

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٣٥ برقم: ١٦٨.

(٢) أخرجه مسلم ٦/ ١٢٦ برقم: ٥٤٠٨.

(٣) المرجع السابق ٦/ ١٣٩ برقم: ٢٠٦٩.

(٤) المرجع السابق حديث رقم: ٣١٠٨.

(٥) المرجع السابق حديث رقم: ٣١٠٧.

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْكَسَرَ، فَاتَّخَذَ مَكَانَ الشَّعْبِ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ». قَالَ عَاصِمٌ: «رَأَيْتُ القَدَحَ وَشَرِبْتُ فِيهِ»[(١)].

كما عقد البخاري في «صحيحه» باباً بعنوان: «باب الشرب من قدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآنيته»، وروى تحته قول أبي بُرْدَةَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ: «أَلاَ أَسْقِيكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ»[(٢)].

وحديث قدح سهل بن سعد الذي شرب فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ عُمَرُ بْنُ عبدالعزيز بَعْدَ ذَلِكَ فَوَهَبَهُ لَهُ**». والله أعلم[(٣)]

وقال البخاري: حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن عثمان بن عبدالله بن وهب قال: «أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء - وقبض إسرائيل ثلاث أصابع - من فضة فيه شعر من شعر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان إذا أصاب الإنسان عين، أو شيء بعث إليها مخضبه فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمرا»[(٤)].

وروى البخاري عن أبي حازم عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أقبل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... حتى جلس في سقيفة بني ساعدة وأصحابه ثم قال:

---

(١) المرجع السابق حديث رقم: ٣١٠٩.

(٢) المرجع السابق ٧/ ١١٢.

(٣) المرجع السابق حديث رقم: ٥٦٣٧.

(٤) صحيح البخاري ٥/ ٢٢١٠.

«اسقنا يا سهل». فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه. قال: فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه، قال: ثم استوهبه عمر بن عبدالعزيز فوهبه له».

١١- التبرك بمنبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الذي عليه الصحابة وجمهور التابعين فمن بعدهم أنه لا يتمسح بالمنبر ولا بالرمانة التي كانت على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهناك حادثة طريفة تتعلق بمس المنبر وهي: أن الإمام مالك كان يتمنى لقاء عطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ اللَّهُ والسماع منه فلما قدم عطاء المدينة رآه الإمام مالك يتمسح بالمنبر فلم يسمع منه وتعجب من فعله.

عموماً: التمسح بالرمانة والمنبر إنما جوزه من جوزه من العلماء لأنه من آثار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحسية وهي الآن غير موجودة ولا يوثق بشيء موجود من ذلك وقد احترق المنبر، فلم يكن هناك مجال للتبرُّك بشيء مسَّه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء(١) وقال: «فقد رخَّص أحمد وغيرُه في التمسح بالمنبر والرمانة، التي هي موضع مقعد النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويده، ولَم يرخِّصوا في التمسح بقبره».

ثالثا: التبرك الممنوع: تركوا التبرك بالأماكن التي جلس فيها، أو صلى فيها، أو مر عليها، أو الآبار التي شرب منها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما عدا بئر زمزم أو اغتسل منها، لا تقصد تبركاً واستشفاء.

---

(١) (٢/ ٢٤٤-٢٤٥).

من الأدلة الدالة على عدم جواز التبرك بالآثار المكانية:

١- السنة التقريرية حيث إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقر الصحابة على ترك التبرك بالآثار المكانية.

٢- لا يوجد دليل من النصوص الشرعية يفيد جواز تتبع الآثار التي لم تأت فيها السنة. ولا شك أن الجلوس في تلك المواضع للصلاة أو الدعاء أو الذكر ونحو ذلك قربة وتبركًا من أنواع العبادة، والعبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع.

٣- فهم السلف الصالح لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم ينقل عن أحد منهم أنه تبرك بشيء من المواضع التي جلس فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو البقع التي صلى عليها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اتفاقًا، لا قصدا (لم تأت فيها السنة)، مع أنهم أحرص الأمة على التبرك بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع علمهم بتلك المواضع، وشدة محبتهم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمهم له، واتباعهم لسنته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجًا وعماراً ومسافرين، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحبًا لكانوا إليه أسبق، فإنهم أعلم بسنته، وأتبع لها من غيرهم»[(١)].

---

(١) سبق توثيقه ص ٢٣٨.

٤- نهي السلف الصالح عن هذا التبرك قولاً وفعلاً.

لقد أنكر هذا التبرك السلف الصالح رحمهم الله، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

وكان على رأس هؤلاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الخليفة الراشد.

فعن المعرور بن سويد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «خرجنا مع عمر بن الخطاب، فعرض لنا في بعض الطريق مسجد، فابتدره الناس يصلون فيه، فقال عمر: ما شأنهم؟ فقالوا: هذا مسجد صلى فيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال عمر: أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا، حتى أحدثوها بِيَعاً، فمن عرضت له فيه صلاة فليصل، ومن لم تعرض له فيه صلاة فليمض»[(١)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقاً على هذه القصة: «لما كان النبي لم يقصد تخصيصه بالصلاة فيه، بل صلى فيه لأنه موضع نزوله، رأى عمر أن مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليس متابعة، بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها، ونهى المسلمين عن التشبه بهم في ذلك، ففاعل ذلك متشبه بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصورة، ومتشبه باليهود والنصارى في القصد، الذي هو عمل القلب وهذا هو الأصل، فإن المتابعة في السنة أبلغ من المتابعة في صورة العمل»[(٢)] اهـ.

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢٨١.

وورد في قصة أخرى أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلغه أن ناساً يأتون الشجرة التي بويع تحتها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمر بها فقطعت.

هذا قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفعله، الذي قال عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

وقد قال ابن وضاح القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن روى هاتين القصتين: «وكان مالك بن أنس، وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما عدا قباء وأحداً»[(١)].

ثم قال: «وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس، فصلى فيه، ولم يتبع تلك الآثار، ولا الصلاة فيها، وكذلك فعل غيره أيضاً ممن يقتدى به، وقدم وكيع أيضاً مسجد بيت المقدس فلم يعد فعل سفيان»[(٢)].

٥- أن منع هذا التبرك من باب سد الذريعة، ويمكن إيضاح ذلك من عدة وجوه:

أحدها: أن النهي عن هذا الفعل سد لذريعة الشرك والفتنة، فهو وسيلة إلى الفتنة بتلك المواضع، وتعظيمها، وربما أفضى ذلك إلى جعلها معابد.

الثاني: أن ذلك الفعل يشبه الصلاة عند المقابر؛ إذ هو ذريعة إلى اتخاذ

---

(١) سبق توثيقه ص ٢٤١.

(٢) سبق توثيقه ص ٢٤٢.

تلك الآثار مساجد. والنصوص الشرعية تحرم اتخاذ قبور الأنبياء مساجد ... مع أنهم مدفونون فيها، وهم أحياء في قبورهم؛ فما بالك بالمواضع الأخرى لهم.

الثالث: أن هذا الفعل ذريعة إلى التشبه بأهل الكتاب في أفعالهم، كما حذر عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الوجه الخامس: أن بركة ذوات الأنبياء والمرسلين لا تتعدى إلى الأمكنة الأرضية، والله أعلم، وإلا لزم أن تكون كل أرض وطئها النبي، أو جلس عليها، أو طريق مر بها تطلب بركتها، ويتبرك بها، وهذا لازم باطل قطعًا، فانتفى الملزوم إذاً.

مخالفة الخلف للسلف:

وقد خلط الخلف بين الآثار النبوية فجوز التبرك بالآثار جميعها حتى زعم البوطي إجماع العصور الثلاثة وما بعدها على التبرُّك بآثار النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المكانيَّة، كمكان مولدِه وبئر أريس التي سقط فيها خاتَمُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحو ذلك، ولكن لا يتأتَّى له إثبات هذا الإجماع، بل ولا إثبات القول به عن واحدٍ من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ!

وأيُّ إجماعٍ يُزعمُ من الصحابة ومَن بعدهم على ذلك، وقد جاء عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الأمر بقطع شجرة بيعة الرضوان في الحديبية قرب مكة، وجاء عنه أيضـًا التحذيرُ من التعلُّق بمثل هذه الآثار، وقال:

«إنَّما هلك مَن كان قبلكم أنَّهم اتَّخذوا آثار أنبيائهم بِيَعـًا»؟! كما مَرَّ ثبوت

ذلك عنه في مصنَّفي عبدالرزاق وابن أبي شيبة(١).

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- آثار النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الآثار المروية، وهي حديثه وسنَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا القسم تجب المحافظة عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي**» الحديث، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**»(٢).

الثاني: الآثار المكانية، وهذا القسم يؤخذ منه بما ثبتت به السنَّة، كالصلاة في مسجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي مسجد قباء؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُشدُّ الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى**»(٣)، واللفظ له عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام**»(٤).

---

(١) سبق توثيقه ص ٢٦٢.

(٢) أخرجه مسلم ٧/ ٩١ برقم ٦١٨٤.

(٣) رواه البخاري (١١٨٩) ومسلم (١٣٩٧).

(٤) رواه البخاري (١١٩٠) ومسلم (١٣٩٤).

ولقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصلاة في مسجد قباء كعمرة**»[(١)].

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من تطهَّر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاةً، كان له كأجر عمرة**»[(٢)].

و«**كان النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي مسجد قباء كلَّ سبت ماشيًا وراكبًا فيصلي فيه ركعتين**»[(٣)].

وأمَّا المساجد والأماكن التي لَم ترِد فيها سُنَّةٌ عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتُترك ولا تُقصَد، وهو الذي يُفيده نهيُ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن قصد الصلاة في المسجد الذي بين مكة والمدينة، كما في الأثر الذي ذكرته عنه قريبًا، وإنَّما جاء النهي عن التعلق بالآثار المكانية غير الشرعية؛ لأنَّه وسيلة إلى الشرك.

وسدُّ الذرائع التي تؤدِّي إلى محذور أصلٌ من أصول الشريعة، ومقصَدٌ من مقاصدها، وقد أورد ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين[(٤)] وما بعدها تسعة وتسعين دليلاً من أدلَّة سدِّ الذرائع، ومنها قوله في (ص:١٥١): «الوجه الثالث عشر: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن بناء المساجد على القبور، ولَعَن مَن فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد، وعن

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٤) وابن ماجه (١٤١١) عن أسيد بن ظهير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) رواه ابن ماجه (١٤١٢) عن سهل بن حنيف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (١١٩٣) ومسلم (١٣٩٩) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٤) (٣/ ١٤٧).

الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأَمَرَ بتسويتها، ونهى عن اتخاذها عيداً، وعن شدِّ الرحال إليها؛ لئلاَّ يكون ذلك ذريعةً إلى اتخاذها أوثانـًا والإشراك بها، وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده، بل قصد خلافَه سدًّا للذريعة».

الثالث: الآثار الجسدية، والمراد بها ما كان جزء من جسده أو مسَّه جسدُه ﷺ، فهذه التبرُّك بها سائغ، وقد تقدَّم الكلام فيها قريبـًا، وقد ظفر بذلك الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، ومَن وصلَه شيءٌ منها من التابعين ومَن بعدهم، وبعد ذلك انقرضت، ولَم يكن لها وجود على الحقيقة، ولا مجال للتعلق بها.

وأيضـًا أنَّ هذا من خصائصه؛ لِمَا جعل الله فيه من البركة، وغيرُه ﷺ لا يُقاس عليه، ولهذا لَم يفعل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم مثلَ ذلك مع خيارهم، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، لا في حياته ولا بعد وفاته ﷺ، وقد أشار إلى هذا الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ، حيث عقد «باب صبِّ النَّبيِّ ﷺ وَضوءَه على مغمى عليه»، وساق الحديث (١٩٤) عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «جاء رسول الله يعودني وأنا مريض لا أعقل، فتوضَّأ وصبَّ عليَّ من وَضوئه، فعقلت، فقلت: يا رسول الله! لِمَن الميراث، إنَّما يرثني كلالة؟ فنزلت آية الفرائض».

فتعبيره رَحِمَهُ اللهُ في الترجمة بـ«صبِّ النَّبيِّ ﷺ وَضوءه على مغمى

عليه» إشارة إلى أنَّه من خصائصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا لم يقل: باب صبِّ الإمام أو العالِم أو الكبير أو الزائر وَضوءه على مغمى عليه.

وقد ذكر الشاطبي[1]: «أنَّه ثبت في الصحاح عن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أنَّهم يتبرَّكون بأشياء من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي البخاري عن أبي جُحيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خَرَج علينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهاجرة، فأُتي بوَضوئه فتوضَّأ، فجعل الناسُ يأخذون من فضل وَضوئه فيتمسَّحون به، الحديث، وفيه: كان إذا توضَّأ يقتتلون على وَضوئه، وعن المِسْوَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديث الحديبية: «وما انتخم النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نخامة إلاَّ وقعت في كفِّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلدَه»»، ثم قال: «فالظاهر في مثل هذا النوع أن يكون مشروعـًا في حقِّ مَن ثبتت ولايته واتِّباعه لسنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يتبرَّك بفضل وَضوئه، ويتدلَّك بنخامته، ويُستشفى بآثاره كلِّها، ويُرجى نحو مِمَّا كان في آثار المتبوع الأصل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

٢- الأثار النبوية التي يتبرك بها هي التي جاءت السنة بمشروعية التبرك بها فقط.

٣- خلط المبتدعة بين الأمور المتباينة في التبرك وغيره.

(١) كتاب الاعتصام (٢/ ٦).

(٢) انظر التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة للعلامة عبد المحسن بن حمد بن عبدالمحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر ص١٦ وما بعده.

٤- أن التبرك بالآثار النبوية في الوقت التي توجد فيه آثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥- تسوية المبتدعة بين التبرك والتوسل وزعمهم أن التوسل بذاته جائز كجواز التبرك بفضلاته.

كما زعموا أن مناط التوسل به هو كونه أفضل الخلائق عند الله على الإطلاق.

❀ ❀ ❀

القاعدة الخامسة:
السلف والتفريق بين التعبد للّه والتبرك البدعي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف للتفريق بين التعبد لله والتبرك البدعي.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- بيان خلط المبتدعة بين الأمور المتباينة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أن السلف الصالح يفرقون بين التعبد لله والتبرك الممنوع

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة:

النماذج:

١- أن السلف كانوا يصلون في المسجد الحرام تعبدا لله، لا تبركا التبرك البدعي بدليل أنهم ما كانوا يتمسحون بالمسجد الحرام.

٢- أن السلف كانوا يطوفون بالكعبة تعبدا لله، لا تبركا التبرك البدعي بدليل أنهم ما كانوا يتمسحون بالكعبة، بل إن التمسح بجدران الكعبة في غير الركنين اليمانيين، لا يعرف عن أحد من الأئمة المتبوعين، ولا روي فيه شيء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا عن أحد من أصحابه، بل الثابت عنهم يفيد خلاف ذلك، وكذلك الحال في مقام إبراهيم، وغيره مما يُعظَّم في الحرم؛ وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم المنع من تقبيل جوانب الكعبة، غير الركنين اليمانيين، عن عامة السلف، وإجماع الأئمة الأربعة، فقال: قد ثبت باتفاق أهل العلم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حج البيت، لم يستلم من الأركان، إلا الركنين اليمانيين، فلم يستلم الركنين

الشاميين، ولا غيرهما من جوانب البيت، ولا مقام إبراهيم، ولا غيره من المشاعر، وأما التقبيل، فلم يقبل إلا الحجر الأسود[(١)].

٣- كان السلف يقبلون الحجر الأسود ويستلمون الركن اليماني تعبدا لله، لا تبركا التبرك البدعي بدليل قول عمر بحضرة باقي الصحابة: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبلك ما قبلتك»[(٢)].

٤- أنهم يصلون خلف المقام تعبدا لله، لا تبركا التبرك البدعي بدليل قولهم: «إنما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بالتمسح به»[(٣)].

٥- كانوا يصلون في المسجد النبوي تعبدا لله، لا تبركا التبرك البدعي؛ بدليل أنهم لم يكونوا يتمسحون به.

٦- كانوا يصلون في مسجد قباء تعبدا لله، لا تبركا التبرك البدعي بدليل أنهم ما كانوا يتمسحون بجدران المسجد.

٧- أنهم يصلون في المسجد الأقصا تعبدا لله، لا تبركا التبرك البدعي بدليل أنهم لم يكونوا يتمسحون به.

٨- أن السلف كانوا يزورون القبور تعبدا لله، لا تبركا التبرك البدعي بدليل أنهم حذروا من مس القبر النبوي فضلا عن التمسح والتبرك. والأمثلة كثيرة.

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٢٣٥.

(٢) سبق تخريجه ص٢٤٤.

(٣) سبق توثيقه ص٢٤٥.

من أدلة القاعدة:

١- السنة التقريرية حيث أقر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة على التفريق بين التعبد والتبرك الممنوع.

٢- فهم السلف الصالح حيث أجمعوا على التفريق بينهما.

خلط المبتدعة بين التعبد والتبرك:

وأما الخلف؛ فإنهم يخلطون بين التبرك والتعبد فتراهم يتمسحون بالكعبة، وبالمقام، وبالمسجد الحرام، وبالمسجد النبوي، وبمسجد قبا وغيرها.

المطلب الرابع: من فوائد القاعدة:

١- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به

٢- إجماع السلف على التفريق بين التعبد والتبرك.

٣- انحراف المبتدعة وخلطهم بين الأمور المختلفة.

❋ ❋ ❋

القاعدة السادسة:
السلف والتفريق بين الاتباع والتبرك

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف للتفريق بين الاتباع والتبرك.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- بيان خلط المبتدعة بين الأمور المتباينة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أن السلف الصالح كانوا يفرقون بين الاتباع والتبرك.

أولا: من نماذج ذلك: استلام الركن اليماني وتقبيل الحجر الأسود اقتداء بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا تبركا قال عمر: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبلك ما قبلتك»[(١)].

ثانيا: تتبع ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مواضع صلاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اقتداء وتأسيا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا تبركا بدليل:

١- أنه لم يرد لا من قريب ولا من بعيد في أحاديث تتبع ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مواضع صلاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يشير إلى أنه يتتبعها للتبرك.

٢- ما أفتى به ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قزعة بن يحيى لما أراد الذهاب إلى الطور، فقال له: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» دع عنك الطور لا تأته[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٤٤، ٤٢٣.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٤١.

٣- وما رواه عُبَيْدُ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ يكرَهُ مَسَّ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)].

٤- كان عبد الله بن عمر لا يتردد على قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما دخل المسجد النبوي ليسلم عليه؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...**لا تجعلوا قبري عيدا**».

٥- كان عبد الله بن عمر إذا أراد سفرا أو قدم من سفر سلم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أبي بكر، وعلى أبيه ثم ينصرف ولا يطيل القيام والدعاء عند القبر، وكره مس القبر فضلا عن التمسح والتبرك به وإليك الروايات:

أ- عن عبدالله بن دينار قال رأوا ابن عمر إذا قدم من سفر دخل المسجد فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام على أبي بكر، السلام على أبي، ويصلى ركعتين[(٢)].

ب- وفي رواية عنه أنه قال: «رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[(٣)].

ت- وفي المصنف لابن أبي شيبة بسنده عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا أراد أن يخرج دخل المسجد فصلى ثم أتى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٦٩.

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي (ص ٤١) ح ٩٩ وقال الألباني: إسناده موقوف صحيح.

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي (ص ٤١) ح ٩٨ وقال الألباني: إسناده موقوف صحيح وهو في الموطأ ح ٣٩٧ برواية يحي بن يحيى الليثي بهذا اللفظ، ومن طريقه رواه البيهقي (٥/ ٢٤٥).

السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه ثم يأخذ وجهه، وكان إذا قدم من سفر يفعل ذلك قبل أن يدخل منزله[(١)].

ث- وفي المصنف لعبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه.

قال معمر: فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر فقال: «لا نعلم أحدا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل ذلك»[(٢)].

٦- كان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا يتتبع كل المواضع التي صلى فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عهده المكي أو المدني في بيوته أو خارج بيوته، أو جلس فيها، أو مر عليها، أو نام فيها، أو الغار الذي دخل فيها ﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠] أو غار حراء الذي كان يتحنث فيه، ولم يطلب مكان الشجرة التي بويع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحتها بيعة الرضوان، ولا المواضع التي وقعت عليها الغزوات، كغزوة بدر، وأحد، والأحزاب، أو غيرها من آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإنما يتتبع المواضع التي صلى فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طريقه إلى مكة ويدل على ذلك تبويب الإمام البخاري والأحاديث التي ساقها تحت الباب

---

(١) المصنف (٣/ ٣٤١).

(٢) المصنف لعبدالرزاق (٣/ ٥٧٦) ح ٦٧٢٤.

المذكور، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بَاب الْمَسَاجِدِ الَّتِي عَلَى طُرُقِ الْمَدِينَةِ وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ثم ساق أحاديث كلها مطابقة للباب أي في طرق المدينة فقط وهذا يدل على أنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كان لا يعظم آثار الأنبياء ولا يتبرك بها ومن هنا كره عالم المدينة وإمامه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إتيان تلك المساجد: قال محمد بن وضاح: «وكان مالك بن أنس، وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما عدا قباء، وأحدا»(١).

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «روى أشهب عن مالك أنه سئل عن الصلاة في المواضع التي صلى فيها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما يعجبني ذلك إلا مسجد قباء»(٢).

٧- وقال ابن خزيمة: «باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا استنانًا بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ في الاقتداء به الخير الذي لا يعتاض منه أحد ترك الاقتداء به»(٣).

ثالثا: تحري بعض الصحابة الأسطوانات التي كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحرى الصلاة عندها مبالغة في الاقتداء، لا تبركا.

---

(١) البدع والنهي عنها ص٢٦.

(٢) شرح البخاري ٣/ ١٥٩.

(٣) صحيح ابن خزيمة ٤/ ٢٠٤.

رابعا: ركعتا الطواف خلف المقام اقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا تبركا لقول قتادة: «إنما أمروا بالصلاة عنده، ولم يؤمروا بالتمسح به».

خامسا: الصلاة في مسجد قباء اقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا تبركا.

سادسا: الصلاة في المسجد الأقصا اقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تبركا.

سابعا: وثبَتَ عن سَلمةَ بنِ الأكوعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يَتحرَّى المكانَ الذي كان يُصلِّي فيه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المِنبَرِ والقِبلة؛ اقتداءً بتحرِّي النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من جِنس الصلاةِ خَلْفَ مقامِ إبراهيم، أو في مسجِدِ قُباءٍ. بدليل أنَّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابةِ كذلك، ما كانوا يَتحرَّون كلَّ بقعةٍ صلَّى فيها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما كانوا يَتحرَّون ما كان يتحرَّاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي الصَّحيحَينِ عن يَزيدَ بن أبي عُبَيدٍ، عن سَلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه كان يَتحرَّى موضِعَ مكان المصحَفِ يُسبِّحُ فيه، وذكر أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يَتحرَّى ذلك المكانَ.

وفي رِوايةٍ في الصحيحِ أيضًا، قال يَزيدُ: كان سلمةُ يَتحرَّى الصلاةَ عند الأُسطوانة التي عند المصحف، فقلت له: يا أبا مُسلمٍ، أراكَ تَتحرَّى الصلاةَ عند هذه الأُسطوانةِ؟ قال: «رأيتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحرَّى الصلاةَ عِندَها»ا.هـ.

تعليق شيخ الإسلام على حديثِ سَلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقولِه: «وقد كان سلمةُ بنُ الأكوع يتحرَّى الصلاةَ عند الأُسطوانة، قال: لأنِّي رأيتُ رسولَ الله

صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يتحرَّى الصلاةَ عندها، فلمَّا رآه يَقصِد تلك البُقعةَ لأجْلِ الصَّلاةِ، كان ذلك القصدُ للصلاةِ مُتابعةً»(١).

ثامنا: حديث عتبان فعتبان قصده الاقتداء، لا التبرك يدل عليه أمور:

أ- أن عمر ممن ذهب إلى بيت عتبان ومع ذلك فقد أنكر على الذين يتتبعون آثار النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ب- أهلُ بيت عِتبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يُنقلْ عنهم أنهم كانوا يتبركون بموضع صلاة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا أحدٌ من الصحابة تبِعَه في ذلك، وطلَب من النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما طلَبَه عِتبان مع أنَّ فيهم مَن هو أفضلُ وأحرصُ على الاقتداءِ بسُنَّة النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ منه كأبي بَكرٍ وعُمرَ وغيرهما.

تاسعا: مما يدل على أنهم لا يتبركون بالأماكن التي صلى فيها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه لم يُنقَلْ عنهم حِرصُهم على التنفُّل في مِحرابه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

عاشرا: نساؤُه -رضِي اللهُ عنهنَّ- في بُيوتِه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يُنقلْ عنهنَّ أنهنَّ كُنَّ يتبركن في مواضع صلاة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

من أدلة القاعدة:

١- السنة التقريرية حيث أقرهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على التفريق بين الاتباع والتبرك.

٢- فهم السلف الصالح حيث أجمعوا على هذا التفريق.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٦٧).

مخالفة الخلف للسلف:

فقد خالف المبتدعة السلف وخلطوا بين الاتباع والتبرك. قالوا: عرف من صنيع بن عمر استحباب تتبع آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتبرك بها. قال السندي: وهذا أصل كبير في تتبع آثار الصالحين، والتبرك بها، والعبادة فيها.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به.

٢- عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- منشأ الخلاف بين عبد الله بن عمر، وبين سائر الصحابة في تتبع المواضع التي صلى فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتفاقا، لا قصدا هو: هل يقتدى بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأماكن التي صلى فيها اتفاقا أم لا، وليس الخلاف بينهم في باب تعظيم آثار الأنبياء، ولا التبرك بها؛ لأنهم مجمعون على التحذير من تعظيم آثار الأنبياء والتبرك بها.

٤- عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اجتهد في هذه المسألة، والمجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد ولا شك أن سنة جماهير الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة أقرب إلى الصواب وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**» وسنة الخلفاء الراشدين في هذه المسألة عدم جواز تتبع آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأن المتابعة هي أن نفعل كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على

الوجه الذي فعل، فلا بد إذاً أن نشاركه في القصد والنية، فإنما الأعمال بالنيات، فإذا قصد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، العبادة بالعمل فقَصَدْنا العبادة كنا متبعين متأسين به، وأما إذا لم يقصد به العبادة، بل فعله على وجه الاتفاق لتيسره عليه، فإذا قصدنا العبادة له لم نكن متبعين له.

ولكن ههنا تنبيه وهو: أن ترجيح سنة جماهير الصحابة لا يعني تبديع الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، بل لا ينقص من قدره شيء.

٥- من شبهات المبتدعة على التبرك البدعي تتبع عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الآثار النبوية اتباعا، لا تبركا.

٦- عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أبطل التبرك البدعي وتعظيم آثار الأنبياء بقوله وبفعله كما سبق. وهو الذي قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة» ومن البدعة: تعظيم آثار الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والتبرك بها.

٧- أن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لم يكن يتخذ من تلك الأماكن التي كان يتتبعها مكاناً للعبادة والذكر ونحو ذلك، بل كان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يفعل كما فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فينزل في المكان الذي نزل فيه، وينام في المكان الذي نام فيه، ويبول في المكان الذي بال فيه، فيفعل مثل ما فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يكن يتخذ من تلك الآثار مكاناً للصلاة والعبادة. فإذا تتبع أحد هذه الآثار وفعل فيها ما لم يفعله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأن نام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في

مكان فاتخذه المتبع مكاناً للعبادة والصلاة والتمسح لم يكن بذلك متبعاً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا مقتديا بابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بل يكون مبتدعاً محدثاً.

٨- أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد مشابهة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة الفعل، فيفعل مثل ما فعل وذلك لشدة محبته له، ولم يكن يعتقد أن هذا مما يستحب فعله لكل أحد ويتعبد الله به، فلم يأمر أحدا بهذا ولم يستحبه لأحد وإنما كان يفعله بنفسه اجتهاداً منه.

❁ ❁ ❁

القاعدة السابعة:

السلف والتفريق بين المواضع التي صلى فيها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قصدا، والتي صلى فيها اتفاقا

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف للمواضع التي قصدها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصلاة فيها والتي صلى فيها اتفاقا.

٢- بيان خلط المبتدعة بين الأمور المشروعة والممنوعة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أن السلف كانوا يفرقون بين المواضع التي صلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها قصدا أو اتفاقا.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة:

مشروعية قصد ما قصده النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي التي جاءت فيه السنة:

كان السلف يقصدون المسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد قباء، ومقام إبراهيم، وغيرها من الأماكن التي كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقصد بالصلاة فيها (أي التي جاءت فيها السنة).

عدم مشروعية تتبع ما فعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتفاقا (أي التي لم تأت فيها السنة).

ومن أدلة ذلك:

١- أن الخلفاء الأربعة وغيرهم من المهاجرين والأنصار كانوا يحجون ويعتمرون من المدينة إلى مكة ولم ينقل عن أحد منهم أنه يتتبع الأماكن التي صلى فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتفاقا في طريقه إلى الحج أو العمرة أو فتح مكة أو غيرها من أسفاره.

٢- وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، يتبعون آثار أنبيائهم، فيتخذونها كنائس وبيعا، من أدركته الصلاة في هذه المسجد، فليصل، ومن لا فليمض، ولا يتعمدها»(١).

قال الطحاوي في مشكل الآثار بعد روايته لأثر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ففي هذا الحديث عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما قد وقفنا به على أن المساجد التي صلى فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه المواضع لم يجب على أمته إتيانها ولا الصلاة فيها لإتيان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمثل ذلك أيضًا صلاته في بيت المقدس كما في أحاديث ابن مسعود وأنس وأبي هريرة لا يجب به إتيان الناس هناك ولا الصلاة فيه» إلى أن قال: «وفيما ذكرنا في هذا ما قد دل على رتبة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في العلم أنها فوق رتبة من سواه رضوان الله عليهم وعلى سائر أصحابه»(٢).

٣- روى ابن سعد: أنا معن بن عيسى: ثنا عبدالله بن المؤمل، عن عبدالله بن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: ما كان أحد يتبع آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منازله، كما كان ابن عمر يتبعه(٣).

٤- وقال محمد بن وضاح: «وكان مالك بن أنس، وغيره من علماء

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٨.

(٢) مشكل الآثار ١٢/ ٥٤٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ١٢٥. وانظر البداية والنهاية ٥/ ١٧٩ وانظر فتح الباري لابن رجب ٢/ ٤٢٨.

المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما عدا قباء، وأحدا»[1].

٥- وقال الإمام ابن عبدالبر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كره مالك وغيره من أهل العلم طلب موضع الشجرة التي بويع تحتها بيعة الرضوان وذلك والله أعلم مخالفة لما سلكه اليهود والنصارى في مثل ذلك»[2].

٦- وقال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «روى أشهب عن مالك أنه سئل عن الصلاة في المواضع التي صلى فيها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما يعجبني ذلك إلا مسجد قباء»[3].

تعليق الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان ابن عمر مشهورا بتتبع آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك صلاته في المواضع التي كان يصلي فيها.

وهي على نوعين:

أحدهما: ما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقصده للصلاة فيه، كمسجد قباء، ويأتي ذكره في موضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى.

والثاني: ما صلى فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتفاقا لإدراك الصلاة له عنده، فهذا هو الذي اختص ابن عمر بإتيانه.

---

(١) سبق توثيقه ص ٢٤١.

(٢) الاستذكار ٢/ ٣٦٠.

(٣) شرح البخاري ٣/ ١٥٩.

وقد روى ابن سعد: أنا معن بن عيسى: ثنا عبدالله بن المؤمل، عن عبدالله بن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: ما كان أحد يتبع آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منازله، كما كان ابن عمر يتبعه.

وروى أبو نعيم من رواية خارجة بن مصعب، عن موسى بن عقبة، عن نافع، قال: لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع أثر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقلت: هذا مجنون.

ومن طريق عاصم الأحول، عمن حدثه، قال: كان ابن عمر إذا رآه أحد ظن أن به شيئا من تتبعه آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن طريق أبي مودود، عن نافع، عن ابن عمر، أنه كان في طريق مكة يقود برأس راحلته يثنيها، ويقول: لعل خفا يقع على خف - يعني: خف راحلة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)].

التعليق:

يقول الآمدي: «... فلو وقع فعله في مكان وزمان مخصوص فلا مدخل له في المتابعة والتأسي وسواء تكرر أو لم يتكرر، إلا أن يدل الدليل على اختصاص العبادة به كاختصاص الحج بعرفات، واختصاص الصلوات بأوقاتها، وصوم رمضان»[(٢)].

---

(١) فتح الباري لابن رجب ٢/ ٤٢٨.

(٢) الأحكام ١/ ١٧٢.

وتأتي أهمية هذا الأمر لأن ارتباط الزمان أو المكان له أهمية في تحديد صحة الفعل من خطئه، وكون الفعل الواقع في الزمان أو المكان سنة أو بدعة وكون فاعله متبعا أو مبتدعا. فإذا علمنا تخصيص الشارع أزمنة معينة أو أمكنة بنوع من العبادة وقصدنا نحن تخصيص هذه الأزمنة والأمكنة بهذا النوع من العبادة كنا متبعين. أما إذا قصدنا زمانا أو مكانا بنوع من العبادة لم يخصصه به الشارع فسنكون حينئذ مبتدعين.

يقول ابن تيميه موضحا أهمية هذا الأمر:

«وذلك لأن المتابعة أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعل، فإذا فعل فعلا على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان خصصناه بذلك. كما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة، وأن يستلم الحجر الأسود، وأن يصلي خلف المقام، وكان يتحرى الصلاة خلف أسطوانة مسجد المدينة، وقصد الصعود على الصفا والمروة، والدعاء والذكر هناك، وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما.

وأما ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده - مثل أن ينزل بمكان ويصلى فيه لكونه نزله لا قصدا لتخصيصه بالصلاة والنزول فيه- فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصلاة فيه أو النزول لم نكن متبعين، بل هذا هو من البدع التي كان ينهى عنها عمر بن الخطاب كما ثبت بالإسناد الصحيح من حديث شعبة عن سليمان التيمي عن المعرور بن سويد، قال: كان عمر

بن الخطاب في سفر فصلى الغداة ثم أتى على مكان فجعل الناس يأتونه فيقولون صلى فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال عمر: «إنما هلك أهل الكتاب أنهم اتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعا. فمن عرضت له الصلاة فليصل وإلا فليمض»[(١)].

فلما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقصد تخصيصه بالصلاة فيه بل صلى فيه لأنه موضع نزوله رأى عمر أن مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليس متابعة، بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها، ونهى عن التشبه بهم في ذلك، ففاعل ذلك متشبه بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصورة ومتشبه باليهود والنصارى في القصد الذي هو عمل القلب. وهذا هو الأصل، فإن المتابعة في النية أبلغ من المتابعة في صورة الفعل»[(٢)].

من أدلة القاعدة:

١- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما الأعمال بالنيات**» الحديث.

٢- فهم السلف الصالح حيث أجمعوا على التفريق بين المواضع المذكورة.

---

(١) هذا الأثر عزاه ابن تيمية إلى سنن سعيد بن منصور في اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/ ٧٤٤، وقد صححه في القاعدة الجليلة.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٩ هـ. ص ١٠٥- ١٠٦.

مخالفة الخلف للسلف:

المبتدعة خلطوا بين المواضع كلها ولم يميزوا بين الجائز والممنوع.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- عمق علم السلف ودقة فهمهم حيث فرقوا بين المتباينات.

٢- ضلال المبتدعة حيث خلطوا بين المتباينات.

❊ ❊ ❊

القاعدة الثامنة:
السلف والتحذير من السحر

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف للسحر.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- بيان خطورة السحر.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أن السلف كانوا يحذرون من السحر بل كانوا يقتلون السحرة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة:

وقد أجمع السلف على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء، و أنه شرك أكبر.

نماذج من موقف السلف من السحر:

ولقد اتفق السلف رحمهم الله على أن السحر كفر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۝١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢]، فإن الساحر إنما كفر لأنه خضع لغير الله بالطاعة والاستسلام والانقياد، وهذا كفر بإجماع المسلمين، والذي تكلم به بعض أصحاب الإمام الشافعي ونسبوه قولاً له من التفصيل في مسألة السحر، هو خلاف لفظي؛ لأنهم نظروا إلى المعنى اللغوي للسحر، لا الشرعي، والمعنى اللغوي أوسع من المعنى الشرعي كما هو معلوم.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف

فإن من لم يكفر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كذلك بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب ولهذا سماه الله كفرا في قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢] وفي حديث مرفوع رواه رزين (الساحر كافر) وقال أبو العالية: السحر من الكفر. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] وذلك أنهما علماء الخير والشر والكفر والإيمان فعرفا أن السحر من الكفر. وقال ابن جريج في الآية: لا يجترىء على السحر إلا الكافر.

وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر وإن سمي سحرا فعلى سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحرا ولكنه يكون حراما لمضرته يعزر من يفعله تعزيرا بليغا»[(١)].

أولا: صرحوا بأن السحر كفر قال الإمام ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] فَقَالَ: نَعَمْ أَنْزَلَ الْمَلَكَيْنِ بِالسِّحْرِ لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ الْبَلاءَ الَّذِي أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَ بِهِ النَّاسَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمَا الْمِيثَاقَ أَنْ لَا يُعَلِّمَانِ أَحَدًا حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ. وَهُمَا يَفْعَلانِ لَا يُعَلِّمَانِ أَحَدًا حَتَّى يَقُولا: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ[(٢)].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٨٤.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٩٢ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢] وَذَلِكَ أَنَّهُمَا عَلِمَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالْكُفْرَ وَالإِيمَانَ فَعَرَفَا أَنَّ السِّحْرَ مِنَ الْكُفْرِ[(١)].

وعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: كَانَ أَخذَ عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يُعَلِّمَا أَحدًا حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ أَيْ بَلاءٌ ابْتُلِينَا بِهِ فَلا تَكْفُرْ.

وعن السدي قال: إذا أتاهما - يعني هاروت وماروت - إنسان يريد السحر، وعظاه وقالا له: لا تكفر، إنما نحن فتنة! فإن أبى، قالا له: ائت هذا الرماد فبل عليه. فإذا بال عليه خرج منه نور يسطع حتى يدخل السماء - وذلك الإيمان - وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء منه، فذلك غضب الله. فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر. فذلك قول الله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ الآية[(٢)].

ثانيا: بينوا أن السحر يستعاذ منه وقد فسروا قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤]، وقال مجاهد وعِكْرِمة والحسَن وقَتَادة والضَّحَّاك: يعني السواحر[(٣)]. اهـ.

ثالثا: أجمعوا على أن حد الساحر القتل كما في قول أمير المؤمنين عمر

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٩٢.

(٢) تفسير الطبري ٢/ ٤٤٢.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٢٤٧٥.

بن الخطاب وعثمان بن عفان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبدالله وجندب بن كعب رضوان الله عليهم أجمعين، وقد اشتهر هذا ولم ينكر أحد فكان إجماعا سكوتياً.

أ- قال الإمام الشَّافِعِيُّ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ بَجَالَةَ يَقُولُ: كَتَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلاَثَ سَوَاحِرَ(١).

ب- وروى مالك في الموطأ عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت(٢).

ت- وروى البخاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي قال: كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنسانا وأبان رأسه فعجبنا فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدى فقتله(٣).

ث- قال أحمد: جاء قتل الساحر عن ثلاث من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

من أدلة القاعدة:

١- قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: ٣١٥٦.
(٢) مالك في الموطأ ٢/ ٨٧١ برقم ١٥٦٢.
(٣) رواه البخاري في تاريخ الكبير ٢/ ٢٢٢ برقم: ٢٢٦٨.

بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢].

٢- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسِّحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذْف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(١).

٣- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من اقتبس علمًا من النجوم، اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**»(٢).

٤- وعن عِمران بن حُصَين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس منا من تطيَّر أو تُطيِّر له، أو تكَهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحَر أو سُحِر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٣).

٥- وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يدخل الجنةَ مدمنُ خمر، ولا مؤمنٌ بسحر، ولا قاطعُ رحم**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري ٤/ ١٠ برقم: ٢٧٦٦ ومسلم ١/ ٦٤ برقم: ١٧٥.

(٢) أخرجه أبو داوود ٦/ ٥١ برقم: ٣٩٠٥ وابن ماجه ٥/ ٢٩٣ برقم: ٣٧٢٦ قال الألباني: حسن.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨١٦٢ برقم: ٣٥٥ والبزار في المسند ٩/ ٥٢ برقم: ٣٥٧٨.

(٤) أخرجه أحمد ١٧/ ١٧٨ برقم: ١١١٠٧.

مخالفة الخلف للسلف:

الخلف خالفوا السلف في فهمهم للسحر وقالوا: إنَّ السِّحرَ لا حقيقةَ له، إنَّما هو تمويهٌ وتَخييلٌ وإيهامٌ، وهو قَولُ عامَّةِ المُعتَزِلةِ ومَن وافقهم، كأبي بكر الرَّازي الحَنَفي، وأبي إسحاقَ الإستراباذيِّ، وابنِ حزم..

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- إجماع السلف على العقيدة.

٢- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به.

٣- أنواع السحر تختلف باختلاف الاعتبارات.

القسم الأول: باعتبار الوسائل وعمل الساحر تنقسم إلى قسمين:

١- سحر الطلاسم، وبالعقد، وبالرقى، وبالتعاويذ.

الطلاسم: الكتابة المبهمة. الرقى: الكلمات مع النفث.

التعاويذ: بأن يذكر أسماء جن.

٢- سحر بالأدوية والعقاقير: وهو أن يستخدم أدوية معينة تكون سببًا في سحر هذا الرجل.

القسم الثاني: باعتبار المحل والمكان ينقسم إلى خمسة أقسام:

١- على القلب: وذلك بالحب والبغض، وهو ما يسمى بالصرف والعطف.

٢- سحر البدن: وذلك بإضعافه شيئًا فشيئًا حتى يهلك، أو إمراضه حتى تختل صحته.

٣- سحر الدماغ: وهو ما يؤدي إلى تصور أشياء على غير حقيقتها، ومنه المجنون والمعتوه.

٤- سحر على الشهوة: وذلك بتبريدها أو تأججها.

٥- سحر العين: وهو أن يُخيل إليه الأشياء على خلاف ما هي عليه، قال تعالى: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٦٦].

القسم الثالث: باعتبار المسحور إلى قسمين:

١- سحر تخييلي: بأن يُخيل إليه أشياء، وهذا ليس له حقيقة، وهو سحر سحرة فرعون، قال تعالى: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٦٦].

٢- سحر حقيقي وهو ما يؤثر على القلب، والعقل وغيرهما يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه، وأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سحر حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله رواه البخاري قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة.

وهذا القسم الحقيقي له ثلاث مراتب:

أ- وقوع التفريق بين الزوجين وهذا بالإجماع كما حكاه القرطبي وابن تيمية.

ب- عدم التمكن مما هو من خصائص الله كإماتة وإحياء الموتى، وهذا بالإجماع كما حكاه ابن تيمية وابن القيم.

ت- قلب الأعيان كقلب الخشب ذهبا وقد قال بمنعه الجمهور وهو اختيار القرطبي والشنقيطي وابن عثيمين.

٣- السحر من الموبقات السبع التي تؤدي لهلاك فاعلها ووقوعه في الشرك بالله تعالى والكفر به.

٤- جعل الله تعالى عقوبة السحر كعقوبة الشرك؛ لأنه لا يمكن للساحر الوصول له إلا بعد أن يشرك بالله تعالى كما أنهم يوهمون الناس أنهم يستطيعون التحكم في الأمور الغيبية والكونية بطرق خاصة بهم ومن هنا: أجمع السلف على قتل السحرة حيث لم ينكر أحد على الذين قتلوا السحرة.

❀ ❀ ❀

القاعدة التاسعة:
السلف وموقفهم من النشرة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف للنشرة.

٢- بيان مخالفة الخلف للسلف في النشرة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

فهم السلف للنشرة: أن النشرة نوعان: نوع مشروع وهو النشرة بالرقية والأدعية الجائزة، ونوع ممنوع وهو حل السحر بالسحر.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

ومن نماذج ذلك:

١- وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله[1].

٢- جاء المنع عن حل السحر بالسحر عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٣- وروي عن الحسن أنه قال: «**لا يحل السحر إلا ساحر**»[2].

٤- وأما ما جاء في البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب: «رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، أما ما ينفع فلم ينه عنه»[3]. اهـ. فيحمل على حل السحر بالرقية

---

(١) أراد أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أن ابن مسعود يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان، كما يكره تعليق التمائم مطلقا، فدل على أنه يذهب إلى ما ذهب إليه ابن مسعود، وهو تحريم هذا كله، ومستنده الحديث.

(٢) أبو داود: الطب (٣٨٦٨)، وأحمد (٣/ ٢٩٤).

(٣) أخرجه البخاري ٧/ ١٢٧.

لأن قوله: وأما ما ينفع يدل على ذلك.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخنزير، فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوي به بحال، لأن ذلك محرم في كل حال، وليس هذا كالتكلم به عند الإكراه، فإن ذلك إنما يجوز إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان، والتكلم به إنما يؤثر إذا كان بقلب صاحبه، ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالإيمان لم يؤثر، والشيطان إذا عرف أن صاحبه مستخف بالعزائم لم يساعده، وأيضا فإن المكره مضطر إلى التكلم له ولا ضرورة إلى إبراء المصاب به لوجهين:

أحدهما: أنه قد لا يؤثر أكثر مما يؤثر من يعالج بالعزائم، فلا يؤثر، بل يزيده شراً.

والثاني: أن في الحق ما يغني عن الباطل»[1].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- عمق علم السلف ودقة فهمهم لمنعهم حل السحر بالسحر؛ لأن فيه تصديقًا لهؤلاء السحرة وتعزيزاً لمكانتهم والإتيان إليهم وهذا لا يجوز.

٢- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به.

٣- منهج السلف الصالح رد الكلام المتشابه إلى المحكم ليكون

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٦١).

المتشابه محكما ومنه رد كلام الإمام سعيد بن المسيب إلى كلام سائر السلف في مسألة النشرة.

٤- قال ابن القيم: «النُّشرة: حلّ السحر عن المسحور، وهي نوعان: حلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن. فيتقرّب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب؛ فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النُّشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة. فهذا جائز».

❁ ❁ ❁

القاعدة العاشرة:
السلف والتحذير من الكهانة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف للكهانة.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- بيان مخالفة الخلف للسلف.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أن الكهانة استخدام للجن، واستخدام الجن كفر وشرك أكبر بالله جَلَّوَعَلَا؛ لأن استخدام الجن في مثل هذه الأشياء لا يكون إلا بأن يتقرب إلى الجن بشيء من العبادات، فالكهان لا بد - لكي يُخدَموا بذكر الأمور المغيبة لهم- أن يتقربوا إلى الجني ببعض العبادات، إما بالذبح، أو الاستغاثة، أو بالكفر بالله جَلَّوَعَلَا بإهانة المصحف، أو بسب الله، أو نحو ذلك من الأعمال الشركية الكفرية.

فالكهانة صنعة مضادة لأصل التوحيد، والكاهن مشرك بالله جَلَّوَعَلَا؛ لأنه يستخدم الجن ولا يمكن أن تخبره الجن بالمغيبات إلا إذا تقرب إليها بأنواع العبادات[(١)]. ولأجل ما ذكر حذر السلف من الكهانة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

أجمع السلف على التحذير من الكاهن يدل عليه:

أن الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.

---

(١) انظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٣٠٢.

وعليه حذروا من الكهانة:

١- الصحابة هم الذين نقلوا القرآن - ومنه الآيات الدالة على التحذير من ادعاء علم الغيب - لفظا ومعنى إلى الأمة فدل على أنهم قائلون بمضمون الآيات المذكورة.

٢- الصحابة هم الذين رووا أحاديث التحذير من الكهانة ونشروها في الأمة فدل على أنهم قائلون بما تضمنته هذه الأحاديث.

٣- وأخرج الزبير بن بكار في المفقيات عن عبدالله بن حفص قال: خصت العرب بخصال بالكهانة والقيافة والعيافة والنجوم والحساب فهدم الإسلام الكهانة وثبت الباقي بعد ذلك [١].

٤- وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن القرظي قال: والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء من نجم ولكن يتبعون الكهنة ويتخذون النجوم علة [٢].

٥- وأخرج الخطيب عن ميمون بن مهران قال: قلت لابن عباس أوصني قال: أوصيك بتقوى الله وإياك وعلم النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة وإياك أن تذكر أحدا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بخير فيكبك الله على وجهك في جهنم فإن الله أظهر بهم هذا الدين وإياك والكلام في

(١) الدر المنثور في التفسير بالماثور٦/ ١٥١.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٣١ برقم: ١٦٠٧٤.

القدر فإنه ما تكلم فيه اثنان إلا أثما أو أثم أحدهما[(١)].

٦- روى أبو يعلى، والبزار بسند قال الحافظ في «الفتح» جيد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من أتى كاهنا، أو ساحرا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٢)].

من أدلة القاعدة:

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

٢- وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام: ٥٠].

٣- وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٤- روى الإمام مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكَم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ**»، قَالَ: «**فَلَا تَأْتِهِمْ**»[(٣)].

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالماثور٦/ ١٥١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٢/ ٤٢٩)، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى»: (٨/ ١٣٥).

(٣) أخرجه مسلم ٢/ ٧٠ برقم: ١١٣٦.

٥- وروى البزار في مسنده والطبراني في معجمه عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكِهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ**»(١)؛ ولا يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**ليس منا**» إلا في عظائم الإثم وكبائر الذنوب.

٦- روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

٧- روى الإمام مسلم في كتابه الصحيح عن بعض أزواج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»(٣).

مخالفة الخلف للسلف:

فقد خالف الخلف للسلف فادعوا علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- اختص الله بعلم الغيب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ

---

(١) أخرجه البزار في المسند ٩/ ٥٢ برقم: ٣٥٦٨ والطبراني في الكبير ١٨/ ١٦٢ برقم ٣٥٥ وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أحمد ١٥/ ٢٢١ برقم: ٩٥ ٣٦.

(٣) أخرجه مسلم ٧/ ٢٧ برقم: ٥٨٧٩.

مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٢- ادعاء علم الغيب كفر قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

٣- عمق علم السلف ودقة فهمهم حيث حذروا من الكهانة.

٤- والذي يأتي إلى الكاهن ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله من غير أن يصدقه فهذا محرم، وعقوبة فاعله أن لا تقبل له صلاة أربعين يومـًا، كما ثبت في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أتى عرافًا فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يومـًا أو أربعين ليلة**».

القسم الثاني: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله ويصدقه بما أخبر به، فهذا كفر بالله عَزَّ وَجَلَّ لأنه صدقه في دعوى علمه الغيب، وتصديق البشري دعوى علم الغيب تكذيب لقول الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول: فقد كفر بما نزل على محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

القسم الثالث: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله ليبين حاله للناس، وإنها كهانة وتمويه وتضليل، وهذا لا بأس به ودليل ذلك أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه ابن صياد، فأضمر له النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا في نفسه، فسأله النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماذا خبأ له؟ فقال: «الدخ» يريد الدخان. فقال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اخسأ فلن تعدو قدرك**». هذه أحوال من يأتي إلى الكاهن ثلاثة: الأولى: أن يأتي فيسأله بدون أن يصدقه، وبدون أن يقصد بيان حاله فهذا محرم، وعقوبة فاعله أن لا تقبل له صلاة أربعين ليلة. الثانية: أن يسأله فيصدقه وهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ على الإنسان أن يتوب منه ويرجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإلا مات على الكفر. الثالثة: أن يأتيه فيسأله ليمتحنه ويبين حاله للناس فهذا لا بأس به[١].

❊ ❊ ❊

(١) مجموع فتاوى شيخنا ابن عثيمين ٢/ ١٨٢.

القاعدة الحادية عشرة:
السلف والتحذير من التنجيم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف للتنجيم وتحذيرهم منه.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم حيث حذروا من التنجيم.

٣- بيان مخالفة الخلف للسلف.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أجمع السلف الصالح على التحذير من التنجيم الذي هو اعتقاد أن النجوم فاعلة مؤثرة بنفسها، وأن الحوادث الأرضية منفعلة ناتجة عن النجوم وعن إرادات النجوم، لأن هذا تأليه للنجوم.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

يتمثل في الآتي:

١- الأول: التنجيم الذي هو اعتقاد أن النجوم فاعلة مؤثرة بنفسها، وأن الحوادث الأرضية منفعلة ناتجة عن النجوم وعن إرادات النجوم، وهذا تأليه للنجوم، وهو الذي كان يصنعه الصابئة ويجعلون لكل نجم وكوكب صورة وتمثالا، تحل فيها أرواح الشياطين، فتأمر أولئك بعبادة تلك الأصنام والأوثان، وهذا بالإجماع كفر أكبر وشرك كشرك قوم إبراهيم.

٢- والنوع الثاني من التنجيم: هو ما يسمى علم التأثير، وهو الاستدلال بحركة النجوم والتقائها وافتراقها، وطلوعها وغروبها، على ما سيحصل في الأرض، فيجعلون حركة النجوم دالة على ما سيقع مستقبلا في الأرض،

والذي يفعل هذه الأشياء ويستدل بها يقال له: المنجم، وهو من أنواع الكهان؛ لأنه يخبر بالأمور المغيبة عن طريق الاستدلال بحركات الأفلاك وتحرك النجوم، وهذا النوع محرم وكبيرة من الكبائر، وهو نوع من الكهانة وكفر بالله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن النجوم ما خلقت لذلك وهؤلاء تأتيهم الشياطين، فتوحي إليهم بما يريدون وبما سيحصل في المستقبل ويجعلون حركة النجوم دليلا على ذلك.

٣- النوع الثالث مما يدخل في اسم التنجيم: ما يسمى بعلم التسيير، وهو أن يتعلم منازل النجوم وحركاتها، لأجل أن يعلم القبلة، والأوقات، وما يصلح من الأوقات للزرع وما لا يصلح، والاستدلال بذلك على وقت هبوب الرياح، وعلى الوقت الذي جرت سنة الله ألا ينزل فيه من المطر كذا، ونحو ذلك. فهذا يسمى علم التسيير، وقد رخص فيه بعض العلماء، وسبب الترخيص فيه: أنه يجعل النجوم وحركتها التقاءها وافتراقها، وطلوعها أو غروبها، يجعل ذلك وقتا وزمنا، لا يجعله سببا، فيجعل هذه النجوم علامة على زمن يصلح فيه كذا وكذا، والله جَلَّ وَعَلَا جعل النجوم علامات كما قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل: ١٦] فهي علامة على أمور كثيرة، كأن يعلم- مثلا- أنه بطلوع النجم الفلاني يدخل وقت الشتاء، فدخول الوقت ليس بسبب طلوع النجم، ولكن حين طلع استدللنا بطلوعه على دخول الوقت، وإلا فهو ليس بسبب لحصول البرد، وليس بسبب

لحصول الحر، وليس بسبب للمطر، وليس بسبب لمناسبة غرس النخل أو زرع المزروعات ونحو ذلك، ولكنه وقت، فإذا كان على ذلك فلا بأس به قولا أو تعلما؛ لأنه يجعل النجوم وظهورها وغروبها أزمنة وذلك مأذون به"[١].

هذه بعض نصوصهم:

١- قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به»[٢].

٢- وأخرجه الخطيب في كتاب النجوم عن قتادة ولفظه قال: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به وإن ناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والدميم وما علم هذه النجوم وهذا الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب ولو أن أحدا علم الغيب لعلمه آدم

(١) انظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد ١/ ٢٤٥.

(٢) علقه البخاري في صحيحه ٤/ ١٥٣٦.

الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء انتهى(١).

٣- قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَالَ الإِمَامُ: وَالْمَنْهِيُّ مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ مَا يَدَّعِيهِ أَهْلُهَا مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَوَادِثِ الَّتِي لَمْ تَقَعْ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ، مِثْلَ إِخْبَارِهِمْ بِوَقْتِ هُبُوبِ الرِّيَاحِ، وَمَجِيءِ الْمَطَرِ، وَوُقُوعِ الثَّلْجِ، وَظُهُورِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَتَغَيُّرِ الأَسْعَارِ وَنَحْوِهَا، يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَسْتَدْرِكُونَ مَعْرِفَتَهَا بِسَيْرِ الْكَوَاكِبِ، وَاجْتِمَاعِهَا وَافْتِرَاقِهَا، وَهَذَا عِلْمٌ اسْتَأْثَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ، كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

فَأَمَّا مَا يُدْرَكُ مِنْ طَرِيقِ الْمُشَاهَدَةِ مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ الَّذِي يُعْرَفُ بِهِ الزَّوَالُ، وَجِهَةُ الْقِبْلَةِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ فِيمَا نُهِيَ عَنْهُ. قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٧]، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٦]، فَأَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ النُّجُومَ طُرُقٌ لِمَعْرِفَةِ الأَوْقَاتِ وَالْمَسَالِكِ، وَلَوْلاهَا لَمْ يَهْتَدِ النَّائِي عَنِ الْكَعْبَةِ إِلَى اسْتِقْبَالِهَا، رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «تَعَلَّمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَعْرِفُونَ بِهِ الْقِبْلَةَ وَالطَّرِيقَ، ثُمَّ أَمْسِكُوا».

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ٢٩١ قال ابن كثير عنه وهو كلام جليل متين صحيح.

وَرُوِيَ عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ أَبَا جَادٍ، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ، قَالَ: مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلاقٍ[1].

مخالفة الخلف للسلف:

فقد خالف الخلف للسلف فوقعوا في المحظور.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- أن التنجيم فيه تفصيل فمنه ما هو كفر بالإجماع، ومنه ما هو مختلف فيه.

٢- عمق علم السلف ودقة فهمهم حيث يفصلون ما هو محتاج إلى التفصيل.

٣- انحراف منهج الخلف ومخالفته لمنهج السلف.

❀ ❀ ❀

(١) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٨٢.

القاعدة الثانية عشرة:
السلف والتحذير من الاستسقاء بالنجوم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف للاستسقاء بالنجوم.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم

٣- بيان مخالفة الخلف للسلف.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

حذر السلف من الاستسقاء بالنجوم لأنه نوع من التنجيم؛ لأنه نسبة السقيا إلى النجم وذلك أيضا من السحر؛ لأن التنجيم من السحر بمعناه العام.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

يتمثل في الآتي:

نسبة المطر إلى النوء ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: نسبة الفعل للكواكب، وادعاء أنه هو الذي ينشئ السحاب ويأتي بالمطر، وهذا اعتقاد باطل، إذ إن من اعتقد أن هذه الأنواء فاعلة للمطر من دون الله فهو كافر، ومن اعتقد أنها فاعلة له وحدها بما جعل الله فيها من القدرة على ذلك ثم تركها فهو كافر أيضـًا، لأن الخلق والأمر من الله وحده، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] وهذا ما عليه إجماع المسلمين(١).

---

(١) انظر: «كتاب الأم» (١/ ٢٢٣)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٣/ ١١٥٠)، و«القبس» (١/ ق ٤٥ أ)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٢٩)، و«شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/ ٦٠).

القسم الثاني: اعتقاد أن المطر من عند الله، مع نسبته إلى النوء والوقت: فهذا من إضافة إنعام الله إلى غيره، وهذا من جنس قول الناس: كانت الرياح طيبة، والملاح حاذقاً إذا نجوا بالسفينة إلى البر. فنسب هؤلاء حسن جريان السفينة إلى طيب الريح وحذق الملاح وسياسته، ونسوا الله تعالى، هذا ما كان عليه أهل الجاهلية، وهو محرم، وقد دلت الأدلة على تحريمه، منها:

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢]، فهذه الآية نزلت في الذين يقولون مطرنا بنوء كذا، ولا ينسبونه إلى الله تعالى، ودل على هذا ما رواه الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: مطر الناس على عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر**». قالوا: هذه رحمة الله. قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢].

وعليه جاء تفسير السلف للآية: روي عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٢] يقول: شكركم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا: بنجم كذا وكذا وهذ أولى ما فسرت به الآية [(١)].

من أدلة القاعدة:

١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢].

---

(١) انظر تفسير الطبري ٢٣/ ١٥٤.

٢- وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**».

وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**»(١).

٣- ولهما عن زيد بن خالد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «صلى لنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب»(٢).

مخالفة الخلف للسلف:

فقد خالف الخلف السلف في فهمهم فوقعوا في المحظور.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- دل القرآن على التحذير من الاستسقاء بالنجوم.

٢- دلت السنة على التحذير من الاستسقاء بالنجوم.

٣- الاستسقاء بالنجوم من أمور الجاهلية.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مسلم ٢/ ٤٥ برقم: ٢١١٦.

(٢) أخرجه البخاري ١/ ١٦٩ برقم: ٨٤٦ ومسلم ١/ ٥٩ برقم: ١٤٣.

القاعدة الثالثة عشرة:
السلف والتحاكم إلى الطاغوت

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف للتحاكم إلى غير الله.

٢- بيان خطورة التحاكم إلى غير الله «وذلك لأن إفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالوحدانية في ربوبيته وفي إلهيته يتضمن ويقتضي ويستلزم - جميعا - أن يفرد في الحكم، فكما أنه جَلَّ وَعَلَا لا حكم إلا حكمه في ملكوته، فكذلك يجب أن يكون لا حكم إلا حكمه فيما يتخاصم فيه الناس وفي الفصل بينهم، فالله جَلَّ وَعَلَا هو الحكم، وإليه الحكم سبحانه، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٢] وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧] فتوحيد الله جَلَّ وَعَلَا في الطاعة وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله لا يكون إلا بأن يكون العباد محكمين لما أنزل الله جَلَّ وَعَلَا على رسوله. فترك تحكيم ما أنزل الله على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحكم الجاهلية، أو بحكم القوانين، أو بحكم سواليف البادية، أو بكل حكم مخالف لحكم الله جَلَّ وَعَلَا هذا من الكفر الأكبر بالله جَلَّ جَلَالُهُ ومما يناقض كلمة التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»[١].

٣- بيان مخالفة الخلف للسلف.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

حذر السلف من التحاكم إلى الطاغوت لخطورته البالغة.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ١/ ٤٢١.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

يتمثل في الآتي:

١- في الآية تحذير شديد من التحاكم إلى الطاغوت.

٢- وعليه جاء تحذيرهم منه:

أ- عن ابن عباس: «قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ٦٠﴾ [النساء: ٦٠] نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الآخر إلى كعب الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر بن الخطاب، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله»[(١)].

ب- وعن عامر الشعبي في هذه الآية: قال: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فكان المنافق يدعو إلى اليهود، لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة، وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين، لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة. فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جُهَيْنَة، فأنزل الله فيه

---

(١) أخرجه الثعلبي كما في الدر المنثور ٢/ ٥٨٢ والكلبي كما في فتح الباري ٥/ ٣٧ قال الحافظ ابن حجر وهذا الإسناد وإن كان ضعيفا لكن تقوى بطريق مجاهد أخرجه الطبري في «التفسير» برقم ٩٩٠١ بإسناد صحيح.

هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ٦٠] حتى بلغ «ويسلموا تسليمًا»[١].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- أمر الله بالتحاكم إلى شرع الله.

٢- المنافقون يريدون التحاكم إلى الطاغوت.

❊ ❊ ❊

(١) تفسير الطبري برقم: ٩٨٩١، ٩٨٩٢، ٩٨٩٣ بإسناد صحيح كما قال الحافظ ابن حجر في «الفتح».

المبحث الثالث:

وفيه أربع قواعد:

القاعدة الأولى: السلف والتحذير من شرك المحبة.

القاعدة الثانية: السلف وعبادة الرجاء.

القاعدة الثالثة: السلف والتحذير من شرك الخوف.

القاعدة الرابعة: السلف والتوكل.

القاعدة الأولى:
السلف وشرك المحبة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: من نماذج القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف لشرك المحبة.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- بيان حماية السلف جناب التوحيد.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أن السلف الصالح يحذرون من الشرك في المحبة.

المبحث الثالث: من نماذج القاعدة.

١- عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ، يَقُولُ: يُحِبُّونَ تِلْكَ الأَوْثَانَ كَحُبِّ اللهِ، أَيْ: كَحُبِّ الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ. وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ، وَالرَّبِيعِ، نَحْوُ ذَلِكَ [١].

٢- وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ مباهاة ومضارة أو مضاهاة لِلْحَقِّ، بِالْحُبِّ لِلأَنْدَادِ [٢].

٤- وعن الربيع قوله: «ومن الناس من يتخذُ من دُون الله أندادًا يحبونهم كحب الله» قال، هي الآلهة التي تُعبد من دون الله، يقول: يحبون أوثانهم كحب الله، «والذين آمنوا أشد حبًا لله»، أي من الكفار لأوثانهم [٣].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٧٦. والطبري ٢/ ٢٧٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير الطبري ٢/ ٢٨٠.

٥- عن عكرمة! ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] أي يحبون آلهتهم كحب المؤمنين لله والذين آمنوا أشد حبا لله قال: من الكفار لآلهتهم أي لأوثانهم[(١)].

٦- عن قتادة في قوله يحبونهم كحب الله قال: يحبون أوثانهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله من الكفار لأوثانهم[(٢)].

من أدلة القاعدة:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- تحذير السلف من شرك المحبة.

٢- عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- مخالفة الخلف للسلف.

٤- المحبة في أصلها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- محبة شركية، وهي أن يحب مخلوقا محبة مقترنة بالخضوع والتعظيم، وهذه هي محبة العبودية، التي لا يجوز صرفها لغير الله، فمن صرفها لغيره

(١) انظر الدر المنثور ٢/ ١٢٢.

(٢) المرجع السابق.

فقد وقع في الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ب- محبة واجبة: وهي محبة الله ومحبة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحبة ما يحبه الله تعالى من العبادات وغيرها.

ت- محبة طبيعية مباحة: كمحبة الوالد لولده، والإنسان لصديقه، ولماله ونحو ذلك.

ويشترط في هذه المحبة أن لا يصحبها ذل، ولا خضوع، ولا تعظيم، فإن صحبها ذلك فهي من القسم الثالث، ويشترط أيضـًا أن لا تصل إلى درجة محبته لله ومحبته لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن ساوتها أو زادت عليها فهي محبة محرمة، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤].

❁ ❁ ❁

القاعدة الثانية:
السلف وشرك الرجاء

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني معنى القاعدة.

المبحث الثالث: من نماذج القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف للرجاء إخلاصا وشركا.

٢- بيان أهمية هذه العبادة القلبية عند السلف.

٣- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

المبحث الثاني معنى القاعدة:

أن السلف الصالح حذروا من الشرك في هذه العبادة القلبية المهمة والشرك في الرجاء: وهو أن يرجو من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله، كمن يرجو من مخلوق أن يرزقه ولداً، أو يرجو منه أن يشفيه بإرادته وقدرته، فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

المبحث الثالث: من نماذج القاعدة:

١- أَخْرَج ابن المنذر، وَابن أبي حاتم، وَابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس في قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴿١١٠﴾﴾ الآية، قال: نزلت في المشركين الذين عبدوا مع الله إلها غيره وليست هذه في المؤمنين[(١)].

٢- عن ابن عباس قال: «كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح فزاد في ذلك لمقالة الناس فلامه الله فنزل في ذلك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾»[(٢)] [الكهف: ١١٠].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ٩/ ٦٩٧.

(٢) المرجع السابق.

٣- وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه فأنزل الله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴿١١٠﴾﴾ الآية[(١)].

٤- سفيان عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ عن سعيد بن جبير كان يرجوا لقاء ربه قال ثواب ربه عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ ربه أحدا قال لا يرائي[(٢)].

٥- قال الإمام عبدالرزاق الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال معمر عن عبدالكريم الجزري عن طاوس قال: «جاء رجل فقال يا نبي الله إني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يرى موطني ويعرف مكاني فأنزل الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾»[(٣)] [الكهف: ١١٠].

٦- عن شهر بن حوشب، قال: «جاء رجل إلى عُبادة بن الصامت، فسأله فقال: أنبئني عما أسألك عنه، أرأيت رجلا يصلي يبتغي وجه الله ويحبّ أن يُحْمَد ويصوم ويبتغي وجه الله ويحبّ أن يُحْمَد، فقال عبادة: ليس له شيء، إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: أنا خير شريك، فمن كان له معي شريك فهو له كله، لا حاجة لي فيه»[(٤)].

٧- قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تفسير الثوري ص١٨٠.

(٣) تفسير عبدالرزاق الصنعاني ١/ ٤١٤، والطبري ١٨/ ١٢٦.

(٤) تفسير الطبري ١٨/ ١٢٦.

يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحي إليّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠] يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية»[(١)].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به.

٢- أهمية الإخلاص عند السلف.

٣- سمى الله الرياء شركا وحذر منه حسب فهم السلف الصالح.

❁ ❁ ❁

(١) المرجع السابق.

القاعدة الثالثة:
السلف وشرك الخوف

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: من نماذج القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف لشرك الخوف.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- بيان مخالفة الخلف للسلف.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

من أنواع الشرك عند السلف: شرك الخوف.

المبحث الثالث: من نماذج القاعدة:

١- عن قتادة ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٦] الآلهة، قال: «بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد إلى شعب بسُقام ليكسر العزّى، فقال سادنها، وهو قيمها: يا خالد أنا أحذّركها، إن لها شدّة لا يقوم إليها شيء، فمشى إليها خالد بالفأس فهشّم أنفها»[(١)].

٢- وعَنْه، قَوْلَهُ: إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالُوا: إِنَّمَا تَصْنَعُ هَذَا مِنْ أَجْلِ أَنَّ بَعْضَ آلِهَتِنَا أَصَابَكَ بِسُوءٍ[(٢)].

٣- وعنْ مُجَاهِدٍ، قوله: اعتراك بعض آلهتنا بسوء أصابوك الأَوْثَانُ بِجُنُونٍ[(٣)].

٤- وقال ابن زيد، في قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ قال:

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣٢٥١ برقم: ١٨٣٩٤.

(٢) المرجع السابق ٦/ ٢٠٤٦ برقم ١٠٩٦٩.

(٣) تفسير الطبري ١٥/ ٢٦١ برقم: ١٨٢٦٧.

يخوّفونك بآلهتهم التي من دونه.

٥- عبدالرزاق عن معمر في قوله ويخوفونك بالذين من دونه قال: قال لي رجل إنهم قالوا للنبي لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فلتخبلنك[(١)].

٦- سفيان في قوله: ﴿إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤]. قال أصابك بعض آلهتنا بجنون[(٢)].

٧- وقال ابن جرير: وقوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ويخوّفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء، ببراءتك منها، وعيبك لها، والله كافيك ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل[(٣)].

من أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر: ٣٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [هود: ٥٤].

(١) تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٧٢.

(٢) تفسير الثوري ص١٢١.

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٢٩٤.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- فهم السلف دقيق وعلمهم عميق.

٢- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به.

٣- كانت الجاهلية يخوفون المسلمين بآلهتهم.

٤- هذا دأب عباد القبور والأولياء في كل مكان وزمان.

٥- الخوف في أصله ينقسم إلى أربعة أقسام:

أ- الخوف الشركي وهو المقصود: وهو أن يخاف من مخلوق خوفًا مقترنًا بالتعظيم والخضوع والمحبة. ومن ذلك الخوف من صنم أو من ميت خوفًا مقرونًا بتعظيم ومحبة، فيخاف أن يصيبه بمكروه بمشيئته وقدرته، كأن يخاف أن يصيبه بمرض، أو بآفة في ماله، أو يخاف أن يغضب عليه؛ فيسلبه نعمه فهذا من الشرك الأكبر، لأنه صرف عبادة الخوف والتعظيم لغير الله، ولما في ذلك من اعتقاد النفع والضر في غير الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨]. قال ابن عطية المالكي الأندلسي المولود سنة ٤٨١هـ في تفسيره: (يريد خشية التعظيم، والعبادة، والطاعة).

ب- الخوف من الله تعالى: ويسمى (خوف السر)، وهو الخوف المقترن بالمحبة أو التعظيم، والتذلل لله تعالى، وهو خوف واجب، وأصل من أصول العبادة.

ت- الخوف الجبلي: كالخوف من عدو، والخوف من السباع المفترسة ونحو ذلك. وهذا خوف مباح؛ إذا وجدت أسبابه، قال الله تعالى عن نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

ث- الخوف الذي يحمل على ترك واجب أو فعل محرم، وهو خوف محرم، كمن يخاف من إنسان حي أن يضره في ماله أو في بدنه، وهذا الخوف وهمي لا حقيقة له، وقد يكون هناك خوف فعلاً ولكنه يسير لا يجوز معه ترك الواجب أو فعل المحرم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾ [آل عمران: ١٧]. ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه.

❁ ❁ ❁

القاعدة الرابعة:
السلف والتوكل

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف في الاستعانة.

٢- بيان أن الاستعانة عبادة خالصة لله تعالى.

٣- بيان مخالفة الخلف للسلف في هذه العبادة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

فهم السلف الصالح أن الاستعانة عبادة خالصة لله لا يجوز صرفها إلى غير الله.

المبحث الثالث: نماذج من أمثلة القاعدة.

١- عن عبدالله بن عباس: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، قال: إياك نستَعِينُ على طاعتك وعلى أمورنا كلها[١].

٢- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ ۝١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠] أَيْ: لَا عَلَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ[٢].

٣- عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: «الْكَلَامُ فِي الْقَدْرِ وَادِيَانِ عَرِيضَانِ يُهْلِكُ النَّاسُ لَا يُدْرَكُ غَوْرُهُمَا فَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُنَجِّيهِ إِلَّا عَمَلُهُ وَتَوَكَّلْ تَوَكَّلَ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ»[٣].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٩ برقم ٣٠.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٨٠٢ برقم ٤٤٢٧.

(٣) المرجع السابق ٦/ ١٨١١.

٤- قال ابن جرير الطبري: قال أبو جعفر: ومعنى قوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ وإياك رَبنا نستعين على عبادتنا إيّاك وطاعتنا لك وفي أمورنا كلها لا أحدًا سواك، إذْ كان من يكفُر بك يَستعين في أمورِه معبودَه الذي يعبُدُه من الأوثان دونَك، ونحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة(١).

من أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣﴾ [هود: ١٢٣].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩ ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ ﴾ [المزمل: ٩].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٩ ﴾ [الملك: ٢٩] وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

مخالفة الخلف للسلف:

خالف الخلف للسلف في هذه العبادة حيث يستعينون بشيوخهم الذين يزعمون أنهم أولياء الله.

(١) تفسير الطبري ١/ ١٢٩.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- فهم السلف الصالح أن الاستعانة عبادة خالصة لله تعالى.

٢- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به.

٣- مخالفة الخلف للسلف في هذه العبادة.

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع:
قواعد في العبادات القولية

وفيه ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى: السلف والتحذير من شرك الدعوة.

القاعدة الثانية: السلف والتحذير من شرك الشفاعة.

القاعدة الثالثة: السلف والتحذير من شرك الاستعاذة .

القاعدة الأولى:
السلف وشرك الدعوة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: من نماذج القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف لشرك الدعوة.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- بيان حماية السلف جناب التوحيد.

٤- بيان مخالفة الخلف للسلف.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

كان السلف الصالح يحذرون من شرك الدعوة حماية منهم على جناب التوحيد.

المبحث الثالث: من نماذج القاعدة:

١- عن ابن عباس، قوله: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر: ٦٠] يقول: وحّدوني أغفر لكم[١].

٢- عمارة، عن ثابت، قال: قالت لأنس: يا أبا حمزة أبلغك أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: لا بل هو العبادة كلها[٢].

٣- وعن سالم بن عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «لا تسأل أحدا غير الله»[٣].

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٤٠٦.

(٢) المرجع السابق ٢١/ ٤٠٨ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٩٤ والخطيب البغدادي في تاريخه ٧/ ٣٨، ٣٩ وذكره الذهبي في السير ٤/ ٤٦٣.

٤- عن السديّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠] قال: عن دعائي(١).

٥- عن قتادة، قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن: ١٨] كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه أن يوحد الله وحده(٢).

٦- عن سعيد بن جبير ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ قال، قالت الجنّ لنبيّ الله: كيف لنا نأتي المسجد، ونحن ناءون عنك، وكيف نشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك؟ فنزلت: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾(٣).

٧- وقال الإمام عبدالرحمن ابن أبي حاتم: قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ١٠٦﴾ [يونس: ١٠٦] حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ حَمْزَةَ، ثنا شَبَابَةُ، ثنا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا قَالَ: الأَوْثَانُ(٤).

٨- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [يونس: ١٠٦] قَرَأْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُزَاحِمٍ،

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ٢٢/ ٦٦٥.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٦٦٥.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٢.

ثنا بُكَيْرُ بْنُ مَعْرُوفٍ، عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، قَوْلُهُ: الظَّالِمِينَ يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ[١].

٩- وقال الإمام ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول ربكم أيها الناس لكم ادعوني يقول: اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾ يقول: أُجِبْ دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم[٢].

١٠- وقال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ﴾ أيها الناس ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ ولا تشركوا به فيها شيئا، ولكن أفردوا له التوحيد، وأخلصوا له العبادة[٣].

١١- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [يونس: ١٠٦] قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولا تدع، يا محمد، من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا، يعني بذلك الآلهة والأصنام. يقول: لا تعبدها راجيا نفعها أو خائفًا ضرَّها، فإنها لا تنفع ولا تضر = «فإن فعلت»، ذلك، فدعوتها من دون الله = (فإنك إذًا من الظالمين)، يقول: من المشركين بالله، الظالمي أنفُسِهم»[٤].

(١) المرجع السابق.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٦٠٦.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٦٦٥.

(٤) المرجع السابق ١٥/ ٢١٨.

١٢- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧] يقول تعالى ذكره: ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبودا آخر، لا حجة له بما يقول، ويعمل من ذلك ولا بينة(١).

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧] قال: بينة»(٢).

١٣- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: «﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥] يقول تعالى ذكره: وأيّ عبد أضلّ من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة: يقول: لا تُجيب دعاءه أبدا، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك.

وقوله: ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥] يقول تعالى ذكره: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل. وإنما عنى بوصفها بالغفلة، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئًا، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه. وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقُبح اختيارهم في

(١) المرجع السابق ١٠/ ٨٤.

(٢) المرجع السابق ١٩/ ٨٤.

عبادتهم، من لا يعقل شيئًا ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب»[(١)].

من أدلة القاعدة:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به.

٢- حماية السلف جناب التوحيد.

٣- خطورة الشرك.

٤- مخالفة الخلف للسلف.

❊ ❊ ❊

---

(١) المرجع السابق ٢٢/ ٢٥.

القاعدة الثانية:
السلف وشرك الشفاعة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف في شرك الشفاعة.

٢- بيان خطورة هذا النوع من الشرك.

٣- بيان وقوع الخلف في هذا الشرك بنفس شبهة المشركين.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أن السلف الصالح كانوا يحذرون من شرك الشفاعة إلا أن الخلف خالفوا السلف فوقعوا في هذا الشرك محتجين بأنهم لم يعبدوهم إلا ليقربوهم إلى الله زلفى.

المبحث الثالث: نماذج من القاعدة:

١- عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: «قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شَفَعَتْ لِيَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۝١٨﴾»[١] [يونس: ١٨].

٢- عَنِ السُّدِّيِّ: ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ «أَنَّ لَهُ شَرِيكًا أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ تَقُولُونَهُ أَمْ تَجِدُونَهُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا»[٢].

٣- عَنِ السُّدِّيِّ: ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس: ١٨] يَقُولُ: «عَمَّا أَشْرَكَ الْمُشْرِكُونَ»[٣].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٦ برقم: ١٠٢٨١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

٤- عن قتادة ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ ﴾ [الزمر: ٤٣] الآلهة ﴿قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [الزمر: ٤٣] الشفاعة(١).

٥- عن مجاهد، قوله: «**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**» قال: لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه(٢).

٦- وقال ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجاتهم. وقوله: ﴿قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل يا محمد لهم أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا، ولا يعقلون شيئا، قل لهم: إن تكونوا تعبدونها لذلك، وتشفع لكم عند الله، فأخلصوا عبادتكم لله، وأفردوه بالألوهة، فإن الشفاعة جميعا له، لا يشفع عنده إلا من أذن له، ورضي له قولا وأنتم متى أخلصتم له العبادة، فدعوتموه، وشفعكم»(٣).

٧- قال أبو جعفر: «يقول تعالى ذكره: ويعبُد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك، يا محمد صفتهم، من دون الله الذي لا يضرهم شيئًا ولا ينفعهم،

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٢٠٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك هو الآلهة والأصنام التي كانوا يعبدونها = ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، يعني: أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله قال الله لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨]، يقول: أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض؟ وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله في السموات ولا في الأرض. وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله. فقال الله لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل لهم: أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السموات ولا في الأرض يشفع لكم فيهما؟ وذلك باطلٌ لا تعلم حقيقته وصحته، بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون، وأنها لا تشفع لأحد، ولا تنفع ولا تضر = ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨]، يقول: تنزيهًا لله وعلوًّا عما يفعله هؤلاء المشركون، من إشراكهم في عبادته ما لا يضر ولا ينفع، وافترائهم عليه الكذب»(١).

من أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ٤٧.

شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٤٤﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ٣].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- فهم السلف عصمة.

٢- عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- مخالفة الخلف لفهم السلف ووقوعهم في الشرك.

٤- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك» أي: مثل ما في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾ [الأنعام: ٥١] فهذه شفاعة منفية، وهي الشفاعة التي فيها شرك، وكذلك فإن المشركين لا يشفعون؛ فالشفاعة في حقهم منفية؛ لأنهم لم يرض عنهم. فالشفاعة التي فيها شرك من جهة الطلب، أو من جهة من سئلت له، بأن كان مشركا، فإنها منفية عن هؤلاء، بل لا تنفعهم. فثبت بذلك أن المستحقين للشفاعة هم الذين أنعم الله عليهم بالإخلاص، ووفقهم لتعظيمه، وتعلقت قلوبهم به وحده دون ما سواه؛ بخلاف الذين حرموها من المشركين بالله الشرك الأكبر، فلا نصيب لهم منها؛ لأن الشفاعة فضل من الله لأهل الإخلاص.

وأما الشفاعة المثبتة فهي التي أثبتت بشرط الإذن، والرضا. قال شيخ الإسلام بعد ذلك: «ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع». وهذه هي الشفاعة المثبتة «أثبتها بإذنه في مواضع»: أي بشرط الإذن، والإذن: إما إذن كوني، وإما إذن شرعي؛ فالمأذون له بالشفاعة لا يمكن أن تحصل منه الشفاعة، إلا أن يأذن الله له كونا بأن يشفع، فإذا منعه الله كونا أن يشفع لم تحصل منه الشفاعة ولا تحركت بها لسانه.

❁ ❁ ❁

القاعدة الثالثة:
السلف والتحذير من الاستعاذة بغير اللّه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف للاستعاذة.

٢- بيان خطورة الاستعاذة بغير الله.

٣- بيان انحراف الخلف في هذه العبادة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

فهم السلف أن الاستعاذة بالله عبادة، والاستعاذة بغير الله شرك.

المبحث الثالث: نماذج من القاعدة.

١- عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] قال: كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي، فزادهم ذلك إثما.

٢- قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَالَ نُعَيْمٌ: «لَا يُسْتَعَاذُ بِالْمَخْلُوقِ، وَلَا بِكَلَامِ الْعِبَادِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالْمَلَائِكَةِ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَنَّ سِوَاهُ مَخْلُوقٌ»[1].

٣- وقال نعيم بن حماد في الرد على الجهمية: «دلت هذه الأحاديث يعني الواردة في الاستعاذة بأسماء الله وكلماته والسؤال بها مثل أحاديث الباب وحديث عائشة وأبي سعيد بسم الله أرقيك وكلاهما عند مسلم وفي الباب عن عبادة وميمونة وأبي هريرة وغيرهم عند النسائي وغيره بأسانيد

(١) خلق أفعال العباد للإمام البخاري ص٩٦ الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض.

جياد على أن القرآن غير مخلوق إذ لو كان مخلوقا لم يستعذ بها إذ لا يستعاذ بمخلوق قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وإذا استعذت فاستعذ بالله»(١).

٤- وقال سوار بن عبد الله القاضي البصري: «دخلت على رجل أعوده من وجع به، فقال: القرآن ليس بمخلوق، وذلك أنه كل من عوذني قال: أعيذك بالله، أعيذك بالقرآن، فعلمت أن القرآن ليس بمخلوق»(٢).

٥- وعقد البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد» بابـًا بعنوان باب ما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره(٣).

٦- وقال الإمام الدارمي: لا يجوز أن يستعاذ بوجه شيء غير وجه الله وبكلماته لا يستعاذ بوجه مخلوق(٤).

٧- عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: «كَانَ الْجِنُّ يَفْرَقُونَ مِنَ الْإِنْسِ كَمَا يَفْرَقُ الْإِنْسُ مِنْهُمْ أَوْ أَشَدُّ، وَكَانَ الْإِنْسُ إِذَا نَزَلُوا وَادِيًا هَرَبَ الْجِنُّ، فَيَقُولُ سَيِّدُ الْقَوْمِ: نَعُوذُ بِسَيِّدِ أَهْلِ هَذَا الْوَادِي. فَقَالَ الْجِنُّ: نَرَاهُمْ يَفْرَقُونَ مِنَّا كَمَا نَفْرَقُ مِنْهُمْ، فَدَنَوْا مِنَ الْإِنْسِ فَأَصَابُوهُمْ بِالْخَبَلِ وَالْجُنُونِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ

---

(١) فتح الباري ١٢/ ٢٨١.

(٢) كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ١/ ١٦٢ برقم ١٧٢.

(٣) خلق أفعال العباد ص١٨٣.

(٤) الرد على المريسي ص٥١٥.

﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾»[(١)].

٨- عن الحسن، في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ قال: كان الرجل منهم إذا نزل الوادي فبات به، قال: أعوذ بعزيز هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه»[(٢)].

٩- عن إبراهيم في قوله: «﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ كانوا إذا نزلوا الوادي قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ ما فيه، فتقول الجنّ: ما نملك لكم ولا لأنفسنا ضرّا ولا نفعا[(٣)].

١٠- عن مجاهد، قوله: «﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ قال: كانوا يقولون إذا هبطوا واديا: نعوذ بعظماء هذا الوادي»[(٤)].

١١- عن قتادة، قوله: «﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ ذُكر لنا أن هذا الحيّ من العرب كانوا إذا نزلوا بواد قالوا: نعوذ بأعز أهل هذا المكان؛ قال الله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾: أي إثما، وازدادت الجنّ عليهم بذلك جراءة[(٥)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٢٢٧٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٦٥٤.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

١٢- عن ابن جريج قوله: «﴿رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، قال: كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض فيقول: «أعوذ بكبير هذا الوادي»، فذلك استمتاعهم، فاعتذروا يوم القيامة»[(١)].

١٣- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد نص الأئمة - كأحمد وغيره - على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق لما ثبت عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك فإذا كان لا يجوز ذلك فلأن لا يجوز أن يقول: أنت خير مستعاذ يستعاذ به أولى. فالاستعاذة والاستجارة؛ والاستغاثة: كلها من نوع الدعاء أو الطلب وهي ألفاظ متقاربة»[(٢)].

١٤- قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٢٨﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال أبو جعفر: «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾ [الأنعام: ١٢٨]، ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الأوثانَ والأصنامَ وغيرَهم من المشركين، مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يُوحون إليهم زخرف

(١) المرجع السابق ١٢/ ١١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٢٧.

القول غرورًا ليجادلوا به المؤمنين، فيجمعهم جميعًا في موقف القيامة يقول للجن: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، وحذف «يقول للجن» من الكلام، اكتفاءً بدلالة ما ظهر من الكلام عليه منه. ثم نقل عن السلف أن معنى قد استكثرتم من الإنس أي أضللتم منهم كثيرا»(١).

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- الاستعاذة عبادة ولأجل هذا استدل الأئمة على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ استعاذ به.

٢- وعليه فالاستعاذة بالله توحيد، والاستعاذة بغير الله شرك.

٣- ومن هنا حذر السلف الصالح من الاستعاذة بغير الله.

٤- عمق علم السلف ودقة فهمهم حيث استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق باستعاذة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ به.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير الطبري ١٢/ ١١٥.

المبحث الخامس:
قواعد في العبادات البدنية

وفيه قاعدتان:

القاعدة الأولى: السلف والتحذير من شرك الطاعة.

القاعدة الثانية: السلف والذبح لغير الله.

القاعدة الأولى:
السلف والتحذير من شرك الطاعة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني معنى القاعدة.

المبحث الثالث: من نماذج القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف بشرك الطاعة.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- بيان مخالفة الخلف للسلف.

المبحث الثاني معنى القاعدة:

كان السلف يحذرون من شرك الطاعة ويوضحون معالمه.

المبحث الثالث: من نماذج القاعدة.

يتمثل في الآتي:

أ- طاعة العلماء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله شرك في الطاعة.

ب- وعليه جاء تحذيرهم منه:

١- عن أبي البختري قال: قيل لحذيفة: أرأيت قول الله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ ﴾ [التوبة: ٣١]؟ قال: أمَا إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلُّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئًا أحله الله لهم حرَّموه، فتلك كانت رُبوبيَّتهم[(١)].

٢- عن الحسن: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا ﴾، قال: في الطاعة[(٢)].

٣- عن السدي: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٧٨٤ برقم: ١٠٠٥٥.

(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٢١٢.

قال عبدالله بن عباس: لم يأمروهم أن يسجُدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسمَّاهم الله بذلك أربابًا(١).

٤- عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾، قال: قلت لأبي العالية: كيف كانت الرُّبوبية التي كانت في بني إسرائيل؟ قال: لم يسبوا أحبارنا بشيء مضى «ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم»، وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فاستنصحوا الرجالَ، ونبذُوا كتاب الله وراء ظهورهم(٢).

من أدلة القاعدة:

قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١].

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١]، قَالَ: قُلْتَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ قَالَ: **«أَجَلْ، وَلَكِنْ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَيَسْتَحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللهُ، فَيُحَرِّمُونَهُ، فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ»**(٣).

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٢١٢.

(٢) انظر الدر المنثور ٤/ ١٧٤.

(٣) جامع الترمذي ٥/ ٢٧٨ برقم: ٣٠٩٥. قال الألباني: حسن.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- اهتمام السلف بتوحيد الألوهية وحمايتهم جنابها.

٢- فهم السلف عصمة لمن اعتصم به.

٣- انحراف الخلف في العقيدة ومخالفتهم فهم السلف الصالح.

❁ ❁ ❁

القاعدة الثانية:
السلف والتحذير من الذبح لغير اللّه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: نماذج من القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف للذبح لغير الله.

٢- بيان خطورة الشرك.

٣- بيان انحراف المبتدعة في هذه العبادة حيث يذبحون للمشائخ والقبور تقربـًا إليهم.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

فهم السلف للذبح أنه عبادة صرفه لله توحيد، وصرفه لغير الله شرك.

المبحث الثالث: نماذج من القاعدة.

الذبح لغير الله يشمل أولاً ما ذبح لغير الله: ذكر من قال ذلك:

١- وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ﴾ [الأنعام: ١٢١] الآية، يعني: عدوّ الله إبليس، أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة، فقال لهم: خاصموا أصحاب محمد في الميتة، فقولوا: أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون، وأما ما قتل الله فلا تأكلون، وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمر الله، فأنزل الله على نبيه: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام: ١٢١] وإنا -والله- ما نعلمه كان شرك قط، إلا بإحدى ثلاث: أن يدعو مع الله إلها آخر، أو يُسجد لغير الله، أو يُسمى الذبائحَ لغير الله»[(١)].

٢- قال ابن جريج، قال ابن عباس في قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾

(١) رواه ابن جرير في تفسير ٥/ ٤٢٥.

[البقرة: ١٧٣] قال: ما أهِلّ به للطواغيت[(١)].

٣- وعنه: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾، يعني: ما أهِل للطواغيت كلّها. يعني: ما ذبح لغير الله من أهل الكفر، غير اليهود والنصارى[(٢)].

٤- عن الضحاك قال: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ قال، ما أهل به للطواغيت[(٣)].

٥- وعَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ قَالَ: مَا ذُبِحَ لِغَيْرِ اللهِ. وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكِ وَالزُّهْرِيِّ، نَحْوُ ذَلِكَ[(٤)].

٦- قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾، فإنه يعني به: وما ذُبح للآلهة والأوثان يُسمى عليه بغير اسمه، أو قُصد به غيرُه من الأصنام.

وإنما قيل: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾، لأنهم كانوا إذا أرادوا ذبح ما قرَّبوه لآلهتهم، سموا اسم آلهتهم التي قربوا ذلك لها، وجَهروا بذلك أصْواتَهم، فجرى ذلك من أمرهم على ذلك، حتى قيل لكل ذابح، سمَّى أو لم يُسمِّ، جهر بالتسمية أو لم يجهر-: «مُهِلٌّ». فرفعهم أصواتهم بذلك هو «الإهلال» الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾. ومن ذلك قيل للملبِّي في حَجة أو

(١) تفسير الطبري ٢/ ٢٢٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

عمرة «مُهِلّ»، لرفعه صوته بالتلبية. ومنه «استهلال» الصبي، إذا صاح عند سقوطه من بَطن أمه، «واستهلال» المطر، وهو صوت وُقوعه على الأرض، ثم نقل الوجهين ما ذبح لغير الله وما ذكر عليه اسم غير الله عن السلف[(١)].

٧- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القول في تأويل قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ﴾، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان = ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، يقول: وذبحي = ﴿وَمَحْيَايَ﴾، يقول: وحياتي = ﴿وَمَمَاتِي﴾ يقول: ووفاتي = ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾، يعني: أن ذلك كله له خالصًا دون ما أشركتم به، أيها المشركون، من الأوثان = ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في شيء من ذلك من خلقه، ولا لشيء منهم فيه نصيب، لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصًا = ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾، يقول: وبذلك أمرني ربي = ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾، يقول: وأنا أوّل من أقرَّ وأذْعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك.

ويشمل ثانيـًا ما ذكر عليه غير اسم الله ذكر من قال ذلك:

(١) المرجع السابق.

١- عنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ يَقُولُ: مَا ذُكِرَ عَلَيْهِ غَيْرُ اسْمِ اللهِ. وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ نَحْوُ ذَلِكَ(١).

٢- وعن الربيع قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾، يقول: ما ذكر عليه غير اسم الله(٢).

٣- قال ابن زيد -وسألته عن قوله الله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ - قال: ما يذبح لآلهتهم، الأنصابُ التي يعبدونها أو يسمُّون أسماءَها عليها. قال: يقولون: «باسم فلان»، كما تقول أنت: «باسم الله» قال، فذلك قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾(٣).

٤- عن عقبة بن مسلم التُّجيبي وقيس بن رافع الأشجعي أنهما قالا أحِل لنا ما ذُبح لعيد الكنائس، وما أهدي لها من خبز أو لحم، فإنما هو طعام أهل الكتاب. قال حيوة، قلت: أرأيت قَول الله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾؟ قال: إنما ذلك المجوسُ وأهلُ الأوثان والمشركون(٤).

من أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٨٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٥ برقم: ٨٠١٦.

(٣) أخرجه الطبري ٢/ ٢٢١.

(٤) المرجع السابق.

وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر: ٢].

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**حدثني رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله. لعن الله من لعن والديه. لعن الله من آوى محدثا؛ لعن الله من غير منار الأرض**»(١).

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- دل القرآن والسنة على أن الذبح عبادة قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه، كما هي صريحة بذلك في الصلاة فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه، وإذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام، فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعا أو فردا من أفراد العبادة لغير الله.

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء، كما أن حد الشرك الأصغر هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال

(١) أخرجه مسلم ٦/ ٨٤ برقم: ٥١٦٦.

التي لم تبلغ رتبة العبادة، فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر، فإنه مما يعينك على فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التي يكثر اشتباهها والله المستعان[(١)].

٢- فهم السلف للذبح أنه عبادة صرفه لله توحيد، وصرفه لغير الله شرك.

٣- فهم السلف أن الذبح لغير الله يشمل الذبح لغير الله وما ذكر عليه غير اسم الله.

٤- الذبح في أصله ينقسم إلى أربعة أقسام:

أ- ذبح الحيوان المأكول اللحم تقربـًا إلى الله تعالى وتعظيمـًا له، كالأضحية، وهدي التمتع والقران في الحج، والذبح للتصدق باللحم على الفقراء ونحو ذلك، فهذا مشروع، وهو عبادة من العبادات.

ب- ذبح الحيوان المأكول لضيف، أو من أجل وليمة عرس ونحو ذلك، فهذا مأمور به إما وجوبـًا وإما استحبابـًا.

ت- ذبح الحيوان الذي يؤكل لحمه من أجل الاتجار ببيع لحمه، أو لأكله، أو فرحـًا عند سكنى بيت ونحو ذلك، فهذا الأصل أنه مباح، وقد يكون مطلوبـًا فعله، أو منهيـًا عنه حسبما يكون وسيلة إليه.

ث- الذبح تقربـًا إلى مخلوق، وتعظيمـًا له، وخضوعـًا له، فهذه عبادة -كما سبق- ولا يجوز التقرب به إلى غير الله، فمن ذبح تقربـًا إلى مخلوق

(١) القول السديد ٥٨.

وتعظيماً له فقد وقع في الشرك الأكبر وذبيحته محرمة لا يجوز أكلها، سواء أكان هذا المخلوق من الإنس أم من الجن أم من الملائكة أم كان قبراً، أم غيره، وقد حكى نظام الدين الشافعي النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦هـ إجماع العلماء على ذلك.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: ٢]، وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لعن الله من ذبح لغير الله**».

❃ ❃ ❃

المبحث السادس:
قواعد في الشرك الأصغر

وفيه ست قواعد:

القاعدة الأولى: السلف والتحذير من التطير.

القاعدة الثانية: السلف والتحذير من تعليق الخيط.

القاعدة الثالثة: السلف والتحذير من الحلف بغير الله.

القاعدة الرابعة: السلف والتحذير من الرياء.

القاعدة الخامسة: السلف والتحذير من الشرك الخفي.

القاعدة السادسة: السلف والتحذير من التمائم.

القاعدة الأولى:
السلف و التحذير من التطير

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف للتطير.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- بيان خطورة التطير لأنه من الشرك.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

أجمع السلف على التحذير من التطير لأن الجهلة كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا مع الله تعالى.

والشرك الذي يكون من جهة التطير مناف لكمال التوحيد الواجب؛ لأنه شرك أصغر.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

يتمثل في الآتي:

أ- أن الجهلة كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا مع الله تعالى.

ب- وعليه جاء إنكارهم عليه:

١- قال عكرمة: كنا جلوسا عند ابن عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم: خير خير فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر [(١)].

---

(١) أخرجه الطبري كما في «فتح الباري» ١٠/ ٢١٥.

فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر.

٢- وعن قتادة عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «إن مضيت فمتوكل، وإن نكصت فمتطير»[(١)].

٣- وخرج طاوس مع صاحب له في سفر فصاح غراب فقال الرجل: خير فقال طاوس: وأي خير عند هذا؟ لا تصحبي[(٢)].

٤- عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: ثَلَاثٌ مِنْ مَنَاقِبِ الْكُفْرِ: الْغَفْلَةُ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَحُبُّ الدُّنْيَا، وَالطِّيَرَةُ[(٣)].

٥- وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الطيرة شرك والطيرة شرك الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل**»[(٤)].

وقد ذكر كثير من الحفاظ أن جملة وما منا الخ من كلام ابن مسعود مدرج في الحديث. ولو كان مرفوعا كان المراد وما منا أي من المؤمنين من الأمة.

وهذا صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله تعالى.

قال في شرح السنن: وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف عن معمر عن قتادة به ١٠/ ٤٠٤.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» ١٠/ ٤٠٦ا.هـ.

(٣) ذم الدنيا لابن أبي الدنيا ص٤٦١.

(٤) أخرجه أبو داوود في السنن برقم: ٣٩١٠ والترمذي في الجامع برقم: ١٦١٤.

الطيرة تجلب لهم نفعا، أو تدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا مع الله تعالى.

قوله: وما منا إلا قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: في الحديث إضمار التقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك ا هـ.

٦- ابن عبدالحكم قال: ولما خرج عمر بن عبدالعزيز من المدينة نظرت فإذا القمر في الدبران فكرهت أن أقول ذلك له فقلت: ألا تنظر إلى القمر ما أحسن استواءه في هذه الليلة! فنظر عمر فإذا هو بالدبران فقال: كأنك أردت أن تعلمني أن القمر بالدبران، يا مزاحم إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكنا نخرج بالله الواحد القهار(١).

من أدلة القاعدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف: ١٣١].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [يس: ١٩].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا عدوى ولا**

---

(١) ذكره ابن القيم في مفتاح دار السعادة قال المحقق: ووقع مثل هذا مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه الرافعي في «التدوين» (٣/ ١٧٣)، والخطيب في «القول في حكم النجوم» (١٨٤ - مختصره)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ٧٢).

طيرة ولا هامة ولا صفر»[(١)] زاد مسلم «**ولا نوء ولا غول**».

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل**». قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**»[(٢)]. ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: «ذكرت الطيرة عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»»[(٣)].

وعن ابن مسعود مرفوعا: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**»[(٤)]. وجعل آخره من قول ابن مسعود. ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»[(٥)].

وله من حديث الفضل بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**»[(٦)].

(١) أخرجه البخاري ٧/ ١٣٥ برقم: ٥٧٥٧ ومسلم ٧/ ٣١ برقم: ٥٨٤٣.
(٢) أخرجه البخاري ٧/ ١٣٥ برقم: ٥٧٥٦. ومسلم ٧/ ٣٣ برقم: ٥٨٥٥.
(٣) سنن أبي داوود ٦/ ٦٢ برقم: ٣٩١٩.
(٤) أخرجه أبو داوود ٦/ ٥٤ برقم: ٣٩١٥ والترمذي ٤/ ١٦٠ برقم: ١٦١٤.
(٥) أخرجه أحمد في المسند ١١/ ٦٢٢ برقم: ٧٠٤٥.
(٦) المرجع السابق ٢/ ٢٢٧ برقم: ١٨٢٤.

مخالفة الخلف للسلف:

فقد خالف الخلف للسلف في فهمهم في التطير.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- الطيرة شرك.

٢- ومن هنا حذر منه السلف الصالح.

٣- التطير قديم في عهد السلف الصالح.

٤- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا عدوى، ولا طيرة، والشؤم في ثلاث: المرأة، والدار، والدابة**».

فقد اختلف العلماء فيه:

فروي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها أنكرت هذا الحديث أن يكون من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنما قال: «**كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة**»، ثم قرأت عائشة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[1] [الحديد: ٢٢].

وقال معمر: سمعت من يفسر هذا الحديث يقول: «**شؤم المرأة إذا كانت غير ولود، وشؤم الفرس إذا لم يغز عليه في سبيل الله، وشؤم الدار جار السوء**».

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٢٤٦). ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٩) كتاب التفسير، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه.

ومنهم من قال: قد روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لا شؤم، وقد يكون اليمن في الدار والمرأة والفرس**»(١).

والتحقيق: أن يقال في إثبات الشؤم في هذه الثلاث ما ورد في النهي عن إيراد المريض على الصحيح، والفرار من المجذوم، ومن أرض الطاعون: أن هذه الثلاث أسباب يقدر الله تعالى بها الشؤم واليمن ويقرنه.

والشؤم بهذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها، فسيكون شؤمها عليه، ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير، لم يكن مشؤومة عليه، ويدلُّ على ذلك حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الطيرة على من تطير**»(٢). وقد يجعل الله سبحانه وتعالى تطير العبد، وتشاؤمه سبباً لحلول المكروه، كما يجعل الثقة به، والتوكُّل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٢٠٩) أبواب الاستئذان والآداب، حديث رقم (٢٩٨٠). ورواه ابن ماجه في سننه (١/ ٦٤٢)، كتاب النكاح، حديث رقم (١٩٩٣). قال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وليس لمحمد بن معاوية عند ابن ماجه سوى هذا الحديث، وليس له شيء في الخمسة الأصول. يراجع: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٢/ ١٢٠). قال ابن حجر: وأما ما أخرجه الترمذي - وذكر هذا الحديث - ففي إسناده ضعف مع مخالفته للأحاديث الصحيحة. يراجع فتح الباري (٦/ ٦٢).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه. يُراجع: موارد الظمآن ص (٣٤٥، ٣٤٦)، حديث رقم (١٤٢٨). قال ابن حجر: وفي صحته نظر؛ لأنه من رواية عتبة بن حميد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس، وعتبة مختلف فيه. يراجع: فتح الباري (٦/ ٦٣).

الشر المتطير به، وسر هذا أن الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى، والخوف من غيره، وعدم التوكل عليه والثقة به، فكان صاحبها غرضاً لسهام الشر والبلاء، فيتسرع نفوذها؛ لأنّه لم يتدرع بالتوحيد والتوكل، والنفس لابد أن تتطير، ولكن المؤمن القوي الإيمان يدفع موجب تطيره بالتوكل على الله، فإن من توكل على الله وحده كفاه من غيره، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إنه إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾(١) [النحل: ٩٨- ١٠٠].

٥- الفرق بين الطيرة والفأل:

والفأل عكس الطيرة، وقد يلتبس بها فيلحق بها.

فأصل الفأل المستحسن شرعـاً: أن تسمع كلمة توافق ما أنت بصدده وتبعثك على المضي فيه.

قال في «الفروق»: «وأما الفأل الحرام، فقال الطرطوشي في «تعليقه»: إن أخذ الفأل من المصحف (قلت: وذلك بأن يفتح المصحف فيقرأ أول آية من الصفحة فيه، فإذا قرأ آية فيها خير تفاءَل، وإذا قرأ آية فيها عذاب أو نحو ذلك تشاءم). وضرب الرمل والقرعة والضرب بالشعير وجميع هذا النوع حرام؛ لأنه من باب الاستقسام بالأزلام. والأزلام: أعواد كانت في الجاهلية،

---

(١) يراجع: مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٦).

مكتوب على أحدها: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، وعلى الآخر غفل، فيخرج أحدها، فإن وجد عليه: افعل؛ أقدم على حاجته التي يقصدها، أو: لا تفعل، أعرض عنها واعتقد أنها ذميمة، أو خرج المكتوب عليه غفل، أعاد الضرب، فهو يطلب قسمه من الغيب بتلك الأعواد؛ فهو استقسام؛ أي: طلب القسم الجيد يتبعه والرديء يتركه، وكذلك من أخذ الفأل من المصحف أو غيره إنما يعتقد هذا المقصد إن خرج جيداً اتبعه أو رديئًا اجتنبه؛ فهو عين الاستقسام بالأزلام الذي ورد القرآن بتحريمه فيحرم، وما رأيته حكى في ذلك خلافًا» (٤/ ٢٤١).

ومن شرط الفأل أن لا يقصد إليه، يدل عليه حديث أبي هريرة: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا طيرة، وخيرها الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**»، متفق عليه، وحديث أنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع: «يا راشد يا نجيح» رواه الترمذي.

قال الحافظ في الفتح: «وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء، والفأل بما يسر، ومن شرطه أن لا يقصد إليه فيصير من الطيرة» اهـ، وهذا الفأل كان بالقصد فلا يكون فألا بل طيرة فلا يجوز، ومن ثم يعلم مسألة الفأل من القرآن ومن كتب الصالحين، فإنه ليس بفأل بل طيرة فيكون جبتًا وشركًا وحرامًا[١].

❁ ❁ ❁

(١) فتح الباري ١٠/ ٢١٥.

القاعدة الثانية:
السلف والتحذير من تعليق الخيط

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف من ربط الخيط.

٢- بيان عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- بيان مخالفة الخلف للسلف.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

حذر السلف الصالح من ربط الخيط لأن فيه تعلق القلب بغير الله.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

أجمع السلف على التحذير من ربط الخيط:

يتمثل في الآتي:

١- ربط الخيط لرفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله وهو شرك أكبر إن اعتقد أن الخيط يرفع البلاء، أو يدفعه بنفسه، وأصغر إن اعتقد أنه سبب؛ لأنه جعل ما ليس سببا، لا شرعيا، ولا قدريا ظاهرا سببا.

٢- وعليه جاء إنكارهم ووصفهم أنه شرك فعَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِاللهِ قَالَتْ: «كَانَ عَبْدُاللهِ إِذَا جَاءَ مِنْ حَاجَةٍ فَانْتَهَى إِلَى الْبَابِ تَنَحْنَحَ وَبَزَقَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَهْجُمَ مِنَّا عَلَى شَيْءٍ يَكْرَهُهُ قَالَتْ وَإِنَّهُ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَتَنَحْنَحَ قَالَتْ وَعِنْدِي عَجُوزٌ تَرْقِينِي مِنْ الْحُمْرَةِ فَأَدْخَلْتُهَا تَحْتَ السَّرِيرِ فَدَخَلَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي فَرَأَى فِي عُنُقِي خَيْطًا قَالَ مَا هَذَا الْخَيْطُ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: خَيْطٌ أُرْقِيَ لِي فِيهِ، قَالَتْ: فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللهِ لَأَغْنِيَاءُ عَنْ الشِّرْكِ سَمِعْتُ

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**» قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَقُولُ هَذَا وَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ يَرْقِيهَا وَكَانَ إِذَا رَقَاهَا سَكَنَتْ، قَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَانَ يَنْخَسُهَا بِيَدِهِ فَإِذَا رَقَيْتِهَا كَفَّ عَنْهَا إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»(١).

مخالفة الخلف للسلف:

فقد خالف الخلف السلف في فهمهم حيث يتعلقون بالخيط ونحوه.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- حذر السلف الصالح عن ربط الخيط لأن فيه تعلقا بغير الله.

٢- حماية السلف جناب التوحيد.

٣- عمق علمهم ودقة فهمهم.

❁ ❁ ❁

(١) مسند أحمد ٦/ ١١٠ برقم: ٣٦١٥.

القاعدة الثالثة:
السلف والتحذير من الحلف بغير اللّه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف للحلف بغير الله.

٢- بيان خطورة الحلف بغير الله؛ لأنه شرك.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

عمق علم السلف؛ لقولهم: لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أحلف لغير الله صادقا؛ لأن قبح الشرك أعظم من قبح الكذب الذي هو معصية.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة:

يتمثل في الآتي:

أولا: الحلف بغير الله شرك.

ثانيا: وعليه جاء إجماع السلف على التحذير من الحلف بغير الله وممن نقل الإجماع:

١- حافظ المغرب ابن عبدالبر، فقال في فوائد حديث: ««**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفِقْهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْحَلِفُ بِغَيْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَلَا عَلَى حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَهَذَا أَمْرٌ مُجْتَمَعٌ عَلَيْهِ»[(١)].

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما «الحلف بالمخلوقات» كالحلف بالكعبة أو قبر الشيخ أو بنعمة السلطان أو بالسيف أو بجاه أحد من

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٤/ ٢٦٦.

المخلوقين: فما أعلم بين العلماء خلافا أن هذه اليمين مكروهة منهي عنها وأن الحلف بها لا يوجب حنثا ولا كفارة. وهل الحلف بها محرم أو مكروه كراهة تنزيه؟ فيه قولان في مذهب أحمد وغيره: أصحهما أنه محرم»[(١)].

نماذج من تحذيرهم من الحلف بغير الله:

١- عبدالرزاق قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يُخْبِرُ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ الزُّبَيْرِ يُخْبِرُ، أَنَّ عُمَرَ لَمَّا كَانَ بِالْمِخْمَصِ مِنْ عُسْفَانَ اسْتَبَقَ النَّاسُ، فَسَبَقَهُمْ عُمَرُ فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَانْتَهَزْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَقُلْتُ: سَبَقْتُهُ وَالْكَعْبَةِ، ثُمَّ انْتَهَزَ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: سَبَقْتُهُ وَاللهِ، ثُمَّ انْتَهَزْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَقُلْتُ: سَبَقْتُهُ وَالْكَعْبَةِ، ثُمَّ انْتَهَزَ الثَّالِثَةَ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: سَبَقْتُهُ وَاللهِ، ثُمَّ أَنَاخَ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ حَلِفَكَ بِالْكَعْبَةِ، وَاللهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ فَكَّرْتَ فِيهَا قَبْلَ أَنْ تَحْلِفَ لَعَاقَبْتُكَ، احْلِفْ بِاللهِ، فَأْثَمْ أَوِ ابْرَرْ»[(٢)].

٢- وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبـًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقـًا[(٣)].

٣- وقال حافظ المغرب ابن عبدالبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَفِي غَيْرِ رِوَايَةِ يَحْيَى عن مالك أنه بلغه عن بن عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ بِإِثْمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٢٤٣.

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف ٨/ ٤٦٨.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد «٤/ ١٧٧» رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

أَنْ أُظَاهِرَ فَالْمُظَاهَرَةُ أَنْ يَحْلِفَ بِغَيْرِ اللهِ تَعْظِيمًا لِلْمَحْلُوفِ بِهِ فَشَبَّهَ خَلْقَ اللهِ بِهِ فِي التَّعْظِيمِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝﴾ [التوبة: ٣٠] وَمَعْنَاهُ أَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ فَآثَمُ أَيْ فَأَحْنَثُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بغيره فأبر.

وقد روي عن بن عمر وبن مَسْعُودٍ قَالَا: لِأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا[(١)].

٤- روى سعيد بن عبيدة أن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا سمع رجلا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[(٢)].

٥- عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنا نذكر بعض الأمر وأنا حديث عهد بالجاهلية، فحلفت باللات والعزى، فقال لي أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: بئس ما قلت ائت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأخبره، فإنا لا نراك إلا قد كفرت، فأتيته فأخبرته، فقال لي: «**قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات، وتعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات، واتفل**

---

(١) الاستذكار ٥/ ٢٠٣. ط/ ١ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/ ٣٣٠ أبو داوود برقم: ٣٢٥١ والترمذي برقم ١٥٣٥ واللفظ له وقال: حديث حسن. والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٣٠ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

عن يسارك ثلاث مرات ولا تعد»[(١)].

٦- قال الإمام أبو حنيفة: «لا يحلف إلا بالله متجردا بالتوحيد والإخلاص»[(٢)].

من أدلة القاعدة:

١- عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم؛ من حُلِف له بالله فليصدِّق؛ ومن حُلِف له بالله فليْرضَ؛ ومن لم يرض فليس من الله»**[(٣)].

٢- وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من حلف بغير الله قد كفر أو أشرك»**[(٤)].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- الشرك الأصغر أكبر الكبائر.

٢- الحلف بغير الله شرك.

٣- عمق علم السلف ودقة فهمهم.

❁ ❁ ❁

(١) رواه احمد في المسند ١/ ١٨٣ والنسائي في الأيمان والنذور برقم: ٣٢٤٣ وابن ماجه في الكفارات برقم: ٢٠٩٧.

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/ ٣٣٠ أبو داوود برقم: ٣٢٥١ والترمذي برقم ١٥٣٥ واللفظ له وقال: حديث حسن. والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٣٠ وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي بدائع الصنائع ٣/ ٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢/ ٤٨٢ برقم: ٢١٠١.

(٤) أخرجه الترمذي ٤/ ١١٠ برقم: ١٥٣٥. وقال: حسن وصحح الألباني.

القاعدة الرابعة:
السلف والتحذير من الرياءِ

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف للرياء.

٢- بيان خطورة الرياء؛ لأنه شرك.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

أن السلف يخافون من الرياء ويفرون منه؛ لأنه من الشرك.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

أجمع السلف على التحذير من الرياء:

يتمثل في الآتي:

أولا: الرياء أخوف ما يخاف على الصالحين وهو شرك بنص رسول الله ﷺ.

ثانيا: وعليه جاء خوفهم منه:

١- فعن الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان: أن عقبة بن مسلم حدثه: أن سفيان حدثه: أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع الناس عليه فقال: من هذا قالوا أبو هريرة قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه و هو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت: أنشدك الله بحق و حق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله ﷺ وعلمته فقال أبو هريرة: افعل لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ عقلته و علمته ثم نشغ أبوهريرة نشغة فمكث قليلا ثم أفاق فقال: لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ و أنا و هو في هذا البيت ما معنا أحد غيري و غيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة

أخرى فمكث بذلك ثم أفاق و مسح وجهه فقال أفعل لأحدثنك بحديث حدثنيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى ثم مال خارا وجهه وأسندته طويلا ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله عَزَّوَجَلَّ إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارىء ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة له كذبت فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: أردت أن يقال فلان قارىء فقد قيل ويؤتى بصاحب المال فيقول ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله: كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالرجل الذي قتل في سبيل الله فيقال له فيم قتلت فيقول أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة له كذبت ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله - على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة [(١)].

---

(١) رواه مسلم ٦/ ٤٧ برقم: ٤٩٥٨.

٢- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن ناسا قالوا له: إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)].

من أدلة القاعدة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء**»[(٢)].

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- خوف السلف الصالح من الشرك الأصغر.

٢- عمق علم السلف ودقة فهمهم.

٣- خطورة الشرك؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨].

٤- الفروق بين الشرك الأكبر والأصغر:

أ- أن ينص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صراحة على أن هذا الفعل من الشرك الأصغر: كما في المسند (٢٧٧٤٢) عن مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**». قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «**الرِّيَاء إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى**

---

(١) أخرجه البخاري٩/ ٧١ برقم: ١٧٧٨.

(٢) أخرجه أحمد ٣٩/ ٣٩ برقم: ٢٣٦٣٠

الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً» وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٩٥١.

ب- أن يرد لفظ الشرك في نصوص الكتاب والسنة منكَّراً - أي غير مقترن بالألف واللام - فهذا في الغالب يقصد به الشرك الأصغر وله أمثلة كثيرة كقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الرقى والتمائم والتِّوَلَة شرك**».

أخرجه أبو داود (٣٨٨٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٣٣.

فالمقصود بالشرك هنا الأصغر دون الأكبر.

والتمائم شيء يعلق على الأولاد كالخرز ونحوه يزعمون أن ذلك يحفظه من العين.

والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

ت- أن يفهم الصحابة من النصوص الشرعية أن المراد بالشرك في هذا الموضع هو الأصغر دون الأكبر، ولا شك أن فهم الصحابة معتبر، فهم أعلم الناس بدين الله عَزَّوَجَلَّ، وأدراهم بمقصود الشارع. ومن أمثلة ذلك ما رواه أبو داود ٣٩١٠ عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ثَلاثًا، وَمَا مِنَّا إِلا وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**» فجملة (وما منا إلا..) هذه من كلام ابن مسعود كما بين ذلك جهابذة المحدثين فهذا يدل على أن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فهم أن هذا من الشرك الأصغر، لأنه لا

يمكن أن يقصد وما منا إلا ويقع في الشرك الأكبر، كما أن الشرك الأكبر لا يذهبه الله بالتوكل بل لابد من التوبة.

ث- أن يفسر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفظ الشرك أو الكفر بما يدل على أن المقصود به الأصغر وليس الأكبر كما روى البخاري (١٠٣٨) ومسلم (٧١) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»».

فالكفر هنا جاء تفسيره في الرواية الأخرى عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: «**مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ يَقُولُونَ الْكَوَاكِبُ وَبِالْكَوَاكِبِ**» فبين هنا أن من نسب إنزال المطر إلى الكواكب باعتبارها سبباً لنزوله - والواقع أن الله لم يجعلها سبباً لذلك - فكفره كفرٌ بنعمة الله عليه، ومعلوم أن كفر النعمة كفر أصغر أما من اعتقد أن الكواكب هي التي تتصرف في الكون وأنها هي التي تنزل المطر فهذا شرك أكبر..

❁ ❁ ❁

القاعدة الخامسة:
السلف والتحذير من الشرك الخفي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

١- بيان فهم السلف للشرك الخفي.

٢- بيان تفسير السلف للشرك الخفي.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

بين السلف الصالح مفهوم الشرك الخفي وحذروا منه.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

أجمع السلف على التحذير من الشرك الخفي:

يتمثل في الآتي:

١- الشرك الحفي أكبر من الكبائر عند السلف.

٢- وعليه جاء تحذيرهم منه:

أ- قال ابن عباس في الآية: الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانـًا هذا كله به شرك [١].

ب- وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان[٢].

---

(١) سبق توثيقه ص ٣٧.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ص ٣٤٧.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

١- الشرك الخفي هو الذي في القلوب وقد يكون أصغر وقد يكون أكبر.

٢- حذر السلف من الشرك حتى الخفي.

٣- عمق علم السلف ودقة فهمهم.

❀ ❀ ❀

القاعدة السادسة:
السلف والتحذير من التمائم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: من أهداف القاعدة.

المبحث الثاني: معنى القاعدة.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة.

المبحث الأول: من أهداف القاعدة:

١- بيان فهم السلف الصالح في التمائم.

٢- بيان خطورة لبس التمائم.

٣- بيان مخالفة الخلف للسلف.

المبحث الثاني: معنى القاعدة:

أجمع السلف على ترك لبس التمائم لأنه شرك.

المبحث الثالث: أمثلة القاعدة:

١- أن التمائم شرك بنص حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- وعليه جاء كراهتهم:

أ- روى أبو عبيد عن إبراهيم - هو النخعي - قال: «كانوا يكرهون - يعني الصحابة - التمائم من القرآن وغيرها»[(١)].

ب- وروى وكيع عن ابن عباس؛ قال: «اتفل بالمعوذتين ولا تعلق»[(٢)].

ت- وروى ابو عبيد عن الحسن البصري: «أنه كان يكره أن يغسل القرآن ويسقاه المريض، أو يعلق القرآن»[(٣)]. هذا هو فهم الصحابة ولم يثبت عنهم خلافه.

---

(١) فضائل القرآن (ق١١١/ ١) بسند صحيح.

(٢) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٨١.

(٣) رواه أبو عبيدة في كتابه فضائل القرآن وإسناده صحيح انظر تحقيق الكلمة الطيب للشيخ الألباني ص ٨٥.

من أدلة القاعدة:

١- في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**أنه كان مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره؛ فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت**»[(١)].

٢- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[(٢)].

مخالفة الخلف للسلف:

فقد خالف الخلف السلف الصالح في التمائم.

المبحث الرابع: من فوائد القاعدة:

١- لا يجوز لبس التمائم سواء من القرآن، أو غيره.

٢- دلت السنة بعمومها على عدم جواز لبس التمائم.

٣- فهم السلف دل على عدم مشروعية لبس التمائم.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ١/ ٢٣٨ برقم: ٣-٧ والبخاري ٤/ ٥٩ برقم: ٣٠٠٥ ومسلم ٦/ ١٦٣ برقم ٥٦٠٠ وأبو داوود ٤/ ٢٠٢ برقم: ٢٥٥٢.

(٢) أخرجه أحمد ٦١١٠ برقم: ٣٦١٥ وأبو داوود ٦/ ٣١ برقم: ٣٨٨٣وإن ماجه ٢/ ١١٦٦ برقم: ٣٥٣٠.

خاتمة:

توصلت إلى النتائج التالية:

١- فهم السلف الصالح لمفهوم التوحيد هو: شهادة أن لا إله إلا الله خلافا للخلف.

٢- فهم السلف الصالح لمفهوم الشرك هو: صرف العبادة لغير الله خلافا للخلف.

٣- فهم السلف الصالح لمفهوم الرب هو: السيد المصلح المالك خلافا للخلف.

٤- فهم السلف الصالح لمفهوم الإله هو: المعبود خلافا للخلف.

٥- فهم السلف الصالح لمفهوم لا إله إلا الله هو: لا معبود بحق إلا الله خلافا للخلف.

٦- فهم السلف الصالح لمفهوم العبادة هو: التوحيد خلافا للخلف.

٧- فهم السلف الصالح: أن الرب والإله متغايران خلافا للخلف.

٨- فهم السلف الصالح: أن توحيد الربوبية دليل من أدلة توحيد الألوهية خلافا للخلف.

٩- فهم السلف الصالح: أن مجرد الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي خلافا للخلف.

١٠- فهم السلف الصالح: أن التوحيد ينقسم إلى قولي، وفعلي خلافا للخلف.

١١- فهم السلف الصالح: أن التوحيد أوجب الواجبات.

١٢- فهم السلف الصالح: أن للا إله إلا الله شروطا خلافا للخلف.

١٣- فهم السلف الصالح: أن للا إله إلا الله فضائل.

١٤- منهج السلف الصالح: تقريب فهم التوحيد بالمثال خلافا للخلف.

١٥- منهج السلف الصالح: تعظيم نصوص توحيد الألوهية خلافا للخلف.

١٦- منهج السلف الصالح: الاهتمام البالغ والعناية الفائقة بتوحيد الألوهية خلافا للخلف.

١٧- فهم السلف الصالح: أن أول واجب على المكلف الشهادتان خلافا للخلف.

١٨- فهم السلف الصالح: وقوع الشرك في الأمة خلافا للخلف.

١٩- منهج السلف الصالح: الخوف من الشرك خلافا للخلف.

٢٠- منهج السلف الصالح: الإنكار على من وقع في الشرك أو في وسائله خلافا للخلف.

٢١- منهج السلف الصالح: حماية جناب توحيد الألوهية خلافا للخلف.

٢٢- منهج السلف الصالح: التحذير من تتبع آثار الأنبياء خلافا للخلف.

٢٣- منهج السلف الصالح: التحذير من الغلو في الصالحين وقد صرحوا أن الغلو في الصالحين سبب عبادة الأوثان وهو السبب في وقوع الشرك في قوم نوح.

٢٤- منهج السلف الصالح: التحذير من الغلو في القبور ومن صور ذلك:

- تعميتهم قبر دانيال.
- عدم إبرازهم قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- عدم إبرازهم قبور الصحابة.
- تحذيرهم من اتخاذ القبور أعيادا دليل ذلك عدم ترددهم على قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل إنكارهم على من يتردد على قبره، وعلى من يدعو عند قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- تحذيرهم من مس القبر.
- وصيتهم بعدم إقامة الفساطيط على قبورهم
- تحذيرهم من رفع القبور.
- تحذيرهم من البناء على القبور.
- تحذيرهم من بناء المساجد على القبور.
- تحذيرهم من دفن الأموات في المساجد.
- تحذيرهم من الصلاة في المقبرة.
- تحذيرهم من تجصيص القبور.
- تحذيرهم من الكتابة على القبور.
- أمرهم بهدم القبور المبنية، وتسوية القبور المرتفعة.
- تحذيرهم من الطواف حول القبور.

- تحذيرهم من السفر إلى القبور.
- إنكارهم على إدخال بيوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد النبوي.
- كراهتهم عبارة زرت قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٥- فهم السلف الصالح لمفهوم الوسيلة: أنها القربة.

٢٦- فهم السلف الصالح: مشروعية التوسل بأسماء الله وصفاته.

٢٧- فهم السلف الصالح: مشروعية التوسل بعملهم الصالح.

٢٨- فهم السلف الصالح: مشروعية التوسل بدعاء رجل صالح كما توسل عمر ومن معه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بدعاء عباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتوسل معاوية بن أبي سفيان بدعاء يزيد بن الأسود الحرشي.

٢٩- فهم السلف الصالح: عدم مشروعية التوسل بالأموات، لا بدعائهم، ولا بطلب الدعاء منهم، ولا بالدعاء عند قبورهم، ولا بالوقوف الطويل عند قبورهم يدل على ذلك: توسلهم بدعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، وعدولهم عن التوسل به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى التوسل بدعاء عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد موته.

٣٠- فهم السلف الصالح: مشروعية التبرك بالأنبياء التبرك الذاتي الحسي وقد كانوا يتبركون بعرق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونخامته، ووضوئه، وشعره، وثيابه، ونعاله في وقت وجود آثاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣١- فهم السلف الصالح: عدم مشروعية التبرك الذاتي الحسي بغير الأنبياء، وقد أجمعوا على ترك التوسل الذاتي الحسي بأبي بكر، وعمر،

وعثمان، وعلي، وغيرهم فهذا الإجماع التركي يدل على عدم التبرك الحسي بالصالحين.

٣٢- فهم السلف الصالح: مشروعية التوسل المعنوي - وهو التوسل بالعمل - بالصالحين.

٣٣- فهم السلف الصالح: التفريق بين آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي هي جزء من جسده أو لامس جسده الشريف وبين المواضع التي صلى فيها اتفاقا، أو جلس فيها، أو مر عليها فيتبركون بالأولى دون الثانية.

٣٤- فهم السلف الصالح: التفريق بين التعبد والتبرك.

٣٥- فهم السلف الصالح: التفريق بين الاتباع والتبرك.

٣٦- فهم السلف الصالح: التفريق بين المواضع التي صلى فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصدا، والتي صلى فيها اتفاقا.

٣٧- فهم السلف الصالح: عدم مشروعية التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إنما يتتبع مواضع صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأسيا واقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا تبركا.

٣٨- فهم السلف الصالح: التحذير من السحر، وأنه كفر.

٣٩- فهم السلف الصالح: مشروعية النشرة بالرقية والأدعية المشروعية.

٤٠- فهم السلف الصالح: عدم مشروعية النشرة بالسحر.

٤١- فهم السلف الصالح: التحذير من الكهانة.

٤٢- فهم السلف الصالح: التحذير من التنجيم.

٤٣- فهم السلف الصالح: التحذير من الاستسقاء بالنجوم.

٤٤- فهم السلف الصالح: التحذير من التحاكم إلى الطاغوت

٤٥- فهم السلف الصالح: التحذير من شرك المحبة.

٤٦- فهم السلف الصالح: التحذير من شرك الرجاء.

٤٧- فهم السلف الصالح: التحذير من شرك الخوف.

٤٨- فهم السلف الصالح: التحذير من شرك التوكل.

٤٩- فهم السلف الصالح: التحذير من شرك الدعوة.

٥٠- فهم السلف الصالح: التحذير من شرك الشفاعة.

٥١- فهم السلف الصالح: التحذير من شرك الاستعاذة.

٥٢- فهم السلف الصالح: التحذير من شرك الطاعة.

٥٣- فهم السلف الصالح التحذير من شرك الذبح لغير الله.

٥٤- فهم السلف الصالح: التحذير من الطيرة.

٥٥- فهم السلف الصالح: التحذير من تعلق الخيط.

٥٦- فهم السلف الصالح: التحذير من الحلف بغير الله.

٥٧- فهم السلف الصالح: التحذير من الرياء.

٥٨- فهم السلف الصالح: التحذير من الشرك الخفي.

٥٩- فهم السلف الصالح: التحذير من التمائم.

❀ ❀ ❀

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

❁ ❁ ❁